أدوات التشبيه

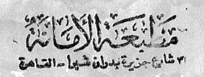
دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمود موسى حمدان

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



أدوات التشبيه

دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمود موسى حمدان

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمدا لك — اللهم — كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وصلاة وسلاما على صفوة خلقك وخاتم أنبيائك .« وبعد »

فمن المعلوم أن علم البلاغة يبتغى ترسيخ الملكة القادرة على الإحاطة بالمعانى المختلفة انشاء وتلقيا . ليستطيع البليغ بذلك نظم المعانى ، والتعبير عنها بصيغ وتراكيب وصور مختلفة فى دلالاتها وخواصها ، تبعا لما تقتضيه مقاماتها . ويستطيع — أيضا — أن يميز بين ما يتلقاه من أساليب وتراكيب بما لها من دقائق وخصوصيات

ومن الأساليب التى لها أهميتها فى ابراز المعانى أسلوب التشبيه ، لما فيه من الدقائق والخواص وكثرة اللطائف والاعتبارات المختلفة التى جعلته موضع الاهتمام فى حقل الدراسات البلاغية ، فنال مبحثه بمسائله وتقسيماته باعتبارات مختلفة حظا وافرا توفر له كثير من الكتاب الذين أفرغوا فيه من كتاباتهم وبحوثهم ما لا يحصى عددا . ؟

ومما يلفت النظر أنهم أفردوا لكل ركن من أركان التشبيه مباحث خاصة به عالجوا فيها قضاياه ومسائله معالجة مستفيضة . لكنهم دأبوا على المرور بركن (الأداة) مرورا عابرا دون أن يفصلوا القول فيه تفصيلا يتناول حقيقة الأداة ، وما يدخل تحتها ، وما بينها من فروق .

ولم نجد من البلاغيين الأقدمين من تعرض لسرد أدوات التشبيه وبيان الفروق بينها بيانا منفردا بها ماعدا البهاء السبكى — رحمه

الله — فى كتابه عروس الأفراح ، وما كان له من جهد فى تحقيق الفروق بينها فى الدلالة ، استلهمها من شذرات من أقوال بعض البلاغيين وأهل اللغة ، وهى — وان كانت جليلة — الا أنها لا تفى بالمؤمل فى هذا الباب .

من هنا كانت بداءة التفكير فى هذه الدراسة لـ (أدوات التشبيه) .

ثم انه لما كان من مسالك الفهم الدقيق للقرآن الكريم وتدبر معانيه والوصول الى أحكامه — الاهتمام بدراسة الفنون البلاغية ، بما لهذه الفنون من أسس وأركان تقوم عليها ؛ وخصائص تتميز بها ، وبخاصة منها مباحث البيان ، من تشبيه ومجاز وكناية — لما كان الشأن كذلك اخترنا أن يكون مجال هذه الدراسة (أدوات التشبيه) دلالاتها واستعمالاتها فى القرآن الكريم .

والمسلك الذى اخترناه لهذه الدراسة يتبدى فيما يأتى :

أولا : استقراء جميع شواهد القرآن الكريم التى اشتملت على أدوات التشبيه . والاستشهاد بها فى موضوعها من الدراسة حسب دلالة الأداة ، وطريق استعمالها . وكذلك الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة فيه .

وهذا مما لا نشك فى سلامته وجدواه . ذلك لأن تتبع جميع كلمات التشبيه فى تراكيب القرآن الكريم ، ووجوه نظمه المختلفة ، ومقاماته الثرية يفيدنا كثيرا فى تحديد دلالة هذه الكلمات ، وطرائق استعمالاتها فى الأساليب .

ثانيا : اتباع مسلك أهل العلم فى حمل الآيات على أحسن وجوه الاعراب ، ومعانى التراكيب ، تاركين التقديرات البعيدة المستكرهة

أنتج يبعد حمل المعنى عليها ، وكذلك البعد عن حمل الآية على قول شاعر مهما كانت طبقته .

ثالثا : المجيء ببعض الشواهد من أشعار العرب استئناسا بها فى بعض المواضع ، واستشهادا بها فى مواضع أخرى على دلالة بعض الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة والتى لا يوجد لها شواهد فى القرآن الكريم .

على أن اقلالنا من شواهد الشعر لم يكن تقليلا من أهميته . اذ هو ولا شك « ديوان العرب » وانما كان ذلك لوجود غنيتنا فى شواهد القرآن الكريم من ناحية ، وللرغبة فى عدم الإطالة وترهل الدراسة ترهلا تتحاشاه من ناحية أخرى .

ثم — أخيرا — نرجو أن يكون مابذلناه من جهد فى هذه الدراسة بعون من الله تعالى قد آتى ما أمل فيه ، أو بعضا منه ، وأن يكون خالصا لوجه الله الكريم .

« وصلاة على المرسلين . والحمد لله رب العالمين »

شبين الكوم

فى ربيع الثانى ١٤١٣ هـ — الدكتور

أكتوبر ١٩٩٢ م — محمود موسى حمدان

« مدخــل »

التشــبيه وأركــانه

عند تحديد المصطلحات وبيــان مفاهيمهــا ينبغى أن يرجع أولا ــ الى المعنى اللغــوى ، لأنه الأصل الــذى يقــوم عليــه المعنى الاصطلاحى ، وجنسه العــام •

والتشبيه « لغة » كما تقتضى مادة الكلمة وصيغتها : « جعــل الشىء شبيها بآخر »(١) أى اعطاؤه شبه غيره ، وتصييره على صورته ، بحيث لا يتميز عنه •

يشهد لهذا قول الله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شــبه لهم »(٢) قالوا : « ان معنى شبه لهم أى صور الله غيره بصورته فشبه لهم »(٣) وقال القرطبى : « أى ألقى شبهه على غيره ••• »(٤) •

فالشبه ــ أصــلا ــ يكون من حيث الهيئة والصورة ، وما جاء فى المعــاجم من تفســير الشبه بالمثل ــ كما فى لسان العرب من أن : « الشــبه والشبه والشــبيه المثل ••• وشبهه ايــاه ، وشــبهه بــه مثــله »(٥) •

انما هو ضرب من المسامحة والتوسع • لأن الشبه والمثل ليســا بمعنى واحد ، لكون المماثلة ــ كما سنبين بعد ــ لا تتحقق الا بالشبه

---

(١) عروس الأفراح : شروح التلخيص ٢٩٢/٣ •
(٢) سورة النساء ١٥٧ •
(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٢/٦ •
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٠٥ •
(٥) لسان العرب لابن منظور ٢١٨٩ •

من جميع الوجوه ، ماعدا ما يقع به التغاير • وصاحب اللسان نفسه قال فى بيان معنى (مثل) : « المماثلة بين المتفقين فى الجنس (٦) » .

اذن اطلاق المماثلة على اتفاق اثنين فى جهة واحدة يكون على سبيل المجاز (٧) •

وعليه فدعوى ابن الأثير عدم الفرق بين التشبيه والتمثيل محتجا بتفسير الشبه بالمثل فى المعاجم دعوى غير محررة(٨) لأن أصل المعنى للكلمتين مختلف • وان كان قد اتسع ذلك وكثر فى المعاجم حتى صار حقيقة عرفية •

وقد عرف البلاغيون التشبيه لغة : بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى(٩) •

أى أن يأتى المتكلم بما يدل على التشبيه والمشاركة مطلقا ، سواء كان على سبيل الاستعارة التحقيقية ، أو المكنى عنها ، أو على وجه تنبنى عليه الاستعارة ، وهو ما يكون بالأداة •• كما يشمل مثل : قاتل زيد عمرا وجاء عمرو وبكر ، لأن المثالين يستلزمان المشاركة فى القتل والمجىء ، كما هو ظاهر الكلام ، لأنه لا يلزم فى دلالة اللزوم القصد على الأصح • ولا يخرج المثالان عن دائرة التشبيه اللغوى إلا اذا اشترط فى الدلالة أن تكون صريحة مقصودة(١٠) •

---

(٦) المرجع السابق ٤١٣٢ •
(٧) ينظر عروس الأفراح ٣٩٣/٣ •
(٨) ينظر المثل السائر ٣٨٨/١ •
(٩) ينظر شروح التلخيص ٢٩٢/٣ •
(١٠) ينظر شروح التلخيص ٢٩٢/٣ والمطول وحاشية السيد عليه ٣١٠

« التشبيه فى اصطلاح البلاغيين » :

يتفق جميع من قاموا بتعريف التشبيه فى الأصطلاح(١١) على التصريح بأن عقده يقوم على اشتراك شيئين فى صفة ، وان اختلفت عباراتهم فى التصريح بقوة الصفة وظهورها فى المشبه به عن المشبه ... وكونه بالأداة ملفوظة أو مقدره . من هؤلاء :

الرومانى (٣٨٤ هـ) يقول فى تعريفه : « التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل ..

ويذكر بعض الشواهد التى أسس بها لتقسيمات التشبيه باعتبار الوجه ، وباعتبار الطرفين ، ثم يقول : والتشبيه البليغ(١٢) اخراج الأغمض الى الأظهر بأداة لتشبيه مع حسن التأليف ...

ويبين الوجوه التى يقوم عليها الخروج بالأغمض الى الأظهر قائلا : منها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة ؛ ومنها اخراج ما لم تجريه عادة الى ما جرت به العادة ، ومنها اخراج مالا يعلم بالبديهة الى مايعلم بالبديهة ، ومنها اخراج مالا قوة له فى الصفة الى ماله قوة فى الصفة ، فالأول : نحو ، تشبيه المعدوم بالغائب ،

---

(١١) لما كان فى اطلاق كلمة التشبيه على التشبيه الاصطلاحى وتسميته بها بعد لكون مدلولها فى اللغة جعل الشىء شبيها بغيره والتشبيه الاصطلاحى ليس فيه ذلك بين البهاء السبكى أن هذه التسمية على سبيل المجاز . وتوضيح ذلك أنه أطلق لفظ (التشبيه) على ادعاء التشبيه أو اعتقاده مثل قولنا زيد كعمرو ، فهو مجاز على مجاز ، للتجوز بالثانى عن الأول . انظر عروس الأفراح ٣/٢٩٢ .

(١٢) يقصد بالبليغ ما كثرت فية المبالغة بالحاق الأدنى بالأعلى ، وليس مراده ما اصطلح عليه بعد : محذوف الأداة . ووافقه ـ أيضا ـ فى هذا التعريف السكاكى . انظر مفتاح العلوم ١٨٩ .

والثاني : تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم ، والثالث تشبيه اعادة الأجسام باعادة الكتاب ، والرابع تشبيه ضياء السراج بضياء النهار »(١٣) .

أبو هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) .

يقول فى تعريفه : « هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر ، بأداة التشبيه ، ناب منابه أو لم ينب »(١٤) .

ثم يذكر الوجوه الأربعة التى ذكرها الرمانى لحسن التشبيه وبلاغته ، ويرفض استحسان تشبيه المحسوس بالمعقول ويعتبره رديئا ...

الإمام عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ) .

يعرفه خلال عرضه شواهده وتحليلها وتقسيمه الى تشبيه ، وتمثيل بأنه : الجمع بين شيئين فى صفة من جهة الحس أو العقل . وبأنه الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشىء فى نفسه خاصة كالشجاعة فى الأسد والنور فى الشمس(١٥) .

أبو يعقوب السكاكى (٦٢٦ هـ) .

يقول فى تعريفه : « هو وصف المشبه بمشاركته المشبه به فى أمر »(١٦) ..

---

(١٣) النكت فى اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ٨٠ ، ٨١ .
(١٤) كتاب الصناعتين ٢٣٩ .
(١٥) أسرار البلاغة ٦٤ وما بعدها وأنظر الانبابى على البيانية للصبان ٣٨ .
(١٦) مفتاح العلوم ١٧٧ .

الطوفى البغدادى (٧١٦ هـ) ٠

يقول . « هو الحاق أدنى الشيئين بأعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا »(١٧) ٠

الخطيب القزوينى (٧٣٩ هـ) ٠

يعرفه بأنه « الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى ، ولم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، والاستعارة بالكناية ، والتجريد »(١٨) ٠

السعد التفتازانى (٧٩٢ هـ) ٠

يرى السعد أن يزاد على تعريف الخطيب القول : « بالكاف ونحوه لفظا أو تقديرا »(١٩) ٠

ابن يعقوب المغربى (١١١٠ هـ) ٠

يتميز تعريف المغربى بجمعه كل عناصر التعريف وقيوده ، فهو يقول : « هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية ، والمكنى عنها والتجريد ، وذلك بأن يكون بالكاف ونحوها ، لفظا أو تقديرا »(٢٠) ٠

هذه التعريفات وما اتصل بها من شروح دلتنا على أن وجه الشبه يكون أشهر فى المشبه به عن المشبه وأتمل ، كما هو صريح تعريف الطوفى ٠ وأنه لابد من وجود أداة لفظا أو تقديرا ، كما هو فى كلام الرمانى وتعريف السعد ٠

واذا كان هذا هو جوهر التشبيه وحقيقته ، وكنا بصدد الحديث

---

(١٧) الاكسير فى علم التفسير ١٣٢ ٠

(١٨،١٩) المطول على التلخيص ٣١٠ ، ٣١١ ٠

(٢٠) مواهب الفتاح : شروح التلخيص ٣/٢٩٥ ٠

عن أدواته فى دلالاتها واستعمالاتها .. فاننا بحاجة الى التمهيد لذلك ببيان المسائل الآتية :

« المسألة الأولى » أركان التشبيه :

يقوم بناء التشبيه على أركان أربعة : المشبه ، والمشبه به ، والوجه ، والأداة .

فالبحترى فى قوله :

دان على أيدى العفاة وشاسع

عن كل ند فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه

للعصبة السارين جد قريب(٢١)

— يشبه ممدوحه فى شسوع مكانته وعلوه مع قرب عطاياه من العفاة ، بالبدر فى بعد مكانه ، وقرب ضوئه للسارين فى الليل .

فالمشبه (الممدوح) والمشبه به (البدر) ووجه الشبه (البعد مكانا والقرب عطاء) والأداة (الكاف) .

وأركان التشبيه الأربعة قد توجد ، وقد تحذف حذفا على الانفراد ، أو معا ، لوجود دليل ، ما عدا المشبه به (٢٢) .

---

(٢١) البيتان فى الايضاح ١٢١ وديوان البحترى ٢٤٨/١ .

(٢٢) فى حذف المشبه به مناقشة ينظر الأطول ٦٥/٢ وحاشية الانبابى على الرسالة البيانية للصبان ٣٩ .

(المسألة الثانية) الفرق بين التشبيه والتشابه :

الأصل فى التشبيه الحاق الناقص فى الصفة بالكامل فيها ، حقيقة ، أو ادعاء .

قال المعزى :

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك
وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى(٢٣)

فوجه الشبه الذى هو الضخامة ، عند تشبيه صورة الفلك بصورة الجبل فى قوله تعالى : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام »(٢٤) أكمل فى المشبه به عن المشبه حقيقة .

والكمال على سبيل الادعاء قد يكون راجعا الى كون المشبه به مشتهرا بالصفة عن المشبه ، مع كونها أكمل فى المشبه حقيقة ، لكنها لا تدرك فيه الا على سبيل التخييل .

مثال ذلك قوله تعالى فى صفة الحور « كأنهن بيض مكنون »(٢٥) فالحور وان كانت أشد بياضا وحسنا من البيض الا أنه فيها خفى غير معهود لعدم مشاهدته ، وهو فى البيض — وان كان أقل — مشاهد معهود . فكان من هذه الجهة أكمل فى المشبه به لا من حيث الحقيقة (٢٦) .

---

(٢٣) البيت فى التبيان للطيبى ٢٠٠ .
(٢٤) سورة الرحمن ٢٤ .
(٢٥) سورة الصافات ٤٩ .
(٢٦) ينظر الاكسير ١٣٢ وما بعدها .

وقد يكون الكمال ادعاء مبناه مخالفة الواقع دون اعتماد على شهرة . فيجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا . ويلحق الناقص بالكامل على هذا السبيل « ولا نكاد نجد شيئا من ذلك الا والغرض فيه المبالغة .

فما جاء فيه ذلك للعرب قول ذى الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته
اذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا ؟ وذلك أن العادة والعرف فى نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء »(٢٧) .

وهذا التصرف يجعل الأصل فرعا والفرع أصلا لغرض المبالغة ، دليل قوى على أن الأصل فى التشبيه الحاق الناقص بالكامل ، والا لما تحقق بهذا التصرف غرض المبالغة والادعاء .

واذا بان لنا ذلك فانه يتضح أن فيه فرقا بين التشبيه وبين أسلوب آخر يسمى (التشابه) وهو ما يدل على مشابهة كلا الطرفين للآخر على حد سواء . أو مجرد افادة أصل الاشتراك دون نظر الى زيادة أو نقصان(٢٨) .

واذا كان عد هذا النوع من التشبيه لا يخلو من تسامح(٢٩) . فاننا سنتحدث عنه بمزيد بيان مرتبط بشواهده فى القرآن الكريم لسببين :

---

(٢٧) الخصائص لابن جنى ٣٠٣/١ .
(٢٨) ينظر شروح التلخيص ٤١٢/٣ .

الأول : مراعاه هذا الاعتبار ، أى كثرة اطلاق اسم التشبيه عليه على سبيل التسامح .

الآخر : مراعاة أحد نوعيه ، الذى هو فى أصله تشبيه اصطلاحى ، مستوف أركانه ، ووجه الشبه فيه أدخل فى المشبه به ، وأشهر . لكن ترك النظر الى هذا ، وأدخل فى باب التشابه .

وموضع ذلك بمشيئة الله تعالى — المبحث الأخير .

« المسألة الثالثة » المقصود بأداة التشبيه وما يدخل تحتها :

يقصد البلاغيون بأداة التشبيه آلته التى يتوصل بها اليه .

قال الطيبى : « وهى ما يتوصل به الى وصف المشبه بمشاركته المشبه به فى الوجه . وهى : الكاف ، وكأن ، ومثل ، وشبه ، وما فى معناهما . كحكى ، ونحو ، وأخ »(٣٠) .

وعللوا اطلاق (الأداة) عليها لتشمل الاسم والفعل والحرف(٣١) وسماها السكاكى : كلمة التشبيه(٣٢) .

وسماها العضد الإيجى : صيغة التشبيه ، وعلل شارحه — أيضا — هذه التسمية : لتشمل الاسم والفعل والحرف(٣٣) .

وكلام أكثرهم يدل على أن الأداة ليست الكاف ، وكأن ، فحسب . وانما تشمل أسماء وأفعالا ، دون أن يحددوا عددها ، عدا ابن أبى الإصبع فقد قال :

---

(٢٩) ينظر عروس الأفراح ٣/٣٩٣ .
(٣٠) التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ٢١٢ .
(٣١) ينظر عروس الأفراح ٣/٣٨٦ .
(٣٢) مفتاح العلوم ١٨٩ .
(٣٣) شرح الفوائد الغياثية ٢١٤ .

« وأدوات التشبيه خمسة : الكاف ، وكأن ، وشبه ، ومثل ، والمصدر بتقدير الأداة »(٣٤) وهذا الكلام صريح فى ارجاع المصدر الى الكاف ، فتكون الأدوات أربعة .

وقال الخطيب : « وأدواته : (الكاف) فى نحو قوله :

زيد كالأسد ، و (كأن) فى نحو قولك : زيد كأنه أسد .

و (مثل) فى نحو قولك : زيد مثل الأسد . وما فى معنى (مثل) كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة (مثل) و (شبه) ونحوهما (٣٥) .

وقال البهاء السبكى : « كل ما كان بمعنى (مثل) و (شبه) أداة . فمن أدوات التشبيه : الكاف ، وكأن ، وياء النسب ، ومثل، ومثيل ، وشبه ، وشبيه ، ونحو ذكره جماعة .. وضريب ، وشكل ، ومضاه ، ومساو ، ومحاك ، وأخ ، ونظير ، وعدل ، وعديل ، وكفء ، ومشاكل ، وموازن ، ومواز ، ومضارع ، وند ، وصنو . وما كان بمعناها » أو كان مشتقا منها ، من فعل أو اسم ، وأشار الطيبى الى أن من أدوات التشبيه (أفعل التفضيل) مثل زيد أفضل من عمرو ... ومن أدوات التشبيه (لعل) ففى البخارى فى قوله تعالى : « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون »(٣٦) . عن ابن عباس رضى الله عنهما « معناه : كأنكم »(٣٧) .

وقال العصام : « ولا يبعد أن يجعل من أدوات التشبيه صيغة

---

(٣٤) تحرير التحبير ١٦١ .

(٣٥) الايضاح ١٣٣ .

(٣٦) سورة الشعراء ١٢٩ .

(٣٧) عروس الأفراح ٣٩٢/٣ .

(انتفعل) نحو : تحلم ، وتصبى ، وتشيخ ، فانه فى معنى : صار حليما ،وصار صبيا ، وصار شيخا ..و لا يخفى أنه لم يصر شيخا بل صار كالشيخ فى صدور أفعاله عنه ، وظهور صفاته منه (٣٨) .

وهذه الأدوات التى ذكروها ، وان اتفقت ى افادة اشتراك اثنين فى صفة ، الا أن لكل أداة منها خصيصة فى هذه الإفادة ، راجعة الى أصل مادتها اللغوية .

القول بخروج ما عدا (الكاف ، وكأن) :

ناقش بعض البلاغيين دخول ما عدا الكاف و (كأن) فى أدوات التشبيه ، ذاهبين الى أن الكلمات : مثل ، وشبه ، ونحوهما وما اشتق منها ليست من أدوات التشبيه ، والأمثلة التى تجىء فيها ليست من التشبيه الاصطلاحى .

وقد استحسن البهاء السبكى ذلك فى سياق شرحه كلام الخطيب قائلا : « والكلام من المصنف يقتضى أن قولك : زيد يشبه الأسد تشبيه » . وفيه نظر .

قال فى شرح ضوء المصباح : انه ليس تشبيها . فانه كلام متضمن الوصف بالمماثلة بين زيد والأسد ، لا بواسطة أداة تفيد ذلك الوصف ، بل بوضع الجملة الخبرية دالة عليه ، انتهى . وهو حسن . ويلزمه اجراؤه فى (مثل) و (نحو) وغيرهما »(٣٩) .

ويذهب — أيضا — ابن يعقوب الى ذلك قائلا : « ما يشتق من المماثلة ، وما يؤدى هذا المعنى ، كالمضاهاة ، والمحاكاة ، ونحو

(٣٨) الأطول ٨٨/٢ .
(٣٩) عروس الأفراح ٣٨٦/٣ .

لذلك ، كقولك : زيـد يضاهى ، أو يشبه ، أو يحـاكى ، أو يماثـل ، أو مضاه ، أو مشـبه ، أو محـاك عمرا ، فكل ذلك يفيد التشبيه ، والمتبادر أن هذه المشتقات انما تفيد الاخبار بمعناها • فقولك :

زيد يشبه عمرا اخبـار بالمشابهة ، كقولك : زيـد يقوم ، فانـه اخبار بالقيام ، وليس هنا أداة داخلة على المشبه به • ومثل هـذا يلزم فى لفظ (مثل) فعدها من الأداة لا يخـلو من تسامح (٤٠) •

وتحرير القول فى هذا المطلب بما يأتى :

أولا : ان هـذه الكلمات (الأسـماء والأفعال) يعبر بها عن معانيها الوضعية ، فيدل الإخبار بها على معانيها من المماثلة والمشابهة والمشاكله •• الى آخره كما يدل الاخبار بأى فعـل أو اسم مشـتق آخر ، فهى ليست للدلالة على التشـبيه الاصطلاحى وان أفـادت المشـابهة •

فقولنا : زيـد يشبه الأسد ، مثل قولنـا : زيـد يصاحب عمرا فى الحكم بمعنى الفعلـين والاخبار بهما دون اختـلاف • والمثـالان وان أفاد الأول منهمـا اشتراك زيـد والأسـد فى الشبه ، والثانى اشتراك زيد وعمرو فى الصحبة الا أن هذه الافـادة بطريق اللزوم ، لا يتعين القصـد اليها • وان تحقق القصـد اليها فلن يكون المثالان تشبيها اصطلاحيا على حد سواء ، وان كان الحكـم فى الأول بالمشابهة فعـلا •

وقد صرح العلامة السيد بأن قولك : جـاءنى زيـد وعمرو يدل لزوما على مشاركة أحدهما للآخر فى المجىء ، فان قصده المتكلم يعـد

---

(٤٠) مواهب الفتاح ٣/٣٨٦ •

تشبيها لغة لا تشبيها اصطلاحيا ، وكذا نظائره ثم نبه على الفرق بين ثبوت الحكم لشيئين وبين مشاركة أحدهما الآخر فيه بأنهما مفهومان متغايران متلازمان ، وأن دلالة اللفظ على أحدهما ليست عين الدلالة على الآخر وان استلزمتها • كما لا تستلزم دلالة المتكلم على أحدهما دلالته على الآخر ، اذ ربما يكون الآخر غير مقصود عنده أصلا(٤١) •

ثانيا : يدل كلام العصام على أن أداة التشبيه لا تكون لإفادة الحكم بالمشابهة • وانما هى آلة لملاحظة الطرفين والربط بينهما ، للدلالة على الحاق أحدهما (المشبه) بالآخر (المشبه به) •

وعليه فلا تكون الا حرفا •

أى هى غير مستقلة بالمفهومية ، ولا تدل على المعنى بذاتها •

وعبارته : « والأداة ليست أداة للتشبيه ، بل هى أداة دالة لربط أحد الطرفين بالآخر فى مقام التشبيه »(٤٢) •

اذن : أداة التشبيه لملاحظة الغير وارتباط الطرفين ببعضهما ولذلك يتعين وجودها فى اللفظ أو التقدير • وعند التقدير تكون الكاف خاصة ، والدال على التشبيه مجموع الطرفين والأداة ومقام التشبيه •

ولا يدفع هذا ما سبق ذكره عن العصام من أن صيغة (التفعل) من أدوات التشبيه • لأنه ذكر هذا على سبيل عدم استبعاده ممن أدخلوا غير الحروف فى الأدوات بأن يجعلها من الأدوات •

---

(٤١) حاشية السيد على المطول ٣١٠ ، ٣١١ •
(٤٢) الأطول ٢/٦٥ •

ولم يصرح هـو بأنهـا من الأدوات يدل على هذا عبارتـه بهـذا الخصـوص .

ثالثا : أنه مما يعكر على القول بأن الكلمات التي هي أسـماء وأفعال أدوات تشبيه دلالة كل منها على معنى معين عند الإخبار بها ، هو نفسه مضمون وجه الشبه ، لكون مفهوم مثل المشابهة في الجنس والصفة وشبه في الهيئة والصورة ، والشكل في المقـدار والمساحـة ، وهكذا ... وهذا واضح المخالفة للمعهود من التشبيه بالكاف و (كأن) من كون الأداة شيئا والوجه شيئا آخر ، (وخلاصـة القـول) أن اعتبار الأسماء والأفعال التي ذكروهـا من أدوات التشبيه من بـاب التسامح ؛ لأن حقيقتها الحكم بالمماثلة والمشابهة والمشاكلة والمضارعة الى غير ذلك . ولا يسـلم باعتبار شواهدها من التشبيه الاصطلاحي لعدم وجود الأداة ، وان صح كونها تشـبيها لغويـا لإفادة اشتراك اثنين في صفة كما بينـا .

المبحث الأول

الأسماء والأفعال التى تفيد الحكم بالمشابهة

١ ــ كلمة « مثل » (١) :

من الكلمات التى تأتى للاخبار بمعناها كلمة (مثل) والمعنى الذى تدل عليه كون المحكوم عليه بالمماثلة متفقا مع ما يماثله فى جميع الجهات التى يصير بالاتفاق معه فيها على مثاله ، فيكونان جنسا واحدا يسد أحدهما مسد الآخر(٢) .

يدل على ذلك مجىء المادة للدلالة على الاتفاق فى الصورة جنسا وصفة . قال تعالى فى قصة الملك ومريم : « فتمثل لها بشرا سويا »(٣) .

قال الطبرى : « فتشبه لها فى صورة انسى سوى الخلق منهم ، يعنى فى صورة رجل من بنى آدم معتدل الخلق »(٤) .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث الوحى : «وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول »(٥) أى يكون فى

---

(١) جاءت كلمة (مثل) فى القرآن الكريم فى ثمانين شاهدا وقعت فى ثمان وسبعين آية اذ كررت فى آيتين ، منها ستة شواهد سنذكرها فى مبحث (التشابه) وقد رقمنا الشواهد وما أعيد ذكره وضعنا رقمه السابق بين معقوفين .

(٢) ينظر الفروق فى اللغة ١٤٧ وما بعدها .

(٣) سورة مريم ١٧ .

(٤) جامع البيان ١٦/ ٦٠ وانظر الكشاف ٢/٥٠٥ .

(٥) صحيح البخارى ١/٣ .

الصورة من جنس الرجال له من صفاتهم ومن كلامهم ولغتهم ومن أمثلة ذلك في الشعر قول عنترة :

ان المنية لو تمثل مثلت
مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل(٦)

والأصل الذي تقوم عليه المثلية الاتفاق في الجنس . قال في اللسان : « المماثلة بين المتفقين في الجنس »(٧) وعند الاختلاف في الجنس يكون المجيء بها على سبيل المجاز (٨) . ويكون تمام المماثلة وتحققها عند الاتفاق في بقية الصفات ؛ لان الشيء لا يكون مثل غيره في الحقيقة الا اذا أشبهه في جميع الوجوه (٩) . ما عدا ما يقع به التعدد(١٠) .

« وجوه الدلالة بـ (مثل) » :

قلنا : ان المماثلة الاتفاق في الجنس والصفة . الا انه قد يكون محط الاهتمام ابراز الاتفاق في الجنس ، وقد يكون ابراز الإتفاق في صفة أو صفات حتى تتم المماثلة . يدل على هذا ما يصاحب (مثل) من قرائن المقام والسياق .

ذكر سيبويه رحمه الله ـ أن قولك : مررت برجل مثلك ، يحتمل وجوها ثلاثة . قال . « ومن النعت مررت برجل مثلك . فمثلك نعت على أنك قلت هو رجل كما انك رجل . ويكون نعتا أيضا على أنه لم

---

(٦) ديوان عنترة ١١١ وفي الشعر والشعراء ٢٥٤/١ .
(٧) لسان العرب ٤١٣٢ .
(٨) ينظر الاكسير ١٣٢ .
(٩) ينظر الفروق ١٤٩ .
(١٠) ينظر عروس الأفراح ٣٩٣/٣ .

يزد عليك ولم ينقص عنك فى شىء من الأمور . ومثله : مررت برجل مثلك ؛ أى صورته شبيهة بصورتك »(١١) .

فالوجه الأول : الاتفاق فى الجنس . والثانى : الدلالة على المساواة والثالث : الدلالة على المشابهة فى الصورة المحسوسة .

ثم يبقى بعد ذلك تعدد وجوه الاتفاق الى أن تأخذ المماثلة كمالها حتى يمكن أن يسد أحدهما مكان الآخر .

وقد جاء القرآن الكريم مفيدا هذه المعانى بكلمة (مثل) وكذلك جاء الشعر العربى .

« الإتفاق فى الجنس » :

يبدو واضحا كون المقصود من المجىء بـ (مثل) الدلالة على الإتفاق بين الطرفين فى الجنس فى الآيات الآتيه :

١ ـ قال تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير »(١٢) .

(وعلى الوارث مثل ذلك) المماثلة فى جنس الواجب قاله

---

(١١) الكتاب ١/٤٢٣ .

(١٢) سورة البقرة ٢٣٣ .

الزمخشري : « المعنى : وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة »(١٣) .

يدل على ذلك سياق الآية بما تضمن من الاشارة الى هذا الواجب بعد سبق ذكره في أول الآية « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن » .

٢ ــ قال تعالى : « فهل ينتظرن الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين »(١٤) .

فالمعنى والله أعلم ــ هل يبقى هؤلاء الكافرون مصرين على كفرهم لا يصرفهم عن ذلك الا أن يصيبهم الله بأيام من جنس ما أصاب الأمم قبلهم . فالمماثلة في جنس هذه الأيام بما لهذا الجنس من خصائص العذاب والشدة . ومن هذا القبيل قول المساور بن هند :

وأدركني يوم اذا قلت قد مضى
يعود لنا أو مثله فيعود (١٥)

أي من جنس ما عشناه .

٣ ــ قال تعالى : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد »(١٦). يخوف شعيب ــ عليه السلام ــ قومه أن يصيبهم من جنس ما أصاب العصاة قبلهم .

ومن هذا الضرب أيضا ــ الآيات الآتية :

٤ ــ ٥ قال تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم انى أخاف عليكم

(١٣) الكشاف ٣٧١/١ .
(١٤) سورة يونس ١٠٢ .
(١٥) البيت في الشعر والشعراء ٣٤٩/٢ .
(١٦) سورة هود ٨٩ .

مثل يوم الأحزاب • مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد »(١٧) •

(ومثل) الثانية تفيد ما أفادته الاولى • فهي تعرب بـدلاً منها أو عطف بيان •

٦ ـ وقال تعالى : « فان أعرضـوا فقل أنذرتكم صاعقة مثـل صاعقة عاد وثمود »(١٨) •

المماثلة كما سبق فى الجنس • ولا يخفى وجود صـفات لهـذا الجنس • الا أن الأساس بيان المماثلة فى الجنس •

٧ ـ قال تعالى : « يعظكم الله أن تعـودوا لمثله أبدا ان كنتـم مؤمنين »(١٩) المماثلة فى جنس الإفـك والافتـراء والـكذب على رسول الله وأهـل بيتـه •

٨ ـ قال تعالى : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انـا بكل كافـرون »(٢٠) •

أى لولا أوتى من جنس ما أوتى موسى من الكتاب المنزل جمـلة واحدة وقلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الآيات(٢١) •

(الدلالـة على المســاواة) :

وتأتى (مثل) للدلالة على المســاواة مع الاتفـاق فى الجنس

---

(١٧) سورة غافر ٣٠ ، ٣١ •
(١٨) سورة فصلت ١٣ •
(١٩) سورة النور ١٧ •
(٢٠) سورة القصص ٤٨ •
(٢١) ينظر الكشاف ٣/١٨٣ •

كثيرا فى سـياق الحديث عن بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعن جـزاء الحسنة والسـيئة ، وفى آيات المواريث ، وعند الحديث عن الافتداء من العذاب ، وعند بيان قدرة الله على الخـلق وكثـرة عطائـه لهـم •

وشواهد الحديث عن البشريـة جـاءت على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام اثباتا للمساواة فيها ، مع اخبارهم بأنهم يتميزون عن غيرهم بما وراء صفة البشرية من الوحى والتبليغ والهداية ••

وجاءت أيضـا على لسـان الكافرين نفيا للرسالة لمنافاتها — فى زعمهم — البشريـه •

والاخبار بالمساواة فى البشرية على لسـان الأنبيـاء جـاء فى ثلاث آيات • تخبر احداهن بتميز الأنبياء عن غيرهـم بصفة منها الله عليهم ، وفضـلهم بها • والأخريان تخبران بجوهر الدعوة التى تميزوا بها عن سـائر البشر •

٩ — الآيـة الأولى : قول الله تعـالى : « قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشـاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٢٢) •

يحكى الله جل وعلا تسليم الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام بمساواتهم غيرهم فى البشرية ، لكنهم يتميزون عن غيرهم بما من الله عليهم بالرسـالة والوحى والدعـوة اليه • وواضح أن الاخبار بالتميز بالرساله جـاء فى مقابلة الإخبار بالمساواة فى البشرية •

١٠ — الآية الثانية : قوله تعالى : « قـل انما أنا بشر مثلـكم

---

(٢٢) سورة ابراهيم ١١ •

يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »(٢٣) •

توجيه لرسوله ﷺ بأن يقر لهم بمساواته لهم فى البشرية مع تميزه عنهم بالرسالة والدعوة ، التى جوهرها التوحيد الخالص ، ومظهره العمل ، وثمرته الجنة •

١١ ـ الآية الثالثة : قوله تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين »(٢٤) •

اخبار بالمساواة فى البشرية والتمييز بالرسالة •

وقد جاء الاخبار بالمثلية للدلالة على المساواة فى البشرية على لسان الكافرين المعاندين نفيا للرسالة وتبريرا لعنادهم وتعنتهم فى طلب الآيات والمعجزات فى الآيات الآتية :

١٢ ـ قال تعالى : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »(٢٥) •

١٣ ـ وقال تعالى : « قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين »(٢٦) •

---

(٢٣) سورة الكهف ١١٠ •
(٢٤) سورة فصلت ٦ •
(٢٥) سورة هود ٢٧ •
(٢٦) سورة ابراهيم ١٠ •

١٤ ـ وقال تعالى : « لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون »(٢٧)

١٥ ـ وقال تعالى : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين »(٢٨) .

١٦ ـ وقال تعالى : « وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون »(٢٩) .

وواضح من هذه الآية والتى قبلها ما للسياق من دلالة على معنى المساواة ، لأن اثبات صفة البشرية من الأكل والشرب لنفى تميز الأنبياء بشىء عنهم مما يكون دليلا على اختلافهم فى البشرية عن سائر البشر وكذلك نفى التفضل ـ فى الآية قبلها ـ اثبات للمساواة فى البشرية . أما بقية الآيات فمقام الآيات يدل على القصد الى الاخبار بالمساواة فى البشرية .

١٧ ـ وقال تعالى : « ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون »(٣٠) .

١٨ ـ وقال تعالى . « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون »(٣١) .

---

(٢٧) سورة الانبياء ٣ .
(٢٨) سورة المؤمنون ٢٤ .
(٢٩) سورة المؤمنون ٣٣ .
(٣٠) سورة المؤمنون ٣٤ .
(٣١) سورة المؤمنون ٤٧ .

١٩ ــ وقال تعالى : « ما أنت الا بشر مثلنــا فأت بآية ان كنت من الصــادقين » (٣٢) .

٢٠ ــ وقال تعالى : « وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنــك لمــن الكــاذبين »(٣٣) .

٢١ ــ وقال تعالى : « قالوا ما أنتم الا بشر مثلنــا وما أنــزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون »(٣٤) .

وهكذا أفادت هذه الشواهد المماثلة في الجنس والمســاواة في صــفاته .

وتأتى (مثل) عند الحديث عن جزاء الحسنة والسيئة للدلالــة على المساواة فضلا عن الاتفــاق في الجنس ، وذلك لنفى الزيــادة والنقصان .

وتكون المساواة في جانب الحسنة لنفى النقصــان ، أما في جانب السيئة فتكون لنفى الزيــادة ، وهو الغالب الكثير فيها . وقد تكــون لنفى النقصان ترهيبا ، وزجرا عن التمادى في الباطل وهو القليــل فيهــا .

ويكون للمقام والسياق توجيه القصد بالمساواة نفيا النقصــان أو نفيا للزيادة . وشواهد ذلك الآيــات الآتية :

٢٢ ــ قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون »(٣٥) .

---

(٣٢) سورة الشعراء ١٥٤ .
(٣٣) سورة الشعراء ١٨٦ .
(٣٤) سورة يس ١٥ .
(٣٥) سورة الانعام ١٦٠ .

فى الآية شاهدان : أحدهما : لكلمة (مثل) فى جانب الحسنة ولم تأت (مثل) فى الجـزاء عنها الا فى هذه الآية • وهى تدل على نفى النقصان فى الجزاء • ومما يؤكد افادتهـا المسـاواة مجيئها بصـيغة الجمع ، ومعدودة ، لافـادة الزيادة عن طريق ذلك لكون صيغة المفرد تدل على المسـاواة •

الآخر : مجيئها فى جانب السيئة للدلالة على المساواة ، ونفى الزيادة فى الجـزاء • ولأسـلوب القصر دلالته الواضحه على ذلك •

٢٣ ـــ قال تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور »(٣٦) •

المثلية فى كون ما يعاقب به من جنس السيئة التى يعاقب عليها ، ومن بابها بحيث تكون على مقدارها لا تزيد • والأتيان بمثـل دون الكاف للدلالة على أن القصد ليس الى مجرد وقوع الحدثين الـذى يفاد بالكاف ، وانما لافادة أن العقاب مماثل لسببه فى جنسه ومقداره، لأن نصر الله مترتب على هذه المماثلة والله أعلم •

٢٤ ـــ قال تعالى : « من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئـك يدخلون الجنة يرزقـون فيها بغير حسـاب »(٣٧) •

أفادت (مثل) المساواة دفعا للزيادة ، واقامة للعدل بينهم وسياق الآية واضح الدلالة على ذلك •

٢٥ ـــ قال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصـلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين »(٣٨) •

---

(٣٦) سورة الحج ٦٠ •

(٣٧) سورة غافر ٤٠ •

(٣٨) سورة الشورى ٤٠ •

المثلية لإفادة المساواة بعدم مجاوزة الحد فيكون العقاب على قدر السيئة ، ومقام الآية وسياقها واضح الدلالة على ذلك .

٣٦ ـ قال تعالى : « وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »(٣٩) .

أى آتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر ، على أن يكون ذلك على سبيل المساواة ، ورد الزائد من عقب الصداق الذى عند المسلمين ، أو أن يكون ذلك مما عاقبتم بإصابتكم غنيمة منهم(٤٠) .

وقد جاءت (مثل) للدلالة على المساواة . منعا للنقصان فى العقوبة فى الآيات الآتية :

٢٧ ـ قال تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »(٤١) .

الغرض من الآية وسياقها يدلان على المساواة منعا للنقصان لأنها تحث المسلمين على رد العدوان بالعدوان ، دون توان أو تراخ فيه . فان للمسلمين أن يهتكوا على المشركين حرمة الشهر الحرام كما يهتكونه عليهم وألا يبالوا ، وألا يقصروا فى رد الإعتداء لكى لا يتمادوا فى ظلمهم . ثم تختم الآية بما يدل على مراعاة الجانب الآخر من المساواة

---

(٣٩) سورة الممتحنة ١١ .

(٤٠) ينظر الكشاف ٤/٩٤ وتفسير ابن كثير ٤/٣٥٣ .

(٤١) سورة البقرة ١٩٤ .

وهو عدم مجاوزة الحد الذى أحله الله لهم بقوله تعالى « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » فانه من يتق ذلك كان الله معه(٤٢) •

٢٨ ــ قال تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٤٣) •

(بمثلها) أى تساوى ما فعلوه ولا تقل عنه • وسياق الآيه بما يشتمل عليه من بيان حال الذل والهوان التى تتم عليها ، وأنهم لا يحول بينهم وبين عذابه ما يمنعه عنهم أو يخففه ، كل ذلك يدل على أن مثل للمساواة نفيا للنقصان •

وقال أبو حيان : « ــ بمثلها ــ أى لا يزاد عليها »(٤٤) وهذا التفسير لا يتفق مع مقام الآية وسياقها ، وكان أولى أن يقول : أى لا ينقص عنها •

٢٩ ــ قال تعالى : « فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون »(٤٥) •

المثلية للمساواة فى الجزاء ، لدفع توهم النقص فيه ، والتساهل مع الذين يظلمون رسول الله ﷺ بالتكذيب ، فهم يساوون من سبقوهم بتكذيب الأنبياء فيما يصيبهم من العذاب •

---

(٤٢) ينظر الكشاف ٣٤٢/١ •
(٤٣) سورة يونس ٢٧ •
(٤٤) البحر المحيط ١٤٨/٥ •
(٤٥) سورة الذاريات ٥٩ •

وجاءت (مثل) دالة على المساواة فى آيتين من آيات المواريث:

٣٠ ــ قال تعــالى : « يوصــيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أباه فلأمه الثلث فــان كان له اخــوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما »(٤٦) .

٣١ ــ وقال تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجــالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عــليم »(٤٧) .

جاءت (مثل) فى الآية الأولى (للذكر مثل حظ الأنثيين) وفى الآية الثانية (فللذكر مثل حظ الأنثيين) ــ لتدل على المســاواة فى المقدار بحيث لا يزيد ولا ينقص .

وجاءت (مثل) دالة على المساواة فى سياق الحديث عن قــدرة الله وسعة علمه وكثرة عطائه فى الآيات الآتية :

٣٢ ــ قــال تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منهــا أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير »(٤٨) .

---

(٤٦) سورة النساء ١١ .
(٤٧) سورة النساء ١٧٦ .
(٤٨) سورة البقرة ١٠٦ .

قال أبو حيان : « — أو مثلها — أى مساو لها فى التكليف والثواب، وذلك كنسخ التوجيه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة »(٤٩) ودلالة (مثل) على المساواة يساعد عليها .

— أيضا — نظم الآية لأن المثلية للتنويع مع الزيادة ، فالنقصان غير وارد ولأن الآية فى مقام الحديث عن قدرة الله تعالى . وعلمه بما فيه الخير عند التشريع لخلقه ، فكلمة (مثل) أثبتت المساواة بين ما يأتى من الآيات مع ما نسخ منها بحيث لا تنقص عنها .

٣٣ — قال تعالى : « فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »(٥٠) .

٣٤ — وقال تعالى : « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب »(٥١) .

الآيتان تتحدثان عن ايتاء الله أيوب أهله الذين أهلكوا ومعهم ما يساويهم عددا فى الدنيا وعدة فى الآخرة . وهذا لا يكون الا من القادر جل وعلا(٥٢) .

٣٥ — قال تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما »(٥٣) .

---

(٤٩) البحر المحيط ٣٤٤/١ .
(٥٠) سورة الأنبياء ٨٤ .
(٥١) سورة ص ٤٣ .
(٥٢) ينظر البحر المحيط ٣٣٤/٦ .
(٥٣) سورة الطلاق ١٢ .

المعنى — والله أعلم — أى مثلهن فى الجنس والخلق والعدد .

ودلالة (مثل) على المساواة فى العدد لها مزيد اختصاص بالغرض قال الزمخشرى . « ما فى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع الا هـذه »(٥٤) .

٣٦ — قال تعالى : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفـد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا »(٥٥) .

قال الزمخشرى : « ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفـد أيضـا والكلمات غير نـافذة »(٥٦) .

وواضح أن النفاد يرتبط بالمقادير وأن (مثل) هنا للمساواة .

٣٧ — قال تعالى : « فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قـارون انه لذو حظ عظيم »(٥٧) يتمنون أن يكون معهم من المال وعرض الدنيا ما يساوى ملك قارون فكلمة (مثل) للدلالة على المساواة .

أما شواهد (مثل) التى تفيد المساواة فى معرض الحـديث عن الافتداء من العذاب فهى الآيات الآتية :

٣٨ — قال تعالى : « أن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليـم »(٥٨) .

---

(٥٤) الكشاف ١٢٤/٤ .
(٥٥) سورة الكهف ١٠٩ .
(٥٦) الكشاف ٥٠١/٢ .
(٥٧) سورة القصص ٧٩ .
(٥٨) سورة المائدة ٣٦ .

٣٩ ــ وقال تعالى : « للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتــدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهــاد »(٥٩) ٠

٤٠ ــ وقال تعالى : « ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معــه لافتدوا به من ســوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتســبون »(٦٠) ٠

فكلمة (مثل) فى الآيات تدل على المساواة أى أن الله لا يقبــل الفداء وان كان ما فى الأرض جميعا ومعه ما يساويه مقدارا وقيمة ٠ والله أعــلم ٠

دلالة (مثل) على المشــابهة ٠

جاءت (مثل) الدلالة على المشابهة فى الهيئة والصورة مع دلالتها على الاتفاق فى الجنس على حد قولك : مررت برجل مثلك ٠ أى شبهك فى الآيات الآتية :

٤١ ــ قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالــغ الكعبة أو كفارة طــعام مساكين أو عــدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منــه والله عزيز ذو انتقــام »(٦١) ٠

(مثل ما قتل) قال الجمهور : المثلية فى الصــورة والخلقــة ، والصغر والعظم ، اعتمادا على أن (مثل) فى الآية تقتضى بظاهرها

(٥٩) سورة الرعد ١٨ ٠
(٦٠) سورة الزمر ٤٧ ٠
(٦١) سورة المائدة ٩٥ ٠

المثل الخلقى الصورى ، يساعد على ذلك تفسير المثل بقـوله (من النعم) وقوله (هديا بالغ الكعبة) •

وهذا مستند الامام الشافعى رحمه الله — لاستخراج الحكم من الآية ، وهو أن ما يجزى عن قتل الصيد نظيره فى الخلقة والصـورة استدلالا بهذه الدلالة اللغوية لكلمة (مثل) •

أما الامام أبو حنيفة رحمه الله — فقد استدل على كون المثليـة راجعة الى القيمة ، دون الهيئة والصورة — بجزء آخر من السياق ، وهو ارجاع تحديد المثل الى (ذوى عدل) اذ لو كانت المثلية فى الخلقه والصورة لمـا أرجع الأمر الى حكمهما ؛ لعدم خـفاء النظر عندئذ ، وكون معرفة الجزاء مستطاعة(٦٢) •

٤٢ — قال تعالى : « فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينـك موعـدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى »(٦٣) •

حكاية لما قاله فرعون لموسى عليه السلام — وقوله (مثله) أى من جنس ما جئت به ، وعلى هيئته وصورته المشاهـدة ، التى تأخـذ بالأعين ، وتؤثر على المشاهد •

وهذا خبث من فرعون ، ومحاولة منه انكار ما يعلمه من كون مـا جاء به موسى عليه السلام أمر معجز لا يستطيع أحد أن يـأتى بمـا يماثله هيئـة وصـورة •

---

(٦٢) ينظر الكشاف ١/٦٤٤ والبحـر المحيط ٤/١٩ والجامع لاحكام القرآن ٢٣٠٧ •

(٦٣) سورة طه ٥٨ •

الدلالة على تمام المماثلة :

يتحقق تمام المماثلة عند دلالة (مثل) على الاتفاق فى الجنس وصفاته بحيث لا يتميز أحد الطرفين عن الآخر ، فيكونان شيئا واحدا، أو كالشىء الواحد • ويكثر ذلك فى الحديث عن القرآن الكريم وتحدى المعاندين أن يأتوا بمثله • وكـذلك عن البعث واعـادة الأجسام بعد موتها • فمن شواهد تحدى الكافرين الآيات الآتية :

٤٣ ــ قال تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين »(٦٤)•

فى الآية تحـد للكافرين بأن يأتوا بكلام من جنس الكلام الذى يقرؤه محمد ــ ﷺ ــ فى عربيته التى يملكون ناصيتها ودقة تراكيبه ومعانيه ، ويساويه فى علو بلاغته وفصاحته • لكى تصح لهم دعواهم بأنه افتراه واختلقه •

فالمثلية تامة ، لأنها فى الجنس بما له من صفات يدل عليها مقام التحـدى •

٤٤ ــ قال تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » •

أى سورة تماثله فى البلاغة وحسن النظم بحيث يكون ما يأتون به كأنه القرآن • وذلك يستحيل عليهم •

٤٥ ــ قال تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سـور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين»(٦٦)

(٦٤) سورة البقرة ٢٣ •
(٦٥) سورة يونس ٣٨ •
(٦٦) سورة هود ١٣ •

وهي كالآية السابقة • فالمماثلة في كونه من جنس كلامهم وفي التميز بالبلاغة والفصاحة •

٤٦ ــ قال تعــالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثــل هــذا القــرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهــيرا »(٦٧) •

المماثلة في كونهم يأتون بكلام عربي دق نظمه ومعناه •

وعلل أبو حيان مجيء (مثل) الثانية دون الاكتفاء بالضمير لبيان أن المطلوب الأتيان بمثله لا أن يأتوا بالقرآن لجواز حمل المثل على الشيء نفسه أو جيء بضميره ، فكرره توضيحا وتوكيدا(٦٨) •

وهذا يفهم أن المماثلة بلغت حد الكمال ، والا لما كان يصح حمل المثل على الشيء نفسه •

٤٧ ــ قال تعالى : «فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين»(٦٩) أى فليأتوا بحديث مماثل القرآن في بلاغته ودقة معانيه ، واخباره عن الأمم السابقة ، والحكم والمغيبات التي جاءت فيه بحيث يساوي القرآن في ذلك كله ويصير كأنه هو • (ان كانوا صادقين) في أن رســول الله تقــوله •

ولم تأت مثل في مقام التحدي من الكفار بأن يأتوا بمثل القرآن الا في آية واحــدة •

---

(٦٧) سورة الاسراء ٨٨ •
(٦٨) ينظر البحر المحيط ٧٩/٦ •
(٦٩) سورة الطور ٣٤ •

٤٨ ـ قال تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين »(٧٠) .

أى انهم يستطيعون أن يأتوا بمثله فى كونه كلاما من أساطير الأولين وفيه من القصص والحكايات الغريبة وكونه باللغة العربية الفصيحة .

والماثلة التى يدعونها كاذبة ومفتراة لا حقيقة لها .

والشواهد التى جاءت فى معرض الحديث عن البعث واعادة الأجسام وتدل (مثل) فيها على تمام المماثلة من الاتفاق فى الجنس وصفاته وهيئته بحيث لا يكاد يتميز أحد المتماثلين عن الآخر فيكونان كالشىء الواحد هى ما يأتى :

٤٩ ـ قال تعالى : « أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا »(٧١) .

أى ـ والله أعلم ـ مثلهم فى الجنس أى يكونون انسا مثلهم وفى صفات الانسان وهيئته المعروفة التى هم عليها ، فالمثلية تامة فى جميع الصفات .

ومثلها أيضا فى هذه الدلالة :

٥٠ ـ قول الله تعالى : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم »(٧٢) .

---

(٧٠) سورة الأنفال ٣١ .
(٧١) سورة الاسراء ٩٩ .
(٧٢) سورة يس ٨١ .

أى مثلهم فى الجنس والصفات ، وما هم عليه من الهيئة الانسانية المعــروفة .

ويؤكد دلالة (مثل) على تمام المماثلة فى هذه الآية والتى قبلها أن مآل الغرض افادة أن الله قادر على أن يخلقهم اعادة كما خلقــهم بــدءا .

٥١ ــ قال تعالى : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين* على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون »(٧٣) .

٥٢ ــ وقال تعالى : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبــديلا »(٧٤) .

(أمثال) جمع مثل بسكون الثلثة . والمراد المماثله فى الخلقــة البشرية وصفاتها ، والهيئة التى بدأ عليها خلقهم .

وقد جوز الزمخشرى أن تكون (أمثال) جمع مثل بالفتح بمعنى صفة(٧٥) وان كان كذلك فالصفة صفة ظاهرة متصلة بالهيئة والصورة .

٥٣ ــ قال تعالى : « إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد »(٧٦) .

أى لم تخلق مدن مثلها فى عظم أجرامها وقوة بنيانها . وامتلائها بأهلها . فالمماثلة تامة فى الجنس وصفاته وهيئته الظاهرة المرئية .

ومن الشواهد التى يتسع فيها مجال المماثلة اتساعا ناشئا من المقام

---

(٧٣) سورة الواقعة ٦٠ ــ ٦١ .

(٧٤) سورة الانسان ٢٨ .

(٧٥) ينظر الكشاف ٥٦/٤ .

(٧٦) سورة الفجر ٧ ، ٨ .

الدال على قصد المماثلة فى كل شىء حتى يمكن أن يقصد بالمثلين شيئا واحدا فيقال : هو هو — الآية الآتية :

٥٤ — قال تعالى : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »(٧٧) .

(ليس كمثله شىء) المثل المنفى عنه مشابهة شىء له مقصود به — على سبيل الفرض — من يسد مسد من يماثله ، لكونه على أخص أوصافه ، وكان المقصود ذلك لأن الغرض تحقيق نفى المماثلة لله تعالى عن طريق الكناية ، لأن نفى المشابهة للمثل نفى لمشابهة غير الله له .

ومما يشهد لدلالة (مثل) على تمام المماثلة ، وأنها فى الجنس وجميع الصفات أن العرب كثيرا ما تكتفى بالكلمة (مثل) عن الذات . ومثاله : أن تقول : مثلى لا يقال له هذا . أى أنا لا يقال لى هذا(٧٨) .

قال الفرزدق :

وتقول كيف يميل مثلك للصبا
وعليك من سمة الكبير عذار(٧٩)

أى تميل أنت .

ومن هذا القبيل قول السابق (طرفة بن العبد) :

---

(٧٧) سورة الشورى ١١ .

(٧٨) ينظر الكشاف ٣/٤٦٢ والبحر المحيط ٧/٥١٠ .

(٧٩) ديوان الفرزدق ١/٣٧٢ وفى الشعر والشعراء ١/٤٩٣ .

على مثلها أمضى اذا قال صـــاحبى
ألا ليتنى أفديك منهـا وأفتـدى(٨٠)

(على مثلها) يريد ناقته أى عليها أمضى ..

ومنه أيضا قول الشماخ :

على مثلهـا أقضى الهمـوم اذا اعترت
اذا جاش هم النفس منها ضميرها(٨١)

(على مثلها) أى عليها ، على حد قولك : مثلك يحمى الحريم . أى أنت تحمى الحـريم .

(بقـاء مـا يقع بـه التعـدد) :

اذا كان الأصل فى المماثلة الاتفـاق فى الجنس والصـفة فانه لا يمنع المماثلة أو يغض منها وجود اختلاف فى بعض الصفات . لأن هذا أمر يقتضيه التغاير بين الأشياء .

٥٥ ــ قال تعالى : « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القـوم الظالمين »(٨٢) .

قال الزمخشرى : « على مثله ــ الضمير للقرآن ، أو على مثله فى المعنى ، وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعـانى القـرآن ،

(٨٠) البيت فى شرح المعلقات السبع الطوال ١٨٢ . والضـمير فى (منهـا) للفلاة . وجاء به مع عدم تقدم ذكرها لدلالة المعنى عليه كقوله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) سورة ص ٣٢ .
(٨١) ديوان الشماخ ١٦٩ .
(٨٢) سورة الأحقاف ١٠ .

من التوحيد ، والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك ، يدل عليه قوله تعالى : « وانه لفى زبر الأولين »(٨٣) وقوله : « ان هذا لفى الصحف الأولى »(٨٤) »(٨٥) .

والمعانى وان كانت متطابقة بين المتماثلين : القرآن ، والكتب المسابقة من حيث اشتمالها على جوهر التوحيد ، والاسلام لله تعالى والدعوة الى مكارم الأخلاق الا أن فيه تميزا بينهما فى خصوص المناسبة والمنزل عليه ، وأمة الرسول ، وغير ذلك من الصفات التى تخص كل واحد دون الآخر .

فالمثلية لا تنافى بقاء ما يدل على تميز الطرفين ، لاستحالة اتفاقهما فى كل شىء ، والا كانا شيئا واحدا . لذلك فانه عندما تأخذ المماثلة تمامها فلن يغيب عن المدقق أن يلاحظ ما بين المتماثلين من اختلاف مهما تماثلا .

(اختلاف الطرفين فى النوع) :

واذا كانت المثلية تقتضى الاتفاق فى الجنس والصفة ، فانه لا يتعين أن يكون طرفاها متفقين فى النوع ، اذ لا يمتنع تحققها مع اختلافهما .

٥٦ — قال تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف والرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »(٨٦) .

---

(٨٣) سورة الشعراء ١٩٦ .
(٨٤) سورة الأعلى ١٨ .
(٨٥) الكشاف ٥١٨/٣ .
(٨٦) سورة البقرة ٢٢٨ .

قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن » المماثلة فى الجنس والصفة من حيث كونهما واجبين ، لا ينبغى التفريط فيهما من الزوج والزوجة وان كان الواجبان مختلفين من حيث النوع . فنوع الواجب على الزوج غيرة على الزوجـــة .

قال الزمخشرى : « والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب للواجب فى كونه حسنة ، لا فى جنس الفعل ، فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه ، أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك . ولكن يقابله بما يليق بالرجال »(٨٧) .

وكلامــه وان أفهم اختلافهما فى الجنس ، الا أن الجنس الذى قصده هو الداخل تحت جنس الواجب ، والذى صرح به أول كلامه .

وقد ذكر أبو حيان ضروبا من المعانى المثلية فى الآية تفيد تحقق المثلية فى الجنس والصـــفة(٨٨) .

[٢٢](*) ـــ قـــال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالهـــا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون »(٨٩) .

قال أبو حيان : « لا يلزم فى المثلية أن تكون فى النوع ، بل يكفى أن تكون فى قدر مشترك ، اذ النعيم السرمدى والعذاب المؤبد ليســـا مشتركين فى نوع ما كان مثلاهما ، لكن النعيم مشترك مع الحسنة فى كونهما حسنتين ، وهذا بمشترك مع السيئة فى كونهما يسوءان »(٩٠) .

---

(٨٧) الكشاف ٣٦٦/١ .
(٨٨) ينظر البحر المحيط ١٨٩/٢ .
(*) وضـــع الرقم بين معقوفين للدلالة على سبق الاســـتشهاد بالآية تحت هذا الرقم لكلمة التشبيه نفسها .
(٨٩) سورة الأنعام ١٦٠ .
(٩٠) البحر المحيط ٢٦١/٤ .

فالجنس الذى يحصل فيه الاتفاق هو جنس الحسنة ؛ وجنس السيئة . وان اختلفا فى النوع لأن حسنة العبد حسنة دنيوية ، وكذلك سيئته . فهما غير دائمتين ، بخلاف الجـزاء عليهما .

(المبالغة فى الدلالة على المماثلة) :

عندما يتحقق للمماثلة كمالها قد يسلك بكلمة (مثل) مسلك المبالغة فى الدلالة على المماثلة ، بأن يقلب الحكم بها فيجعل ما شأنه أن يكون محكوما عليه محكوما به . وجاء ذلك فى آية واحـدة .

٥٧ ــ قال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثـل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله مـا سـلف وأمـره الى الله ومن عـاد فأولئك أصـحاب النار هم فيهـا خالدون »(٩١) .

« انما البيع مثل الربا » هذه مقالة الكافرين الذين يحـلون مـا حرم الله ، ادعوا المماثلة بين الربا والبيع ثم بالغـوا فى اثبـات هـذا الادعاء وعكسوا بجعل البيع مثل الربا .

قال الزمخشرى : « فان قلت : هلا قيل : انما الربـا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع ... قلت : جىء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصـلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به لبيع »(٩٢) .

وكلام الزمخشرى واضح فى أن المجىء بـ (مثـل) لتشـبيه

---

(٩١) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٩٢) الكشاف ٣٩٩/١ .

البيع بالربا فى الحل ، وجاء هذا التشبيه معكوسا لافادة المبالغة فى هذه المشابهة ، فمثل بمعنى (الكاف) لمجرد التشبيه فى صفه •

وكلام ابن المنير تعقيبا على ما ذكـــره الزمخشرى على أن مآل اختلاف وضع الطرفين فى الجملة الى مقصد واحد من اثـــبات الحكم على طريق قياس الطرد أو العكس ، فليس فيه حاجة الى اعتبار أحدهما خارجا عن الظاهر لعذر المبالغة(٩٣) •

على أنى أرى أن الاتيان بـ (مثـــل) دون الكاف للدلالة على تمـــام المماثلة بين الربا والبيع فى كونهما عقدين ، فهما من جنس واحد وفيهما من منافع المبادلة ، وكذلك الحل ، فهما على حـــد ســـواء على حسب مدعاهم ، ثم بالغوا فى اثبات هذه المماثلة بجعـــل الفرع أصـــلا والأصـــل فرعا • والله أعـــلم •

(المماثلة بين الأفعـــال) :

كما تأتى (مثل) للحكم بالمماثلة بين الذوات ، تأتى — أيضا — للحكم بالمماثلة بين الأفعال والأحوال ، المدلول عليها بالفعل أو المصدر صريحا أو مؤولا ، شأنها فى ذلك شأن الكاف • غير أن (مثل) تختلف بحكم طبيعة دلالتها على الإتفـــاق فى الجنس والصفه • اذ يتعـــين عند الحكم بها المماثلة بين الفعـــلين فى صفاتهما وخصائصهما ، لا فى مجرد الوقوع كما هو حـــال الكاف فى أحد استعـــماليها كما ســـنبين ذلك فى مبحثها ان شـــاء الله •

يجلى لنا ذلك الشـــواهد الآتية :

٥٨ — قال تعالى : « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينـــكم قـــال إن

---

(٩٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف ١/٣٩٩ •

الهدى هدى الله أن يؤتى أحـد مثل ما أوتيتم أو يحاجـوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشـاء والله واسع عليم »(٨٤) •

قوله : (أن يؤتى أحـد مثل ما أوتيتم) المماثلة فيه تحتمـل : اما أن تكون بين المصـدرين على معنى اخبار الرسول ﷺ ـ أمتـه بأن الله لا يعطى أحدا ولا أعطى فيما سلف مثل عطائـه أمـة محمـد من الأسلام والهدى ، أو كونها أمة وسطا • فالمماثلة بين العطاءين في الجنس والصفة من خصوصية الفضل والتكريم •

واما أن تكون (مثل) صفة لموصوف محذوف (اسـم ذات) وليست صفة للمصـدر • أى أن يؤتى أحد كتابا مثـل الكتـاب الذى أعطاه الله لكم • والمماثلة أيضـا فى الجنس والصفة • أى كتابـا من جنس القرآن وعلى صفته : بلاغة ، ودقـة أحكام وتشريع •

وهذان الاحتمالان المذكوران من كون المماثلة بين الافعال أو بين الذوات يجريـان أيضا مع كون هذا الكلام (أن يـؤتى أحـد ••) حكاية لمـا قاله اليهود لبعضهم (٩٥) •

٥٩ ـ قال تعـالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبـا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ومن قـال سأنزل مثل ما أنزل الله ولا ترى اذ الظالمـون فى غمرات الموت والملائكـة باسـطو أيديهـم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بمـا كنتم تقولـون على الله غير الحـق وكنتم عن آيـاته تسـتكبرون »(٩٦) •

قوله (سأنزل مثل ما أنزل الله) حكاية لقـول كاذب • والمعنى :

---

(٩٤) سورة آل عمران ٧٣ •
(٩٥) ينظر جامع البيان ٣/٣١٣ والبحر المحيط ٢/٤٩٤ •
(٩٦) سورة الأنعام ٩٣ •

أى يكون منى انزال كلام كانزال الله ــ حسب زعمكم ــ على محمد ، فالمماثلة بين الفعلين ، ويؤيده كونه لا يعتقد أن الله أنزل شيئا ، ولفظ (ما) ، عندئذ موصول حرفى ، وتسميته ما يأتى به انزالا مجاز ، لأن المعنى على نظمه كلاما كنظم القرآن(٩٧) فالمماثلة ليست فى مجرد الفعل ، بل مع صفته .

ويصح كون (ما) اسما موصولا مرادا به القرآن الكريم ، وتكون المماثلة بين ما يؤلفه وبين القرآن الكريم فى الجنس لكونهما كلاما عربيا وفى الصفة من البلاغة ودقة النظم .

٦٠ ــ قال تعالى : « واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون »(٩٨) .

تحكى الآية الكريمة مقالة الكافرين المعاندين ، وتعليقهم ايمانهم على أن يؤتوا مثل ما أوتى رسل الله ، أى أن يكون ايتاء الله لهم مماثلا لإيتائه رسله من المعجزات ، فيحيى لهم الأموات ويفلق لهم البحر ونحو ذلك(٩٩) .

فالمماثلة بين الفعلين فى الجنس فكلاهما عطاء وكذلك فى صفة هذا العطاء والفضل بأن يكون على صفة ما أعطى رسله .

أو أن تكون المماثلة بين ذاتين أى أن تؤتى كتابا مثل الكتب التى يؤتيها الله رسله ، لأن الرسل ــ على حسب زعمهم قاتلهم الله ــ ليسوا أفضل منهم .

---

(٩٧) ينظر البحر المحيط ١٨٠/٤ .

(٩٨) سورة الأنعام ١٢٤ .

(٩٩) ينظر البحر المحيط ٢١٦/٤ .

٦١ — قال تعالى : « بل قالوا مثل ما قــال الأولون »(١٠٠) •

أى قالوا قولا مثل قول الأولين وهو قولهم : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثــون •

والمماثلة بين الفعلين أقرب وقد مال الى ذلك الزمخشرى قــال « أى قال أهل مكة كما قــال الكفار قبلهم »(١٠١) أى كقول الكفــار قبلهم • بصــفته التى كانت له • فمثل دلت على أن المماثلة ليست فى مجرد كونهما قولين وانما فى خصوصيات هذا القول •

ومجىء (مثل) للدلالة على المماثلة بين الأفعال كثير فى الشعر من ذلك قول سويد بن أبى كاهل عن حاسده :

لــم يضرنى غــير أن يحســدنى
فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع (١٠٢)

فالمماثلة بين فعلين جنسا وصفة •

وقال أبو عرار عمرو بن شأس يوصى زوجته بابنه .

فان كنت منى أو تريــدين صحبتى
فكونى لــه كالسمن ربت له الأدم
والا فبيــنى مثــل ما بــان راكب
تيمم خمسا ليس فى ســيره أمم(١٠٣)

---

(١٠٠) سورة المؤمنون ٨١ •

(١٠١) الكشاف ٣/٤٠ •

(١٠٢) يزقو : يصيح — والضوع : ذكر البوم — والبيت فى الشعر والشعراء ١/٤٢١ •

(١٠٣) الأدم : النحى ، أى كونى له كسمن رب أديمة ، أى طلى بربّ التمر — الخمس : من أظماء الابل ، وهو أن ترد الابل المـاء اليوم الخامس • الأمم : القرب والقصد • والبيتان فى الشعر والشعراء ١/٤٢٥ •

أى بينى بينا مماثلا بين راكب ليس فى سيره قصد

وقال كعب بن زهير يرفع من شأن الحطيئة !!

فمن للقــوافى شـــأنها من يحــوكها
اذا مـــا مضى كعب وفــوز جــرول

كفتيك لا تلقى من النـــاس واحدا
تنخــل منهـــا مثــل مـــا يتنخــل

يثقفــــها حتى تلـــين كعــوبها
فيقصر عنها من يسىء ويعمل (١٠٤)

وهــكذا ...

وقد يؤتى بكلمة (مثل) للدلالة على المماثــلة بين المختلفين من حيث كون أحدهما ذاتــا والآخــر فعـــلا .

٦٢ ــ قال تعالى : « فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقــون »(١٠٥) .

(انه لحق) الضــمير هو المشبه ، وهــو عائـــد على الكـــلام السابق ، فتكون المماثلة فى الجنس والصفة من حيث ان الطرفين فيـــه اشتركا فى جنس القول ، وفى الصفة من حيث كونهما حقا .

وعبارات العلماء تدل على ذلك . قــال الطبرى . يقــول تعـــالى ذكره ؛ مقسما لخلقه بنفسه ، فورب الســـماء والأرض ان الذى قلت

---

(١٠٤) الأبيات فى الشعر والشعراء ١/١٥٦ . وقد قالها كعب بعد أن طلب منه الحطيئة أن يذكره فى شعره ليذكره الناس به .

(١٠٥) سورة الذاريات ٢٣ .

لكم أيهـا الناس ان فى السـماء رزقكم وما توعدون لحق كما حـق أنكم تنطقون »(١٠٦) ٠

وقال الزمخشرى : « هذا الضمير اشارة الى ما ذكر من أمـر الآيـات والرزق ، وأمر النبى ﷺ ، أو الى ما توعدون »(١٠٧) ٠

ويذكر أبو حيان وجوها لعود الضمير ، ثـم يستظهر عوده الى مثل ما ذهب اليه الطبرى والزمخشرى قائلا : « والضـمير فى (انه) عائد على القرآن ، أو الى الدين الذى فى قوله (وان الدين لواقـع) أو الى اليوم المذكـور فى قـوله (أيـان يـوم الـدين) أو الى الرزق ، أو الى الله ، أو الى النبى ﷺ ، أقوال منقولة ٠ والـذى ظهر أنه عائد على الإخبار السـابق من الله تعالى فيما تقدم فى هـذه السـورة من صدق الموعود ووقوع الجـزاء ، وكونهم فى قول مختلف ، وقتل الخراصـون وكينونة المتقين فى الجنة على ما وصف ، وذكـر أوصـافهم وما ذكر بعـد ذلك ٠ ولذلك شـبه فى الحقيقة بمـا يصدر من نطق الانسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام »(١٠٨) ٠

وقـد أطلت تفصيل ذلك بنقول من كلام السـلف لبيان دلالـة (مثل) على المماثلة فى الجنس والصفة بين الأفعال فى الآية المذكورة على الوجه الظاهر من كون الضـمير عائـدا على فعـل ومعنى من المعـانى ٠

أما بعض الوجوه الأخرى من عود الضمير على الله ، أو النبى ، أو الرزق الى آخر ما قيل ٠٠ فان (مثل) معها لا تفيـد المماثلة فى

---

(١٠٦) جامع البيان ٢٠٦/٢٦ ٠
(١٠٧) الكشاف ١٧/٤ ٠
(١٠٨) البحر المحط ١٣٦/٨ ٠

الجنس ، كما هو واضح من حقيقة الطرفين • فتكـون المماثلة غـير تامة •.

ولعل أبا حيان استظهر عود الضمير على الإخبار السابق الذى أداته الكلام اعتمادا على دلالة (مثل) من كونهم قالوا : انهـا تدل على الاتفـاق فى الجنس والصـفة • ويكون مرجع تصعيف الوجوه الأخرى فى ارجـاع الضـمير ترتب عدم الاتفـاق فى الجنس عند الإخبار بمثل • وهو ما يخالف أصل دلالتها •

وانما نجزم بأن هذا ما حمل أبا حيان على ذلك لان له رأيـا فى دلالة (مثل) سنعرفـه فيما يأتى • ويجرى ما ذكرنا مع وجـوه الإعراب فى (مثل) سـواء كانت مرفوعـة صفة لحق ، أو كـانت بالفتح على أنها مع (مـا) فى موضع رفع صفة ــ أيضا ــ لحـق ، أو كانت فتحة نصب صفه لمصـدر محذوف(١٠٩) •

رأى أبى حيان فى دلالة (مثل) :

يذهب أبو حيان الى أن (مثل) تدل على مطلق الاتفاق ولو فى جهة واحدة ، فلا يتعين فى دلالتها الاتفاق فى جميع الصـفات ماعدا ما يقع به التمايز ــ كما سبق ــ من بيـان دلالتها •

فعند تفسيره قول الله تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتـوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صـادقين »(١١٠) •

ــ يقول : « المماثلة تقع بأدنى مشابهة » ويكرر ذلك فى مواضع مختـلفة (١١١) •

---

(١٠٩) ينظر الكتاب ١٤٠/٣ والخصائص ١٨٣/٢ •
(١١٠) سورة البقرة ٢٣ •
(١١١) البحر المحيط ١٠١/١ وانظر ٣٦٧/١ ، ٦٢/٣ •

وقد سبقه الزمخشرى بمثل ذلك قائلاً : « المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف »(١١٢) لكن يبدو أنه أطلق المماثلة وأراد بها المشابهة على سبيل التوسع فى العبارة ، والمشابهة يكفى فيها بعض الأوصاف .

والذى يدل على هذا القصد أن كلامه هذا جاء فى سياق تفسيره قول الله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(١١٣) .

فقد بين ما تفيده الكاف فى الآية لا ما تفيده (مثل) لأنها ليست موجودة فى الآية ، وانما الموجود كلمة (مثل) بفتح المثاثة بمعنى (صفة) فالكاف أفادت مشابهة عيسى لآدم فى خرق العادة عند الخلق ، فأطلق الزمخشرى المماثلة مريدا المشابهة التى يكفى فيها بعض الأوصاف .

والذى نرتضيه ما سبق أن قررناه وقال به العلماء ، من أن المماثلة تفيد الإتفاق فى الجنس والصفة .

قال أبو هلال عن مثل الشىء : « لا يكون مثله فى الحقيقة الا اذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته »(١١٤) .

وجاء فى عروس الأفراح « لفظ المثل دال على المساواه بين الشيئين الا فيما لا يقع التعدد الا به ، هذا حقيقته . ويستعمل مجازا فيما دون ذلك »(١١٥) .

---

(١١٢) الكشاف ٤٣٣/١ .
(١١٣) سورة آل عمران ٥٩ .
(١١٤) الفروق فى اللغة ١٤٩ .
(١١٥) عروس الأفراح : شروح ٣٩٣/٣ .

لكن البهاء السبكى أتبع ذلك ببعض الآيات قائلا انها أفادت التشبيه فى شىء واحـد لا من كل وجـه(١١٦) مع أن بعض هذه الآيـات تفيد المماثلة فى الجنس والصفة ، كما سبق أن استشهدنا بها عـلى دلالة (مثل) على تمام المماثلة . كقوله تعالى : (فأتوا بسـورة من مثلـه)(١١٧) .

وقوله تعالى : (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليـكم)(١١٩) وقوله تعـالى : « انما البيع مثل الربـا »(١٢٠) .

أما بعض الآيات الأخرى فواضح فيها دلالة (مثل) على التشـبيه فى صفة . فتكون على سبيل المجـاز . من اطلاق دلالتها على الاتفاق فى الجنس والصـفة الى مجرد الاتفاق فى صفة .

وهذا الضرب الثانى وهو ما كان القصد فيه الى الحكم بالمماثلة فى صفة . فتكون على سبيل المجـاز . من اطلاق دلالتها على الإتفاق الى نوعين :

لأن الطرفين فيه قد يكونان متماثلين أيضا فى الجنس ، وقد يكونان مختلفـين فيه .

فمن شواهد النوع الأول ما يـأتى :

٦٣ ــ قال تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سـمعتم

---

(١١٦) المرجع السابق الموضع نفسه .
(١١٧) سورة البقرة ٢٣ .
(١١٨) سورة البقرة ١٩٤ .
(١١٩) سورة البقرة ٢٢٨ .
(١٢٠) سورة البقرة ٢٧٥ .

آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا »(١٢١) .

(انكم اذا مثلهم) أى فى الإثم والمعصية . ذكر أبو حيان عن ابن عطية قوله : وهذه المماثلة ليست فى جميع الصفات ، ولكنه الزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة »(١٢٢) .

وهذا الكلام معناه أن الاتفاق فى الصفة دون الجنس لكن يبدو أن مثل هنا تدل على المماثلة فى الصفة الدالة على الاتفاق فى الجنس — أيضا — لأنهما اتفقا فى النفاق والكفر . لأن القعود معهم وقت الاستهزاء رضا بالكفر والراضى بالكفر كافر(١٢٣) .

ولا ضير اذا راعينا هذا الأعتبار أن تكون المماثلة تامة ويكون استعمال (مثل) حقيقة فى دلالتها . لأن الإتفاق فى صفات الكافرين وتحقق ذلك فى الطرفين يقتضى كونهما جنسا واحدا ، والمماثلة بينهما حقيقة .

٦٤ — قال تعالى : « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير »(١٢٤) .

(ولاينبئك مثل خبير) هذا من الإيجاز فى العبارة(١٢٥) .

قال الزمخشرى : ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به،

---

(١٢١) سورة النساء ١٤٠ .
(١٢٢) البحر المحيط ٣/٣٧٤ .
(١٢٣) ينظر الكشاف ١/٥٧٢ .
(١٢٤) سورة فاطر ١٤ .
(١٢٥) ينظر دلائل الاعجاز ٣٣٠ .

يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به »(١٢٦) .

فالمماثلة على سبيل النفى أى لا يماثل الجاهل بحقيقة الأمر من يعلمه ويخبر به فى صحة الإخبار بالحقيقة .

فالمماثلة فى صفة وهى المنظور اليها والمقصودة من العبارة ولا ينظر الى الجنس وان اتفق الطرفان فيه من حيث الإنسانية وصفتهما ومن حيث القيام بالأخبار .

وان أريد بالخبير الله تبارك وتعالى فالاختلاف ذاتا واضح . ويكون القصد الى الصفة وهى دقة الإخبار بالأمر على سبيل نفيها . أى نفى مماثلة غير الخبير لله تعالى .

قال الطبرى : وذلك الخبير هو الله الذى لا يخفى عليه شىء كان أو يكون سبحانه »(١٢٧) .

وذكر هذا — أيضا — أبو حيان عن المفسرين ، ثم حكى عن ابن عطية احتمال أن تكون الجملة من تمام ذكر الأصنام وأنها المرادة بكلمة خبير(١٢٨) .

ويكون الجنس أيضا مع هذا الاحتمال مختلفا .

ومما هو على طريقة الآية مع اختلاف الجنس قول عمرو بن كلثوم

وما منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا(١٢٩)

---

(١٢٦) الكشاف ٣٠٤/٣ .
(١٢٧) جامع البيان ١٢٦/٢٢ .
(١٢٨) ينظر البحر المحيط ٣٠٥/٧ .
(١٢٩) البيت فى شرح القصائد السبع الطوال ٤٢٥ .
والقلين : جمع قلة وهى خشبة يلعب بها الصبيان .

أى ليس فيه شىء يماثل الضرب فى منع الظعائن وصونها •

وقـــول الشـــماخ :

ولم يسل أمرا مثل أمر صريحة   اذا حاجة فى النفس طال اعتراضها(١٣٠)

المعنى : أنه اذا كان هناك أمر يقلق النفس فانه لا يسـليها عنه الا عزيمـــة صـــارمة •

أى ليس فيه شىء يماثل العزيمة فى تسليمه النفس •

٦٥ ــ قال تعالى : « هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سـبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسـه والله الغنى وأنتـم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(١٣١)•

(لا يكونوا أمثـالكم) أى فى الخلاف والتولى والبخل • فنفى المماثلة فى هذه الصـفات ، وقيل فى هؤلاء : هم الملائكة ، وقيـل : هم الأنصار وقيل : فارس والروم الى غير ذلك(١٣٢) •

فعلى القول بأنهم قوم من البشر تكون المماثلة فى الجنس محققـة لكن القصد لا يتجه اليها وانمـا الى الصـفة التى أريد نفى المماثـلة فيها • فيكون المعنى على نفى المماثلة فى الصفة لا نفى الجنس معها •

أما على القول بأنهم الملائكة فتكون المماثلة المنفيـة فى الصـفة دون نظر الى الجنس لأن الجنس بطبيعته ليس فيه اتفاق •

أما النوع الثانى : وهو ما قصد فيه الحكم بالمماثلة فى صـفة مع أختلاف الجنس فمنه ما يـأتى :

---

(١٣٠) ديوان الشماخ ٢١٥ •
(١٣١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨ •
(١٣٢) ينظر الكشاف ٣/٥٤٠ والبحر المحيط ٨/٨٦ •

٦٦ — قال الله تعالى : « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين »(١٣٣) .

(أن أكون مثل هذا الغراب) تخبر الآية الكريمة بندم قابيل على قتل أخيه هابيل ، وتمنيه أن لو كان مثل الغراب فى معرفة ما ينبغى أن يكون فى مثل حالته فيوارى سوأة أخيه ، فالمشابهة فى صفة والجنسان مختلفان . وهذا الاختلاف ، والتباين مع ما للانسان من تميز هو الذى ألهب فى نفسه نار الندم ، والحزن لفقد الهام الفطرة لما ينبغى أن يكون فى هذا الموقف .

والصفة هنا صفة معنوية .

وما جاء فى الشعر من قبيل ذلك كثير .

قال الأعشى يمدح قوما :

قوم بيوتهم أمن لجارهم
يوما اذا ضمت المحضورة الفرغا
وهم اذا الحرب أبدت عن نواجزها
مثل الليوث وسم عانق نقعا(١٣٤)

فـ (مثل) دلت على المماثلة بين هؤلاء وبين الليوث والسم فى صفة الجرأة ، وشدة الاصابة والقتل . والبعد بينهما فى الجنس واضح وقال حسان :

وقافية مثل السنان رزئتها
تناولت من جو السماء نزولها

---

(١٣٣) سورة المائدة ٣١ .
(١٣٤) ديوان الأعشى ٢٠٨ .
والمحضورة الجماعة الحاضرة والسم العاتق القوى القاتل .

فقالت ابنته :

يراهـا الذى لا ينطق الشـعر عنده
ويعجز عن أمثالهـا أن يقولها(١٣٥)

فمثل فى البيت الأول تدل على المماثلة فى صفة القوة والمضـاء دون أن يكون بين المتماثلين اتفاق فى الجنس •

وفى الثانى — وهى بصيغة الجمع — تدل على المماثلة فى الجنس والصفة • وقد تكون كلمة (أمثال) جمع (مثل) بفتح الثلثة ، بمعنى الحكمة وعايه فلا شاهد فيها •

٦٧ — قال تعالى : « وحور عين • كأمثال اللؤلؤ المكنون »(١٣٦)

(كأمثال) جمع (مثل) والنظر فى المماثلة من عدة وجوه : من ناحية دلالة الآية على المماثلة دلالة حقيقية ، أو مجـازية • ومن ناحية مجىء لفظ (مثل) جمعا ، ومن ناحية اجتماعها مع الكاف واحتـمال زيـادة احداهما •

أما من الناحية الأولى — وهى عرضـنا الآن — فقـد جـاءت (مثل) للدلالة على الشـبه فى الصـورة المشاهـدة ، التى تجمـع بين الحـور واللؤلؤ • وتعنى بها الصفاء والتلألؤ ، والذى أكدهـا إتبـاع اللؤلؤ بصفة الكن والحفظ (مكنون) قـال أبـو حـيان : « وصف اللؤلؤ بالمكنون لأنه أصفى وأبعد من التغير »(١٣٧) •

وواضح أن بين المحكوم بينهما بالمماثلة اختلافا فى الجنس •

---

(١٣٥) البيتان فى الشعر والشعراء ٣٠٧/١ •
(١٣٦) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣ •
(١٣٧) البحر المحيط ٢٠٦/٨ •

فالمماثلة هنا ليست كاملة . فالاتيان بكلمة (مثل) خروج بها عن أصل دلالتها وتجوز بها فى هذه الدلالة .

وهذه شواهد من الشعر جاءت فيها (مثل) للدلالة على الاتفاق فى الصورة المشاهدة مع اختلاف الطرفين فى الجنس على سبيل المجاز .

قال لبيد :

تأوى الى الأطناب كل رذية مثل البلية قالص أهدامها(١٣٨)

يشبه حال المرأة من النساء اللائى يلجأن اليه فى الشدة ، وقد أرذلها أهلها وألقوها بالناقة التى تعقل عند قبر صاحبها ، فى هيئة الرثاثة والإهمال .

فالاتفاق فى الصورة المشاهدة مع اختلاف جنس الطرفين . فالمماثلة ليست حقيقة .

وقال الأعشى يصف ناقته :

وألواح رهب كأن النسو ع ابن فى الدف منها سطارا

ودأيا تلاحقن مثل الفؤو س لاحم منها السليل الفقارا(١٣٩).

شبه حلق فقارها فى صورته بالفؤوس الموضوعة بجوار بعضها وليس بين الطرفين مماثلة فى الجنس .

---

(١٣٨) شرح القصائد السبع الطوال ٥٨٩ .

(١٣٩) ديوان الأعشى ٨١ . والرهب : الناقة الهزيلة . والدأى : حلق الفقار . تلاحقن : تلازمن . السليل : السنام .

وقال عنترة يصف الناقة — أيضا — :

أبقى لها السفار مقرمدا ... سندا ومثل دعائم المتخيم(١٤٠)

يشبه ناقته فى ضمورها ونحولها الظاهر فوق أرجلها الطوال بالخيمة ودعائمها . فكلمة (مثل) دلت على اتفاق أرجل الناقة ودعائم الخيمة فى الهيئة والصورة .

وقال الشماخ يصف شعر امرأة :

قامت تريك أثيث النبت منسدلا
مثل الأساود قد مسحن بالفاق(١٤١)

(مثل الأساود) دلت (مثل) على مماثلة الشعر للحيات السوداء فى الصورة المشاهدة من الاستطالة والسواد واللمعان ، ولا تدل على الاتفاق فى الجنس لأنهما مختلفان .

ولعل بهذا البيان يكون قد تجلى لنا الفرق بين دلالة (مثل) على معنى (شبه) عند استعمالها فى دلالتها الحقيقية ، اذ تكون دلالتها على الهيئة والصورة داخلة فى اطار دلالتها على الأتفاق فى الجنس وجميع الصفات ما عدا ما يقع به التمايز كالشاهد(٤٢) فى قوله تعالى : « فلنأتينك بسحر مثله »(١٤٢) وبين دلالتها عليه عند استعمالها فى مطلق المماثلة استعمالا مجازيا فتدل مثل على الهيئة والصورة دون

---

(١٤٠) شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٨ .

(١٤١) ديوان الشماخ ٢٥٣ والمفردات أثيث : كثيف غزير — الأساود : الحيات فيها سواد — الفاق : البان أو الزيت المطبوخ ، وقيل : المشط .

(١٤٢) سورة طه ٥٨ .

الاتفاق فى الجنس كالشاهد(٦٧) فى قوله تعالى : « كأمثال اللؤلؤ المكنون »(١٤٣) .

مجىء (مثل) بصيغتى التثنيــة والجمــع :

يدل كلام سيبويه أن للوصف بكلمة (مثل) وجوها مختلفة من الدلالة على المماثلة تبعا لصيغتها افرادا وتثنية وجمعا .

قال : « ومن النعت — أيضا — مررت برجلين مثلين ، فتفسير المثلين : أن كل واحد منهما مثل صاحبه ، ومثل ذلك سيان وسـواء . ومنه مررت برجلين مثلك ، أى كل واحد منهما مثلك . ووجه آخر على أنهما جميعا مثلك وكل ذلك جر »(١٤٤) .

وفى ضوء هذا نجلى هذه المعانى لصيغ (مثل) الثلاث :

صـيغة الافــراد :

عندما تجىء (مثل) مفردة ، قد يكون الطرفان مفردين ، مثل : مررت برجل مثلك ، فالمعنى الذى تدل عليه العبارة هو مماثلة أحــد الطرفين للآخر ، ومن شواهد ذلك(٤٧) قوله تعالى : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين »(١٤٥) (٢٤) وقوله تعالى . « من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها »(١٤٦) .

وقد يكون الطرفان جمعا . مثل مررت برجال مثلكم فيكون المعنى

---

(١٤٣) سورة الواقعة ٢٣ .
(١٤٤) الكتاب ١/٤٣٠ .
(١٤٥) سورة الطور ٣٤ .
(١٤٦) سورة غافر ٤٠ .

أى كل واحد منهم رجل كما أن كل واحد منكم رجل ومن شواهد ذلك(١٣) قوله تعالى : « ان أنتم الا بشر مثلنا » (١٤٧) أى كل واحد منكم بشر كما ترون بشرية كل واحد منا • ومما هو من قبيله(٦٣) قولــه تعالى : « انكم اذا مثلهم »(١٤٨) •

وقد يكون الطرفان مختلفين ، فان كان المحكوم عليه بالمماثلة جمعا أو مثنى والممثل به مفردا مثل : مررت برجال مثلك ، أو برجلين مثلك فالمعــنى ــ كما قــال ســيبويــه ــ كــل واحــد منهمــا مثــلك ، فمثل مفردة بمعنى الجمــع • وهو الوجــه فى قــوله تعالى (٤٥) : « قل فأتوا بعشر ســور مثله مفتريات »(١٤٩) •

قال الزمخشرى : « مثله ــ بمعنى أمثاله ، ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له »(١٥٠) وأيضا (١٨) فى قوله تعالى : «أنؤمن لبشرين مثلنــا »(١٥١) •

(٣٧) وقوله تعالى : « ياليت لنا مثل ما أوتى قارون »(١٥٢) أى ليت لكل واحد مثله •

والوجه الآخر أن يكون الرجلان أو الرجال جميعا مثله • ومما هو من قبيل ذلك (٤٦) قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(١٥٣) فان المعنى ــ والله أعلم بمراده ــ لو برزت الجن واجتمعت

---

(١٤٧) سورة ابراهيم ١٠ •
(١٤٨) سورة النساء ١٤٠ •
(١٤٩) سورة هود ١٣ •
(١٥٠) الكشاف ٢/٢٦١ •
(١٥١) سورة المؤمنون ٤٧ •
(١٥٢) سورة القصص ٧٩ •
(١٥٣) سورة الاسراء ٨٨ •

معهم الإنس وتظاهروا وبـذل كل منهم ما فى وسعه للاتيـان بمثـل القرآن فى حسن نظمه وبلاغته ، فان كل ما يأتون بـه ـ على فرض وجوده ـ لن يكون مثل القرآن وليس المعنى فى هذه الآية نفى مماثلـة ما يـأتى به الجن للقرآن ، وما يـأتى به الإنس ـ أيضا ـ للقرآن ، لأن قرائن السـياق من قوله : لئن اجتمعت الإنس والجن .. وقوله : ولو كان بعضهم لبعض ظهـيرا ـ تدل على أن المعنى نفى كـون ما يـأتون به مجتمعـا مماثلا للقـرآن .

ويجرى ـ أيضا ـ هذان الوجهان فيما كان فيه المحـكوم عليه بالمماثلة مفـردا والممثل به مثنى أو جمعـا ، مثـل : مـررت برجـل مثلكما أو مثلكم . أى هو مثل لكل واحد ، أو مثل لهم جميعا .

ومن شواهد ذلك [١٢] قول الله تعـالى « ما نـراك الا بشرا مثلنـا »(١٥٤) أى أنت تماثل كـل واحـد منا فى البشرية . وعـلى الوجه الثانى [٣٠] قولـه تعالى : « يوصـيكم الله فى أولادكـم للذكر مثل حظ الانثيين »(١٥٥) فالمعنى ـ والله أعلم ـ أى للذكـر نصيب مماثل لمـا تأخـذه امرأة وأخرى . فالمضـاف الممثل به وهو (حظ) فى معنى المثنى لكونه مضافـا الى الانثيين فهـو فى تأويـل حظين ماثلهما معـا حظ الذكـر .

صـيغة التثنيـة :

اذا جاءت (مثل) بصيغة التثنية فان المحكوم علـيه بالمثـلية

(١٥٤) سورة هود ٢٧ .

(١٥٥) سورة النساء ١١ .

احدى حالين : أن يكون واحدا لا تعدد فيه ، مفردا كان أو جمعا منظورا اليه باعتباره وحدة وشيئا واحدا • أو أن يكون متعددا بلفظ المثنى أو على سبيل العطف •

الحالة الأولى : وتدل (مثل) فيها على الحكم بالمماثلة على سبيل التضعيف ، فتكون مرتبطة بالأعداد والمقادير •
والشاهدان اللذان جاءا فى القرآن الكريم لهذه الحالة :

٦٨ - قوله تعالى : « قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »(١٥٦) (يرونهم مثليهم) المعنى - والله أعلم - ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلى أنفسهم فى العدد فيكون ذلك أبلغ فى الآية • أو يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم(١٥٧) • فتضعيف المثلية مرتبط بالعدد •

٦٩ - وقوله تعالى : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير »(١٥٨) (أصبتم مثليها) أى ضعف مقدارها من القتل والأسر بفضل الله تعالى • ورحمته لكم(١٥٩) •

الحالة الثانية : أن يكون المحكوم عليه متعددا ، فتكون (مثل) للدلالة على المماثلة بين أفراد الطرفين • وهذا مثل :

---

(١٥٦) سورة آل عمران ١٣ •
(١٥٧) ينظر الكشاف ٤١٥/١ والبحر المحيط ٣٩٤/٢ •
(١٥٨) سورة آل عمران ١٦٥
(١٥٩) ينظر البحر المحيط ١٠٦/٣ •

أنتما مثلان ، وزيــد وخالد مثلان • فالحكم هنا بمماثلة كل واحد منهما للآخــر •

ونقول : مر زيد وخالد بمثليهما • أى برجلين كل رجــل منهمــا يماثل واحــدا منهما ، أو رجلين معا يماثلان زيــدا وخالدا معــا • وليس لهــذه الحالة شواهد فى القرآن الكريم •

صــــيغة الجمــع :

ذكر أبو حيان صحة مجىء (مثل) مفردة ومثناة ومجموعــة مع كون المحكــوم عليه بها مثنى أو جمعــا ، مع كــون افرادها على نية التثنية أو الجمع • وعبارته : « ومثــل يوصف بها المفــــرد والمثنى والجمــع ، كما قال تعالى : « أنؤمن لبشرين مثلنا »(١٦٠) وتجــوز المطابقة فى التثنية والجمع كقوله : « ثم لا يكونوا أمثالكــم »(١٦١) « وحــور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون »(١٦٢) واذا أفــرد وهــو تــابع لمثنى أو مجموع فهو بتقــدير المثنــى والمجموع ، أى مثلــين وأمثــال ••• »(١٦٣) •

هــذا كلامــه ولــم يتعــرض فيــه لمــا وراء المجىء بها مطابقة أو غــير مطابقة من نكات • وقــد تقدم لنا الحــديث عن مجيئها مفردة ومثناه • وبقى أن نعرف نكتة المجىء بهــا مجــموعة فى شواهدها السبعة فى القــرآن الكريم •

---

(١٦٠) سورة المؤمنون ٤٧ •

(١٦١) سورة محمد ٣٨ •

(١٦٢) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣ •

(١٦٣) البحر المحيط ٥/٢٠٨ •

والذى يبدو من الإحساس بالمعنى لهذه الشواهد بمعونة القرائن أنها جاءت بصيغة الجمع للمعانى الآتية :

الأولى : تضعيف العدد :

[٢٢] قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون »(١٦٤) ·

(فله عشر أمثالها) جاءت (مثل) بصيغة الجمع لمناسبة تضعيف الجزاء المدلول على عدده بلفظ (عشر) وليست (أمثالها) فى الأصل تمييزا للعدد عشر فيقال : ان هذا هو الذى اقتضى صيغة الجمع · لأن (أمثالها) فى الأصل صفة للتمييز المحذوف · قال الزمخشرى : « عشر أمثالها — على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف ، تقديره عشر حسنات أمثالها »(١٦٥) ·

اذ لا يتعين فى الأصل مجىء (مثل) جمعا ، لأنه لو قيل فى غير القرآن الكريم : عشر حسنات مثلها لجاز لكن المجىء بالجمع فيه مراعاة لتكثير الجزاء وتضعيفه والله أعلم ·

الثانى : الدلالة على أنواع الجنس :

أتت (مثل) بصيغة الجمع لتدل على الجنس وأنواعه بمساعدة المقام والسياق فيما يأتى :

٧٠ — قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير

---

(١٦٤) سورة الأنعام ١٦٠ ·

(١٦٥) الكشاف ٢/٦٤ ·

بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثـم الى ربهم يحشرون »(١٦٦) •

المجيء بصـيغة الجمع (أمثالكـم) لافـادة ما يدل عليه الجمع من تنوع أفـراد بخصائص وصفات مختلفة • ذلك لأنه لو قيـل فى غير القـرآن الكريم : الا أمم مثلكم بصـيغة المفرد المنوى بها الجمع ندلت على المثلية فى الأممية فقط • أما صـيغة الجمـع (أمثالـكم) فقد دلت مع دلالتها على التعدد على تنوع أمم جنس الدواب وأمـم جنس الطـير كما تنـوع الإنسـان الى أمم مختلفة فى الخصـائص والعـادات وسائر الصـفات •

٧١ ـ قـال تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها »(١٦٧) •

(أمثالها) قال الزمخشرى : « الضـمير للعاقبة المـذكورة ، أو للهلكة ، لأن التدمير يدل عليها ، أو السنة لقوله عز وعلا : بسنة الله فى الذين خلوا •• » (١٦٨ ، ١٦٩).•

واذا كان الضـمير عائدا الى العاقبة المضافة الى الذين من قبلهم، وهؤلاء قد تنوعت العقوبات لهم تبعا لاختلاف معاصيهم كان فى مجيء صيغة الجمع (أمثالها) دلالة على تنوع عقوبة الكافرين التى تنتظرهم جزاء كفرهم ، وما يصـنعون •

---

(١٦٦) سورة الأنعام ٣٨ •
(١٦٧) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ١٠ •
(١٦٨) سورة الأحزاب ٣٨ ، ٦٢ •
(١٦٩) الكشاف ٣/٥٣٣ •

[٥١] قال تعالى : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين* على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون »(١٧٠) •

مما قاله الزمخشري في بيان المعنى : أمثالكم ـ جمع (مثل) أي على أن نبدل منكم وكانكم أشباهكم من الخلق ••• »(١٧١) •

وللجمع هنا دلالته على تنوع أفراد المجموع • في سياق بيـــان قدرة الله تعالى على أن يأتي مكان كل واحـد منكم بغيره مما له صفاته الخلقية والخلقية • فمجيء (مثل) بصيغة الجمع لملاحظـة هـــذا التنوع في طرف المماثلـة • والله أعلم •

[٥٢] قال تعالى : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شـئنا بدلنا أمثالهـم تبديـلا »(١٧٢) أي نبـدل أمثالهم في الخلقة ، وعلى اختـلاف أنـواعهم في صـفاتهم وهيئاتهم التي هم عليها •

[٦٥] قـال تعالى : « هأنتم هـؤلاء تدعون لتنفقوا في سـبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخـل فانمـا يبخـل عن نفسه والله الغني وأنتـم الفقـراء وان تتولوا يستبدل قومـا غيركم ثم لا يكونـــوا أمثالـكم »(١٧٣) •

(ثم لا يكونوا أمثالكم) المماثلة في هذه الآيـة على سبيل النفي أي لا يكونوا أمثـالكم في الخلاف والتولي والبخل (١٧٤) •

---

(١٧٠) سورة الواقعة ٦٠ ، ٦١ •
(١٧١) الكشاف ٥٦/٤ •
(١٧٢) سورة الانسان ٢٨ •
(١٧٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨ •
(١٧٤) ينظر البحر المحيط ٨٦/٨ •

فصيغة الجمع بدلالتها على الأفراد تدل على تنوع هذه الأفراد بالاتصاف بهذه الصفات • أى أن الله قادر على أن يأتى بقوم غيركم لا يكون فيهم ما فى أشخاصكم من الصفات المختلفة التى يتصف بها بعضكم على تباينكم فيها •

الثالث : اظهار المماثلة بين أفراد الطرفين :

[٦٧] قال تعالى : وحور عين ● كأمثال اللؤلؤ المكنون »(١٧٥).
(كأمثال اللؤلؤ) لمجىء (مثل) بصيغة الجمع فائدة • ابراز الممثل به فى صورة أفراده التى تتشابه مع بعضها فى وجه المماثلة بينها وبين الحور • لأنه لو قيل فى وصف الحور فى غير القرآن الكريم: وحور عين مثل اللؤلؤ المكنون دلت (مثل) عندئذ على مماثلة الحور للؤلؤ • لكن مجىء صيغة الجمع (أمثال) فى الآية الكريمة دل على تعدد الصور المشاهدة التى حصل التمثيل بها • فالكلمة عندئذ دلت على جهتين من المماثلة : مماثلة الحور للؤلؤ بمادة الكلمة (مثل) ومماثلة كل حورية لأختها بصيغة الجمع •

وللقرطبى ــ رحمه الله عند تفسير الآية عبارة تبرق بهذا المعنى، قال : « أى هن فى تشاكل أجسادهن فى الحسن من جميع جوانبهن كما قال الشاعر :

كأنما خلقت فى قشر لؤلؤ
فكل أكنافها وجه لمرصاد (١٧٦)

---

(١٧٥) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣ •

(١٧٦) الجامع لأحكام القرآن ٦٣٧٥ •

ومما هو من هذا القبيل قول بنت لبيد بن ربيعة :

اذا هبت ريـــاح أبـى عقـــيل
دعونـا عنـد هبتهـا الوليـــدا

أشمـ الأنف أصـــيد عبشـميا
أعـان علـى مـروءتـــه لبيـــدا

بأمثـــال الهضـــاب كـــأن ركبـــا
عليهـــا من بنى حــــام قعـــودا

فأمثال ــ هنا ــ تضع فى مرأى العين صور النيـــاق وقد تماثلت تماثـــل الهضـــاب .

زيـــادة (مثـــل)

القول بوجود كلمات زوائد فى القرآن الكريم قديم(١٧٧) . وقد يكون منشأ القول به الوقوف عند معنى التركيب خاليـا من الكلمة ثم النظر اليه مشتملا عليها فى اطار معناه وهو خـــال منهـــا ، دون مراعـــاة اختلاف التركيبين وتباين المعنى فيهما .

وقد ناقش القول بالزيـــادة كثـــير من العلمـــاء المحققين(١٧٨) وانتهوا الى رفضه . لأن القول بالزيادة مبناه عدم افادته معنى « وغير جائز أن يكون فى كتاب الله تعالى شىء لا معنى له »(١٧٩) لأنه اذا كان

---

(١٧٧) ينظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ، ومعانى القرآن للفراء ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة فى مواضع منها .

(١٧٨) ينظر جامع البيان للطبرى ، والكشاف للزمخشرى ، ومفاتيح الغيب للرازى واعجـاز القـرآن والبلاغة النبوية للرافعى والنبـأ العظيم للدكتور دراز .

(١٧٩) جامع البيان للطبرى ٣/٢٨ .

كل لفظ فى كلام أهل الطبع أصل فيه ، لا يستغنى عنه فما بالنا بالقرآن الكريم •

وعليه فلا يقال : ان لفظا ما زائد فى موضعه لأنا نقول : ما دام المعنى لا يتم الأ به لكونه عند وجوده غيره عند عدمه فان اللفظ لا يعد زائدا ، لأن توقف المعنى عليه ودعوى زيادته ضرب من المناقضة واللغو • اذ لا فرق بين ما يقتضيه المعنى وما هو أصل فى التركيب •

فالحق أنه لا يمكن قبول القول بالزيادة الا على معنى أن الكلمة أفادت معنى زائدا عما كان عليه قبل مجيئها •

وهذا — وان كان بعيدا عن مقصدهم — هو المناسب لتسميتهم ما يزاد من الحروف حروف المعانى •

وقد قيل : بزيادة (مثل) فى الآية الكريمة الآتية :

٧٢ — قال تعالى : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »(١٨٠) •

حكى أبو حيان القول بزيادة (مثل) فى الآية قائلا : « وأما (مثل) فقيل : زائدة • والتقدير : فان آمنوا بما آمنتم به • قالوا : كهى فى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء »(١٨١) أى ليس كهو شىء»(١٨٢) • • •

---

(١٨٠) سورة البقرة ١٣٧ •
(١٨١) سورة الشورى ١١ •
(١٨٢) البحر المحيط ٤١٠/١ •

ومما يستدل به على القول بزيادتها ما روى من قـراءة ابن عباس وابن مسـعود (بما آمنتم به) وقـراءة أبى (بالـذى آمنتـم بـه)(١٨٣) .

لكنهم قـالوا : ان هاتـين القـراءتين شـاذتان(١٨٤) وحكى الطبرى اجمـاع القـراء على تركهـا ، وما رواه الطبرى يدل على أن ابن عباس لـم يقصـد نفى قـراءة (فـان آمنوا بمثل ما آمنتـم به) وإنكـار وجود مثل ، وانمـا أراد تأويل الآية . قال الطبرى : « قـال ابن عباس : لا تقولوا (فان آمنوا بمثـل ما آمنتم به فقـد اهتـدوا) فانه ليس لله مثل .

ولكن قولوا : فان آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا ، أو قال : فان آمنوا بما آمنتـم به . فكأن ابن عباس فى هـذه الرواية ـ ان كانت صحيحة عنه ـ يوجه تأويـل قراءة من قرأ (فـان آمنوا بمثل ما آمنتم به) ... » ولو قـال يوجه المعنى لكـان أولى من قـوله قـراءة من قـرأ .

ثم يرتضى الطبرى تأويـلا آخر مبناه أن (مثل) ليست زائدة، لكنه يعتبر التشـبيه بين الإيمانين لابين من تحقق الإيمان به . قال : « وانما معناه ما وصفنا ، وهـو : فـان صـدقوا مثل تصـديقكم بما صـدقتم به من جميع ما عددنـا عليكم من كتب الله وأنبيائه ـ فقد اهتـدوا .

فالتشبيه انماوقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان

---

(١٨٣) ينظر الكشاف ١/٣١٥ والبحر المحيط ١/٤٠٩ .

(١٨٤) ينظر مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ١٧ .

هؤلاء وايمـــان هؤلاء • كقول القائل : مر عمرو بأخيك مثل ما مـررت به • يعني بذلك : مر عمرو بأخيك مثـل مروري به • والتمثيـــل انمـا دخل تمثيلا بين المرورين ، لا بين عمرو وبين المتكلم • فكذلك قوله (فان آمنـوا بمثل ما آمنتم بـــه) انمــا وقــع التمثيـل بين الإيمــانين لا بين المؤمن به »(١٨٥) •

وقد ذهب الزجاج ـ أيضا ـ الى ذلك قائلا : « فــن قـــال قائل : هل للايمان مثل هو غير الإيمان ؟ قيل له : المعنى واضح بين • وتأويله : فـــان أتوا بتصـــديق مثل تصديقكم وايمانكم بالانبيـــاء ووحـــدوا كتوحيدكم فقـــد اهتـــدوا ، أى فقد صـــاروا مسـلمين مثلكم »(١٨٦) • وبهذا يدول القول بالزيـــادة على البـــاء •

ويرى الزمخشرى أن المثلية بين المؤمن به ، لا على دون تحقق المثلية حقيقة وانما على سبـــيل الفرض والتبكيت مســتدلا عـــلى ذلك بالســياق والمقـــام ، من مجىء (ان) المفيدة للشـــك ، وافتراض وقوع الشرط المستحيل فى مقام اقـــامة الحجة والبرهـــان • قال :

« ـ بمثل ما آمنتم بـــه ـ من بـــاب التبكيت لأن دين الحـــق واحد لا مثل له ، وهو دين الإسلام (ومن يبتغ غـــير الإســـلام دينا فلن يقبـــل منه)(١٨٧) فلا يوجـــد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام ،

---

(١٨٥) جامع البيان ١/٥٦٩ •
(١٨٦) معانى القرآن واعرابه للزجاج ١/١٩٥ •
(١٨٧) سورة آل عمران ٨٥ •

في كونه حقـا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل لـه كانوا مهتدين. فقيل : فـان آمنوا بكلمة الشك على سـبيل الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينـا آخر مثل دينكم مساويـا له فى الصحة والسـداد فقـد اهتدوا .

وفيه أن دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل ، لأنه حق وهدى وما سواه باطل ضلال . ونحو هذا قولك للرجل الذى تشـير عليه . هذا هو الرأى الصواب ، فـان كان عندك رأى أصوب منه فاعمـل بـه ، وقـد علمت أن لا أصـوب من رأيـك ، ولكنـك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه »(١٨٨) .

وعلى ما ذهب اليه تكون (مثل) غير زائـدة . اذ لا محـل للاحتجـاج باستحالة وجـود مثل لاعتبارها زائدة . لأن مثـل وان كانت فى معناها حقيقـة الا أن المثل وجـوده على سـبيل الفرض والتقـدير .

وبعد أن يذكر أبو حيان ما يفيده كلام الطبرى والزمخشرى يذكر رأيـا ثالثا مفاده أن (مثل) مزيدة فى المعنى دون اللفظ .

يقول : « وقالت فرقـة : هذا من مجـاز الكلام ، تقول : هـذا أمر لا يفعله مثلك ، أى لا تفعله أنت ، والمعنى : فـان آمنـوا بالذى آمنتـم بـه ، وهـذا يـؤول الى الغـاء مثل وزيـادتها من حيث المعنى »(١٨٩) .

وهذا الرأى هو طريق الكناية ، لأن الإيمان بمثـل ما آمن بـه

---

(١٨٨) الكشاف ١/٣١٥ .
(١٨٩) البحر المحيط ١/٤١٠ .

المسلمون يستلزم الإيمان بما آمن به المسلمون تبعا لما تقتضيه قاعدة المثلية من كون ما يثبت لأحد المثلين يثبت للآخر . والله أعلم .

مجيء (مثل) للتشابه :

قد تأتي (مثل) للدلالة على تماثل أمرين في معنى دون نظر عند الحكم بها الى زيادة أو نقصان ، وعندما تكون كذلك فانها تدخل في باب التشابه والتماثل وشواهدها في ذلك من القرآن الكريم ست آيات سنذكرها ان شاء الله تعالى في مبحث التشابه .

٢ ــ كلمة (شبه) وما تفرع معها :

الأصل في مادة (شبه) الدلالة على المشاركة في الصور والكيفيات المشاهدة . حكى ابن منظور في تفسير قول الله تبارك وتعالى : « وأتوا به متشابها »(١٩٠) أن « أهل اللغة قالوا : يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ، وقال المفسرون : يشبه بعضها في الصورة ويختلف في الطعم ودليل المفسرين قوله تعالى : (هذا الذي رزقنا من قبل) لأن صورته الصورة الأولى لان اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة بلغ وأغرب عند الخلق .... ونقول : في فلان شبه من فلان »(١٩١) .

الشبه إذا ــ في الكيفيات(١٩٢) وأصل استعماله فيما يشاهد بأن يكون الطرفان حسيين . قال لبيد بن ربيعة يصف ناقته :

---

(١٩٠) سورة البقرة ٢٥ .

(١٩١) لسان العرب ٢١٩٠ .

(١٩٢) ينظر المفردات للراغب ٢٥٤ .

كعقر الهاجرى اذا بنــاه   بأشباه حذين على مثال(١٩٣)

يصف ناقته فى ضخامتها بالقصر . وقد بنى بحجارة على صــورة واحدة تراصت على نظام واحــد .

و (شبه) فى هذا تخلف (مثل) التى تدور فى المحسوس وغيره. وبذلك يقــال : السواد شبه السواد ، ولا يقــال القدرة شبه القدرة ، وانما يقــال مثلهــا(١٩٤) .

ومما يشهد لذلك ـ أيضا ـ قوله تعالى : « ولكن شبه لهم(١٩٥) فقد أرجع المفسرون معنى (شبه) الى الشبه فى الحس المشاهد .

قال الطبرى : « عن قتادة ، قــال : ألقى شبهه على رجــل من الحواريين فقتــل »(١٩٦) وقــال الزمخشرى : « شــبه لهــم من قتــلوه »(١٩٧) .

وقد استعملت المادة فى الأمور المعنوية على سبيل التوسع يقال : بينهم أشباه ، أى أمور يتشابهون فيها . واشتبهت الأمور وتشابهت ، التبست لإشباه بعضها بعضا . والشبهة أن لا يتميز أحــد الشــيئين عن الآخر عينا كان أو معنى(١٩٨) .

---

(١٩٣) البيت فى الشعر والشــعراء ٢٨١/١ ـ والعقر : القصر الذى يكون معتمدا لأهل القرية . والهاجرى : البناء .

(١٩٤) ينظر الفروق فى اللغة ١٤٨ .

(١٩٥) سورة النساء ١٥٧ .

(١٩٦) جامع البيان ١٤/٦ .

(١٩٧) الكشاف ٥٨٠/١ وينظر البحر المحيط ٣٩٠/٣ .

(١٩٨) ينظر مادة (شبه) لسان العرب ، أساس البلاغة ، المفردات

وتتنوع دلالة المادة تبعا للصيغة ، فتستعمل صيغة : اشبه ، ويشابه ، وما يتفرع منهما عند قصد الحكم بالمشابهة .

قال الشاعر :

ورمانة شبهتها اذ رأيتها
بثدى كعاب أو بحقة مرمر(١٩٩)

وتستعمل صيغة (تشابة) وما يتفرع منها عند الحكم بوقوع المشابهة من الطرفين كل للآخر . كقول ابراهيم الصابى :

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى
فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى أبالخمر عينى أسبلت
جفونى أم من عبرتى كنت أشرب(٢٠٠)

وتأتى (شبه) للحكم بالمشابهة بين المتفقين فى الجنس والمختلفين .

أما (شبيه) فتكون بين المتفقين فى الجنس . قال أبو هلال العسكرى : « الفرق بين الشبه والشبيه أن الشبه أعم من الشبيه . ألا تراهم يستعملون الشبه فى كل شىء ، وقلما يستعمل الشبيه الا فى المتجانسين . تقول : زيد يشبه الأسد ، أو شبه الكلب . ولا يكادون يقولون : شبيه الأسد وشبيه الكلب . ويقولون : زيد شبيه عمرو »(٢٠١) .

---

(١٩٩) البيت فى أسرار البلاغة ١٧٠ .
(٢٠٠) البيتان فى التبيان للطيبى ٢٠٣ وشروح التلخيص ٤١٢/٣ .
(٢٠١) الفروق فى اللغة ١٤٦ .

وعليه يكون قول القائل : زيد شبيه الأسد ـ فيه ادعاء كمال المشابهة وصيرورتهما جنسا واحدا •

من قبيل ذلك قول ابن الرومى :

يا شبيه البدر فى الحسـ ن وفى بعد المنال
جد فقد تنفجر الصـ خرة بالماء الزلال(٢٠٢)

وصيغة (أشبه ، ويشابه) وما تفرع منهما مما يفيد الحكم بالمشابهة لم يأت لها شواهد فى القرآن الكريم • أما صيغة (تشابه) وما تفرع منها مما لا يفيد الحكم بالمشابهة وانما يفيد الحكم بالتشابه فلها شواهد كثيرة فى القرآن الكريم سنذكرها فى المبحث الذى عقدناه للتشابه •

٣ ـ مادة (ساوى) :

تدور أكثر صيغ المادة حول معنى الاعتدال والاستقامة أو قريب من ذلك(٢٠٣) •

وحقيقه (المساوى) ما يشارك فى الكمية ، ويتساوى فى المقدار(٢٠٤) •

وقال الراغب : المساواة المعادلة المعتبرة بالوزن والذرع والكيل •

---

(٢٠٢) البيتان فى أسرار البلاغة ٢٣٥ •

(٢٠٣) ينظر لسان العرب ٢١٦٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٢٦ وما بعدها •

(٢٠٤) ينظر الفروق ١٤٩ •

يقال : هذا ثوب مساو لذاك الثوب ، وهذا الدرهم مساو لهذا الدرهم ، وقد يعتبر بالكيفية ، نحو : هذا السواد مساو لذلك السواد ... »(٢٠٥) .

ويقول : إنها تدل على المشابهة من كل وجه(٢٠٦) لكن الآية التي ستأتي تخالف ذلك .

وصيغ المادة تكون للدلالة على التشابه عندما تكون غير متعدية لمفعول رافعة فاعلين . وستأتي شواهد صيغها في ذلك في مبحث التشابه .

أما إذا جاءت الصيغة متعدية الى مفعول بنفسها مثل (ساوى) أو بالباء ، مثل (سوى) فانهما تدل على التسوية بين الشيئين ، يقال : « ساوى الشيء الشيء اذا عادله »(٢٠٧) وكذلك سواه به .

وجميع شواهد المادة في القرآن الكريم جاءت بصيغ التشابه ، ما عدا آية واحدة جاءت فيها كلمة (سوى) للدلالة على الحكم بالتسوية .

قال تعالى : « تالله ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين »(٢٠٨) .

قال الطبري : « يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله :

---

(٢٠٥) المفردات في غريب القرآن ٢٥١ .
(٢٠٦) ينظر عروس الأفراح ٣/٣٩٣ .
(٢٠٧) لسان العرب ٢١٦١ .
(٢٠٨) سورة الشعراء ٩٧ ـ ٩٨ .

والله ان كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين ، فنعبدكم من دونــه »(٢٠٩) •

وجاء فى البحــر المحيط « قــال ابن عطية : أقســموا بالله ان كنـــا الا ضـــالين فى أن نعبدكم ، ونجعــلكم ســـواء مع الله تعالى ، الذى هو رب العالــين وخالقهم ومالكهم انتهى »(٢١٠) •

فالفعل (سوى) دل على التســوية ، أى تســوية الآلهــة التى يعبدونها بالله تعالى ، والتى أنكروها بعد ما تبين لهم ضلالهم •

وواضح أن التسوية فى الآية ليس مرادا بها أدســن حقيقتها من المشاركة فى الكمية والتساوى فى المقدار • وانما المراد بهـــا المعـــادلة فى معنى هو العبـــادة لمخلوق مع الله تعالى ، وتســوية الآلهـــة به • فيكون استعمالها مجازا ، أو صارت حقيقة بكثرة استعمالها فى مشابهة فى صفة على حد سواء •

٤ ــ مـــادة (شـــكل) :

تدور تصـــاريف مـــادة (شكل) وتفريعاتها فى معاجم اللغة حول الشبه فى الصورة ، فشـــكل الشىء صورته المحسوسة ، أو المتوهمة ، وتشكل الشىء تصـــور ، وشـــكله صـــوره ، واذا اشـــتد الاتفاق فى الصورة أشكلت على الناظر اليهـــا والتبست ، فلا يستطيع أن يميز بين المتشـــاكلين(٢١١) •

ويفترق الشكل عن المثل من جهتين : الأولى : أن (شـــكل) تكون

---

(٢٠٩) جامع البيان ٨٨/١٩ •

(٢١٠) البحر المحيط ٢٧/٧ •

(٢١١) ينظر لســان العرب ٢٣١٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٤٠ والفروق ١٤٨ •

عنـد الاتفـاق فى أكـثر الصـفات التى تشـكل ، و (مثـل) تكون فى أكثر الصفات التى لا تشكل .

الأخرى : أن (مثل) تكون فى الحسيات والمعنويات ، أما (شكل) فلا تكون الا فى الصـور . يقال : هـذا الطائر شكل هذا الطـائر ، ومثله . ولا يقال : الحـلاوة شكل الحلاوة ، وانما يقال : مثلها (٢١٢)

وتفترق كلمة (شكل) عن (شـبه) أنهما وان كانتا تستعملان للدلالة على الاتفاق فى الصورة الا أن الشـكل يراعى فيـه المقدار والأبعاد ، بخلاف (شـبه) فانه لايراعى معها ذلك . قال الراغب : الشكل يقال فيما يشارك فى القدر والمساحة فقط(٢١٣) .

ومـا يجىء موهما اتفاق الثلاثة عند بيـان المعنى ـ كقول ابن منظور : « الشـكل الشبه والمثل »(٢١٤) انمـا هو من اطلاق المعانى المتقاربة على بعضها على سبيل التوسع ، بحكم ضرورة التبيان والشرح .

و (شكل) وما يشتق منهـا مما لـه فاعل ومفعول ، تشـاكل ويشاكل ، ومشـاكل تدل على الحكم بالمشـاكلة ، أمـا مـا يأتى لازما دالا على وقوع الفعل من اثنين أو أكثر ، ومشاكلة كل واحد منهما للآخر فهو من باب الحكم بالتشاكل والتشابه ، وليس من باب الحكم بالمشاكلة من أحـدهما للآخر .

وقد جـاء فى القرآن الكريم من المادة صيغتان :

الأولى : صيغة (شكل) وقد جاءت فى آية واحدة .

---

(٢١٢) ينظر الفروق ١٤٨ .

(٢١٣) المفردات ٤٦٢ .

(٢١٤) لسان العرب ٢٣١٠ .

قال تعالى : « وآخر من شكله أزواج »(٢١٥) .

فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى من أنواع العذاب التى تصيب الكافرين كالحميم والغساق أخبر جل وعلا : أن فيه أنواعا اخرى على شكل الغساق وصفته المشاهدة .

وعبارة الطبرى فى بيان معنى (شكل) تميل الى أصل دلالتها على الصورة المشاهدة ، قال : « وعذاب آخر من الحميم ألوان وأنواع »(٢١٦) .

أما الزمخشرى فينحو بها الى معنى (مثل) فى الأمور المعنوية يقول : « ومذوقات أخر من شبكل هذا المذوق ، من مثله فى الشدة والفظاعة »(٢١٧) . وذكر مثله أبو حيان(٢١٨) .

وقد جاءت كلمة (شكل) مستعملة فى الأمور المعنوية فى قول امرىء القيس :

حى الحمول بجانب العزل
اذ لا يلائم شكلها شكلى(٢١٩)

---

(٢١٥) سورة ص ٥٨ .
(٢١٦) جامع البيان ٢٣/١٥٤ .
(٢١٧) الكشاف ٣/٣٧٩ .
(٢١٨) ينظر البحر المحيط ٧/٤٠٦ .
(٢١٩) ديوان امرىء القيس ١٢٩ وفيه أنها تروى لامرىء القيس بن عابس الكندى والحمول : الابل وما عليها من الهوادج . والعزل ماء بين البصرة واليمامة .

أى لا يلائم مذهبها مذهبى ومسلكى . وقد تكون الكلمة (شكل) بكسر السين بمعنى الدل والأنس(٢٢٠) .

(الصيغة الثانية) صيغة (شاكلة) :

قال تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته »(٢٢١) .

قال الطبرى : « على شاكلته على ناحيته وطريقته »(٢٢٢) وقال الراغب : « أى على سجيته وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة »(٢٢٤) فهذه الآراء دالة على أن الصيغة لا يراد بها الحكم بالمشاكلة وان أفادتها .

وكلمة (شاكل) و (شاكه) بمعنى . قال زهير بن أبى سلمى :

تنازعت المها شبها ودر البحور وشاكهت فيها الظباء(٢٢٥)

أى فيها من البقر العيون ومن الدر الصفاء ومن الظباء طول العنق .

٥ ـ مادة (عدل) :

تدور جميع تصاريف مادة (عدل) حول معنى أصلى هو الاعتدال والاستقامة « حسا أو معنى »(٢٢٦) وان اختصت كل صيغة

---

(٢٢٠) ينظر لسان العرب ٣٣١/٠ والمفردات ٢٦٦ .

(٢٢١) سورة الاسراء ٨٤ .

(٢٢٢) جامع البيان ١٥٤/١٥ .

(٢٢٣) المفردات ٢٦٦ .

(٢٢٤) الكشاف ٤٦٤/٢ .

(٢٢٥) البيت فى الشعر والشعراء ١٤٠/١ .

(٢٢٦) ينظر لسان العرب ٢٨٣٨ وما بعدها .

منها بدلالة معينة . بل قد تتنوع دلالة الصيغة الواحدة بمساعدة المقام والسياق . وذلك كأن يدل المقام على أن المقصود بكلمة (العدل) عدم الجور ، أو الاستقامة ، أو الفداء .... أو يشتمل السياق على حرف جر ، أو ظرف فتدل الكلمة على معنى من المعاني . مثل : عدل بالله غيره ، أى أشرك ، وعدل عن الطريق ، أى مال وحاد ، وعدل عن الحق : أى جار . وعادل بين الشيئين : أى سوى بينهما . وهكذا ....

وفى اللسان « العدل والعدل والعديل سواء ، أى النظير والمثيل وقيل : هو المثل ، ليس بالنظير عينه ، وفى التنزيل « أو عدل ذلك صياما » ... ثم قال والعديل الذى يعادلك فى الوزن والقدر . قال ابن برى : يشترط الجوهرى فى العديل أن يكون انسانا مثله ، وفرق سيبويه بين العديل والعدل (بالكسر) فقال : العديل ما عادلك من الناس ، والعدل لا يكون الا للمتاع خاصة . فبين ان عديل الانسان لا يكون الا انسانا مثله ، وان العدل لا يكون الا للمتاع »(٢٢٧) .

ويفهم من كلام سيبويه أن كلمة عديل تكون بمعنى (مثل) لأنها فى المتفقين ذاتا ، وكذلك العدل (بالكسر) الا أنها فى العروض ، أما فى العدل (بالفتح) فلا يتعين الاتفاق فى الجنس .

لكن الراغب فرق بين العدل والعدل من ناحية العقلية والحسية ، فقال : « والعدل والعدل يتقاربان ، لكن العدل (بالفتح) يستعمل فيما يدرك بالبصيرة ؛ كالأحكام ، وعلى ذلك قوله : « أو عدل ذلك صياما » والعدل والعديل فيما يدرك بالحاسة ، كالموزونات والمعدودات والمكيلات »(٢٢٨) .

---

(٢٢٧) لسان العرب ٢٨٣٩ .

(٢٢٨) المفردات ٣٢٥ .

وفرق أبو هلال العسكرى بين المثل والعديل قائلا : « الفرق بين المثل والعديل أن العديل ما عادل أحكامه أحكام غيره ، وان لم يكن مثلا له فى ذاته ، ولهذا سمى العدلان عدلين وان لم يكونا مثلين فى ذاتهما ولكن لاستوائهما فى الوزن فقط »(٢٢٩) .

ومادة (عدل) على اختلاف صيغتها جاءت فى القرآن الكريم فى أربع وعشرين آية(٢٣٠) وصيغتها وان دلت كلها بأصل المادة على المساواة والمعادلة كما فى قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء »(٢٣١) وقوله تعالى : « وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها »(٢٣٢) الا أن الذى يهمنا منها ما يدل على الحكم بالمعادلة والتسوية بين شيئين فى أمر حسى أو معنوى ، متفقين فى الجنس أو مختلفين وعند زيادة أحدهما ونقصان الآخر والحاقه بذلك الزائد ، دون غيرها من الصيغ .

وقد جاءت فى الآيات الآتية :

١ ــ قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام »(٢٣٣) .

---

(٢٢٩) الفروق فى اللغة ١٤٨ .

(٢٣٠) تنظر مادة عدل فى معجم الألفاظ القرآنية .

(٢٣١) سورة النساء ١٢٩ .

(٢٣٢) سورة الأنعام ٧٠ .

(٢٣٣) سورة المائدة ٩٥ .

جاءت صيغة (عدل) فى الآية الكريمة مرتين :

الأولى : (ذوا عدل منكم) ، والمراد بكلمة (عدل) النصفة فى الحكم والعدل الذى قوامه التسوية بين الخصوم عند الحكم ، ولا يدخل هذا شاهدا فيما نحن بصـــدده ،

الأخرى : (أو عدل ذلك صـــياما) والمراد ــ والله أعلم ــ جعل التكفير بالصـــوم معـــادلا ومســـاويا لمـــا قتل من النعم أى قيمته أو قيمة إطعام المساكين ، وهو الشـــاهد المراد من الآية الذى يلحق فيه الناقص بالكامل ويعادل بـــه ،

وقرىء (عدل) بالكسر ،قال الزمخشرى : « وقرىء او عدل ذلك بكسر العين ، والفرق بينهما أن عدل الشىء (بالفتح) ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام ، وعدله ما عدل به فى المقدار ، ومنه عـــدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل الآخر حتى اعتدلا »(٢٣٤) ،

٢ ــ قال تعالى : « الحمد لله الــذى خلق الســـموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون »(٢٣٥) ،

(يعدلون) أى يســـوون بـــه غيره ، ويجعلونه الهـــا مثله فى العبادة ، فهى على هذا شـــاهد لهذا الموضع ،

أو يعدلون بمعنى يميلون عن الطريق المستقيم ويضلون ، وتنوع المعنى حسب تعلق الباء فى قوله (بربهم)(٢٣٦) ،

---

(٢٣٤) الكشاف ٦٤٥/١ ،

(٢٣٥) سورة الأنعام ١ ،

(٢٣٦) ينظر الكشاف ٤/٢ والبحر المحيط ٦٩/٤ ،

٣ ــ قال تعــالى : « قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشــهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنــا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون »(٢٣٧) •

(بربهم يعدلون) أى يعدلون به الأصنام فى الألوهية والعبادة • أو الباء بمعنى (عن) أى عن ربهــم يميــلون الى طريق الضــــلال والــكفر •

٤ ــ قال تعالى : « أمن خلق السمــوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإلــه مع الله بل هم قــوم يعــدلون »(٢٣٨) •

أى يعدلون به غيره فى العبادة أو يعدلون عن التوحيد ويميــلون عنــه الى الشرك •

٦ ــ مــادة (نــد) :

تدل مادة (نــد) بتصاريفها المختلفة على عدة معــان ، منها : النفار والشرود والتدابر ، والتفرق ، والمخالفــة(٢٣٩) وعلى أســاس هذه المعانى يقوم التفــريق بين كلمة (نــد) وغيرها من الكلمات التى تفيد الجــزم بالمــاثلة أو المشــابهة ، لأن بين الندين تضــادا وان اتصــفا بصفة واحدة • وذكر صــاحب اللسان عن الأخفش قــوله : « الند : الضــد والشــبه »(٢٤٠) •

---

(٢٣٧) سورة الأنعام ١٥٠ •
(٢٣٨) سورة النمل ٦٠ •
(٢٣٩) ينظر لسان العرب ٤٣٨١ •
(٢٤٠) لسان العرب ٤٣٨٢ •

وقال أبو هلال العسكرى : « الفرق بين المثل والند أن الند هو المماثل المناد ، من قولك : ناد فلان فلانا اذا عاداه وباعده ، ولهذا سمى الضد ندا . وقال صاحب العين : الند ما كان مثل الشيء يضاده فى أموره »(٢٤١) .

وذكر الراغب ما يتفق فيه الندان قائلا : « الند المشارك فى الجوهر ، وفى موضع آخر المشارك فى الجنس ، وقال فى التفريق بينه وبين المثل : وذلك ضرب من المماثلة ، فان المثل يقال فى أى مشاركة كانت ، فكل ند مثل ، وليس كل مثل ندا »(٢٤٢) .

قال حسان بن ثابت فى هجاء أبى سفيان بن الحارث من عبد المطلب :

أتهجوه ولست له بند   فشركما لخيركما الفداء(٢٤٣)

وقد تحقق بنفى الندية نفى المماثلة ، ودعوى أن نفاره وتدابره لا يعتد به ولا وزن له يصير به ندا لرسول الله ﷺ . ولدلالة المنادة على النفار والمخالفة والتضاد تترجح رواية (ند) عن رواية (كفء) .

والكلمة لم تأت فى القرآن الكريم الا بصيغة الجمع ، وذلك فى ست آيات .

١ ـ قال تعالى : « الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »(٢٤٤) .

---

(٢٤١) الفروق فى اللغة ١٤٧ .

(٢٤٢) المفردات ٤٨٦ .

(٢٤٣) البيت فى الشعر والشعراء ٣٠٨/١ والأغانى ٥٠٦/٢ والديوان بلفظ كفء ٩ .

(٢٤٤) سورة البقرة ٢٢ .

٢ ـ قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب »(٢٤٥) ٠

٣ ـ قال تعالى : « وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار »(٢٤٦) ٠

٤ ـ قال تعالى : « وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون »(٢٤٧) ٠

٥ ـ قال تعالى : « واذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قال تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار »(٢٤٨) ٠

٦ ـ قال تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين »(٢٤٩) ٠

ونلحظ فى تفسير بعض العلماء للآيات السابقة ما يأتى :

أولا : نلحظ أن الطبرى عند تفسير آية (البقرة : ٢٢) قد ترك الفرق الذى تقرر بين الند والمثل ، فقال : « وكل شىء كان نظيرا لشىء

---

(٢٤٥) سورة البقرة ١٦٥ ٠
(٢٤٦) سورة ابراهيم ٣٠ ٠
(٢٤٧) سورة سبأ ٣٣ ٠
(٢٤٨) سورة الزمر ٨ ٠
(٢٤٩) سورة فصلت ٩ ٠

وشبيها فهو له ند »(٢٥٠) ثم يحسن الآيات الأخرى عند بيان معنى (نـد) على هـذا أيضـا .

وهـذا منه مخالف لما تقرر من أن كل ند مثل وليس كل مثل نداء

وعبارة الزمخشرى عند تفسير الآية أدق . فقد قال . « والنـد المثل . ولا يقال الا للمثل المخالف المناوىء ... »(٢٥١) .

فصرح ببقاء المضادة بينهما . وأنه ليس كل مثل نـدا كما قـال الطبرى .

ثانيا : نلحظ ــ أيضا ــ أن أبـا حيان لم يراع كون الندية فيها معنى المضـادة ، فعمم القول باتفـاق المثـل والشـبه والنـد . قـال : « ومن شابه شـيئا فى وصف ما ، قيل هو مثله وشـبهه ونده فى ذلك الوصف دون بقيـة الأوصـاف »(٢٥٢) .

وهذا الكلام بين المخالفة لما سبق بيـانه .

ثالثـا : ذكر أبو حيان أن كلمة (نـد) قـد تستعمل عـلى سـبيل المجـاز عندما تطلق على ما ليس نـدا حقيقة بدلالة القرائن وحمل كلمة (أندادا) فى الآيـات السـابقة على هذا قائلا :« وسموا أندادا على سبيل المجـاز ، من حيث أشركوهم معه تعالى فى التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة ، لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب الى الله ، وكانوا يسمون الله اله الآلهة ورب الأرباب »(٢٥٣) .

---

(٢٥٠) جامع البيان ١٦٣/١ .
(٢٥١) الكشاف ٢٣٦/١ .
(٢٥٢) البحر المحيط ٩٩/١ .
(٢٥٣) المرجع السابق والموضع نفسه .

على أن هذا التعميم فيه نظر • لأن كثيرا من البشر يجعلون معبوداتهم آلهة من دون الله تعالى معتقدين ذلك • واعتبار الحقيقة أو المجاز يرجع الى معتقد المتخذ أندادا لا كون الند حقيقة في نفس الأمر أم لا •

٧ — مادة (ضها) :

ذكر صاحب اللسان أن المادة بالهمزة وغيرها « قال صاحب العين : ضاهأت الرجل وضاهيته أي شابهته ، يهمز ولا يهمز ، وقرىء بهما قوله عز وجل : « يضاهئون قول الذين كفروا •• »(٢٥٤) ثم حكى بعد ذلك أن معناها المشاكلة « قال الليث : المضاهاة مشاكلة الشيء بالشيء ، وربما همزوا فيه ، وضاهيت الرجل شاكلته »(٢٥٥)•

ويبدو أن هذا توسع في بيان المعنى • لأن المشاكلة — كما مر — خاصة بالصور • أما المضاهاة ، فالذي يبدو كثرتها في الصور وقد تكون في غيرها كقوله تعالى : « يضاهئون قول الذين كفروا »(٢٥٦) والمادة معان أخرى تلحظها عند الحكم بالمضاهاة ، منها :

الرفق ، المعالجة ، والمتبعة « قال الأموي : ضاهأت الرجل رفقت به •• خالد بن جبلة : المضاهاة المتابعة ، يقال : فلان يضاهي فلانا أي يتابعه • وفي الحديث : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين

---

(٢٥٤) لسان العرب ٢٦١٥ وينظر المفردات للراغب ...

(٢٥٥) اللسان ٢٦١٧ •

(٢٥٦) سورة التوبة ٣٠ •

يضاهون خلق الله ، أي يعارضون بما يعملون خلق الله تعالى ، أراد المصورين »(٢٥٧) •

وكأن هذه المعانى المتعددة عناصر يتشكل منها المعنى العام للمضاهاة • فالمضاهى الشيء بالشيء يترفق في جعله شبيهة ويتابع معالجة ذلك في أناة ورفق حتى يضاهى أحدهما الآخر ويصير نظيره ، وبهذه المعالجة والترفق لحصول الشبه يختلف المضاهى عن النظير ، الذى تدل صيغته (فعيل) على التمكن في الشبه •

ولم يأت من هذه المادة في القرآن الكريم الا صيغة واحدة هي (يضاهي) •

قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »(٢٥٨) •

قال الطبرى : « قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى • • • ثم قال في القراءتين « وهما لغتان : يقال : ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا مالأته عليه وأعنته »(٢٥٩) •

غير أنه فسر القراءة بالهمزة بمعنى آخر خلاف قراءتها من غير الهمزة • على أنه لا ضير أن يكونا بمعنى مناسبة لتفسير الآية والله أعلم •

---

(٢٥٧) لسان العرب ٢٦١٨ •

(٢٥٨) سورة التوبة ٣٠ •

(٢٥٩) جامع البيان ١١٣/١٠ •

٨ ــ مــادة (كفء)

تدل تصاريف مادة (ك ف ء) المختلفــة على عــدة معان منها : المجــازاة المقتضية المســاواة وعــدم مجاوزة حد المثل ، وكل شيء ســاوى شــيئا حتى يكون مثله فهو مكافىء له ، والمكافأة بين الناس من هــذا • يقال : كافأت الرجل ، أى فعلت به مثل ما فعل بى • ومنهــا معنى المناصــفة كأن كل واحد من المتكافئين يأخــذ حقه فى الوصف المشترك بينهما ، ومنها معنى الصرف ، كأن كل واحــد منهمــا يصرف الآخر عن مجاورة حــد المماثلة بينهما •

ومنها معنى المقاومــة كأن كل واحــد منهما يقــاوم صاحبــــه بالصفة ليمنع غلبته عليه فيهــا •

ومنها معنى التغير وكسوف اللون ، كأن الكفء تعتمــل نفســه مخافة أن يتغلب عليه غيره •

هذه المعانى وغيرها مما ذكرته المعاجم نلمحها فى معنى (الكفء) قال فى اللسان : « الكفء : النظــير والمســاوى ، وتكافــأ الشــيئان تماثلا ••• وهذا كفاء هذا وكفــؤه •• أى مثله يكــون هــذا فى كــل شيء »(٢٦٠) •

ويرى الراغب ارتباط دلالة الــكلمة بالأمور المعنــوية ، قال : « الكفء فى المنزلة والقــدر »(٢٦١) •

والآية القرآنية الوحيــدة التى جــاءت فيها الكلمة تشــهد بأن

---

(٢٦٠) لسان العرب ٣٨٩٢ وانظر المــادة فيه •

(٢٦١) المفردات ٤٣٦ •

دلالتها على المماثلة فى الذات والصفة مع النظر الى الاثنين عند الحكم بالتكافؤ .

١ ـ قال تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد »(٢٦٢) .

قال الزمخشري بعد أن بين دلالة الآيات قبلها على تفرد الله جل وعلا فى الذات والصفات ونفى المجانسة والمشابهة مع غيره : « ولم يكن له كفوا أحد ـ تقرير لذلك وبت للحكم به »(٢٦٣) .

فكلمة (كفء) تدل على المماثلة والمساواة وراعى معها النظر الى الطرفين معا . وذلك على سبيل الاثبات ، أو على سبيل النفي، كما فى الآية الكريمة (ولم يكن له كفوا أحد) والله أعلم .

٩ ـ كلمة (سمى) :

يفيد كلام أهل اللغة والمفسرين أن أصل دلالة كلمة (سمى) هو : مجرد اتفاق اثنين فى الاسم . فقولنا : فلان سمى فلان ، أى هو موافق له فى اسمه ، دون نظر الى الذات أو الصفات . هذا هو محض معناها اللغوي(٢٦٤) .

وهى فى الاستعمال على ضربين جاء عليهما شاهداها فى القرآن الكريم :

الضرب الأول :

وتكون فيه (سمى) بمعناها اللغوى ، من الدلالة على الاتفاق فى التسمية من غير نظر الى معنى آخر . وشاهده فى القرآن الكريم الآية الآتية :

---

(٢٦٢) سورة الاخلاص ٤ .

(٢٦٣) الكشاف ٢٩٩/٤ .

(٢٦٤) ينظر لسان العرب ٢١٠٩ وما بعدها وجامع البيان ٥٧/١٦ .

قــال تعــالى : « يا زكريا انــا نبشرك بغــلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا »(٢٦٥) ٠

(لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم باسمه أحد قبله ، وهذا ما رواه الطبرى « عن قتــادة قــال : لم يســم بيحيى أحــد قبله ، وعن ابن عباس : أن معناه لم يسم قبله أحد بيحيى »(٢٦٩) ٠

ويؤيد هذا ســياق الآيــة لأنهــا تحدثت عن تسميته (يحيى) ثم نفت أن يكون سمى بهذا الاسم أحد قبله ٠

الضرب الآخــر :

أن تكون (سمىّ) بمعنى : مثل ، وشبيه ، أى أن الاتفــاق فى التسمية تابع لمماثلة بين المسميين ومشابهة فى ذاتهــما وصــفاتهما ٠ وشــاهده الآية الآتيــة :

قــال تعالى : « رب الســموات والأرض وما بينهــما فاعبــده واصطبر لعبــادته هل تعلم له ســميا »(٢٦٧) ٠

روى الطبرى فى تفسيرها عن مجــاهد « قــال : هل تعلم له شبيها، هل تعــلم له مثــلا تبارك وتعالى »(٢٦٨) ٠

وقــال الراغب : « أى نظيرا له يستحق اسمه ، وموصوفا يستحق صفته على التحقيق ٠ وليس المعنى : هل تجــد من يتســمى باسمه

---

(٢٦٥) سورة مريم ٧ ٠
(٢٦٦) جامع البيان ١٦/٥ ٠
(٢٦٧) سورة مريم ٦٥ ٠
(٢٦٨) جامع البيان ١٦/١٠٦ ٠

اذ كان كثير من أسـمائه قـد يطلق على غيره • لكـن ليس معناه اذا أستعمل فيه كما كان معناه اذا أستعمل فى غيره)(٢٦٩) •

أى أن كلمة (سـميا) فى الآيـة مراد بها مدلولهـا اللغوى وهو الاتفاق فى التسمية ، مع دلالة المقـام على أن هذه المماثلة فى التسمية تكـون راجعـة الى مماثلة فى الذات ، أو الصـفة ، من أجلها يسـتحق أن يسمى باسم مثله وشبيهه •

وقد ذكر الزمخشرى وجوها ثلاثة فى معنى كلمة (سميا) يرجع الأول الى المعنى اللغوى من الاتفـاق فى التسـمية كما فى قـوله تعالى : « لم نجعـل له من قبل سميا » وفى الثانى يتفق مـع ما ذهب اليـه الراغب من كون التسـمية منتفية باعتبـار انتفاء استحقاق التسميه من المماثلة فى الذات أو الصـفة • ويتفق فى الثالث مع ما ذكـره الطبرى من كون المراد بكلمة (سمـيا) المثل والشـبه •

وعبارته : « أى لم يسم شىء بالله قط ••• ووجـه آخـر : هل تعـلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل ، لأن التسـمية عـلى الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية ، وقيل : مثلا وشبيها »(٢٧٠)•

وقد ذكر فى موضع آخر علة اطلاق (سمى) على الشبه والمثـل، قائـلا : « وانما قيل : للمثل سمى لأن كل متشاكلين يسمى كل واحـد منهمـا باسـم المثـل والشـبيه ، والشكل والنظير ، فكل واحد سمى صـاحبه »(٢٧١) •

على أن فى هذا التعليل شـيئا • لأنه ان أراد أن لفظ المثل والشبيه

---

(٢٦٩) المفردات فى غريب القرآن ٢٤٤ •
(٢٧٠) الكشاف ٢/٥١٧ •
(٢٧١) الكشاف ٢/٥٠٣ •

يطلق على كلا المثلين والشبيهين فهو ضعيف • لأن لفظ المثل وكذلك الشبيه والشكل والنظير لا يعدو المجيء بها الوصف بمدلولاتها ، ووصف الشيئين بأن كل واحد منهما مثل للآخر ، أو نظير له ، لا يعد تسمية له •

وان أراد أن كل متماثلين أو متشابهين يسمى كل منهما باسم الآخر ، أو يوصف بوصفه — وان كانت عبارته غير صريحة فى ذلك — فهذا لا يعدو أن يكون رجوعا بالوجه الثالث الذى أراد التعليل له الى الوجه الثانى الذى ذكره الراغب •

ويكون اطلاق كلمة (سميا) فى الآية مرادا بها تحقق الوصف الذى يستحق بسببه التسمية — مجازا مرسلا من اطلاق المسبب وهو التسمية على سببها وهو اتفاق المسميين ذاتا أو صفة •

« كلمات أخرى » :

بقى معنا كلمات عدوها من أدوات التشبيه ، سنذكرها فيما يأتى ببيان دلالتها الوضعية ، ومدى افادتها الحكم بالمشابهة ، والفروق بينها • وذلك بصورة مجملة •

و هذه الكلمات نوعان : نوع يفيد الحكم بالمشابهة ، وليس له شواهد فى القرآن الكريم • ونوع لا يفيد الحكم بالمشابهة ، وتحقيق القول فيه أنه — أيضا — ليس من التشبيه الاصطلاحى كما ذكره جمهور البلاغيين • ولبعض هذا النوع شواهد فى القرآن الكريم وبعض كلماته الآخر ليس له شواهد فيه •

« النــوع الأول » :

وهو الكلمــات الآتيــة :

١٠ ــ كلمــة (نظــير) :

يدل كلام أهــل اللغــة على أن مادة هذه الكلمة تضم فى دلالتها عنصرين : المماثلة فى الأفعــال والأحوال ، ومقابلة كلا النظيرين نظيره ، فيكونان عند النظر اليهما ســواء •

جاء فى اللســان « فلان نظيرك ، أى مثلك ، لأنه اذا نظر اليهما الناظر رآهما ســواء ••• وهم يقولون : دور آل فلان تنظر الى دور آل فلان ، أى هى بازائهــا ومقابلة لها »(٢٧٢) •

فالمادة اذا شاهدة بذلك •

ذكر الزمخشرى ــ أيضــا ــ ما فيها من المماثلة والمقابلة • قال : « هو نظيره بمعنى مناظره ، أى مقابله ومماثله »(٢٧٣) •

وقد فرق أبو هلال العسكرى بين المثل والنظير قائلا :

« الفرق بين المثل والنظير ، أن المثلين ما تكافآ فى الذات ، والنظير ما قابل نظيره فى جنس أفعاله وهو متمكن منها • كالنحــوى نظــير النحوى ، وان لــم يكن له مثل كلامه فى النحو أو كتبه فيه ، ولا يقال : النحوى مثل النحوى ، لأن التماثل يكون حقيقة فى أخص الأوصاف ، وهو الذات »(٢٧٤) •

---

(٢٧٢) لسان العرب ٤٤٦٥ ، ٤٤٦٧ •

(٢٧٣) أساس البلاغة ٤٦٢ •

(٢٧٤) الفروق فى اللغة ١٤٨ •

وبهذا نعلم أن تفسير النظير بالمثل كما في كلام صاحب اللسان وكلام الزمخشري جاء على سبيل المسامحة .

هذا وليس للكلمة شواهد في القرآن الكريم .

١١ ــ كلمة (ضريب) :

تدل تصاريف مادة (ض ر ب) على رجوع أكثر معانيها الى ما يتصل بالشكل والصورة الظاهرة . وكلامهم على استعمال (ضريب) في الشكل كثيرا . كما يجيء في معنى (مثل) أيضا .

جاء في اللسان « قال ابن الأعرابي : الضريب الشكل في القد والخلق . ويقال : فلان ضريب فلان ، أي نظيره . وضريب الشيء مثله وشكله . ابن سيده : الضرب ، المثل والشبيه ، وجمعه ضروب ، وهو الضريب ، وجمعه ضرباء »(٢٧٥) .

وخصه البهاء السبكي بالشكل(٢٧٦) وان كان الزمخشري قيد قبله « هو ضربه وضريبه أي مثله »(٢٧٧) .

ويشهد له قول البحتري :

بلونا ضرائب من قد نرى
فما ان رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا
ت عزما وشيكا ورأيا صليبا

---

(٢٧٥) لسان العرب ٢٥٦٨ .
(٢٧٦) ينظر عروس الافراح ٣/٣٩٣ .
(٢٧٧) أساس البلاغة ٢٦٧ .

تتقنـ ـل في خـ ـلقي سيـ ـؤدد
سـماحا مـرجى وبأسـا مهيبـا
فكالسـيف ان جئتـه صـارخا
وكالبحـر ان جئته مستثيبا(٢٧٨)

١٢ ــ كلمـة (محـاك) :

تدل الكلمة وما يتصرف منها على الاتيان بفعل أو قول على جهة تحرى المساواة مع فعل أو قول آخر . قال ابن منظور : « حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله : أو قلت مثل قوله سواء ، لم أجاوزه وحكيت عنه الحديث حكاية .. وفي الحديث ما سرني أني حكيت انسانا وأن لي كذا وكذا ، أي فعلت مثل فعله ... ثم قال : والمحاكاة المشابهة تقول : يحكى الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى »(٢٧٩) .

وقد ذكر أولا حقيقة المحاكاة من أنهـا تكون في فعل أو قول على سبيل تحرى الموافقة فيه ،، ثم ذكر وجها آخر من وجـوه استعمال الكلمة ، بأن يراد بها المشابهة . وواضح أن المثال الذى مثل به في هذا الوجـه ليس فيـه محـاكاة بمعنـاها الحقيقى الذى بينـاه . لانه ــ من ناحية ــ لا تتأتى محاكاة الانسـان الشمس في فعل ، فضـلا عن قول . ومن ناحية أخرى أن المحاكاة حقيقة في اكتساب وصف لا في وصف قائم .. وعليه يكون استعمال الكلمة في هـذا المثـال على غير حقيقتها وضرب من المجاز ، وهو ما صرح به الزمخشرى قائلا : « ومن المجـاز وجهه يحكى الشمس حسنا ويحاكيها »(٢٨٠) وان كان لم يعين

---

(٢٧٨) الديوان ١/١٥١ والأبيات في دلائل الاعجاز ٥٩ .
(٢٧٩) لسان العرب ٩٥٤ .
(٢٨٠) أساس البلاغة ٩٢ .

نوع المجـاز ولم يشر اليـه.. وقـد يكون مجازا مرسـلا ، علاقته اللازميـة ، من اطلاق الملزوم وارادة اللازم ، لأن محاكاة شيء لشيء تستلزم مشابهته له .

أو تكون علاقته التقييد والأطلاق ، باطلاق المحاكاة من قيـد كونها في فعل أو قول ... الى كونها مطلق مشابهة .

لكن يجب التفريق بين اعتبـار المجاز في الكلمة لهذه العلاقة وبين ما ذكره البهـاء السبكي من أن « المحاكي المشابه مطلقا »(٢٨١) لأن الذي يفهم من عبارته أن كلمة (محـاك)وما تصرف منها مستعملة في المشابه مطلقا على سبيل الحقيقة .

معنى هـذا أن هذه الكلمة بعد أن استعملت في غير معناها الأصلي وهو مطلق المشابهة للعلاقة التي ذكرناها ، تتوسيت هـذه العـلاقة بكثرة الاستعمال ، وانتقلت الكلمة الى دائرة الحقيقة باعتبارها موضوعة للمعنى المجازي وضعا تحقيقيا جديدا وهذا مسلك من مسالك الوضع في اللغـة فقد قالوا : ان أكثر اللغـة مجاز لا حقيقة(٢٨٢) .

وقد قلنا ان هـذه المادة ليس لها شواهد في القرآن الكريم .

ومن شواهدها في الشعر قول ابن وكيع التنيسي :

وجلنـــار بهي في دوحـــة يتــوقد
يحكي فصـوص عقيق في قبــة من زبرجـد(٢٨٣)

---

(٢٨١) عروس الأفراح : شروح ٣/٣٩٣ .

(٢٨٢) انظر العلاقات والقرائن في التعبير البياني رسالة ماجستير مخطوطة للمؤلف بكلية اللغة العربية (القاهرة) ٦٧ وانظر الخصائص ٢/٤٤٧ .

(٢٨٣) البيتان في المنزع البديع ٢٣٣ .

وقول آخر فى تشبيه الهلال بالسوار المنفصم :

حاكيا نصف سوار من نضار يتوقد(٢٨٤)

١٣ ــ كلمة (مضارع) :

جاء فى اللسان ما يدل على أن المضارعة تكون بمعنى المشابهة أى تتعلق بالصور والهيئات ؛ وتكون بمعنى المماثلة التى تتجاوز الصور والهيئات ــ كما بينا ــ قال : « والمضارعة للشىء أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه ، وفى حديث عدى : لا يختلجن فى صدرك شىء ضارعت فيه النصرانية . والمضارعة المشابهة والمقاربة »(٢٨٥) .

ويستفاد من كلامه أن المضارعة تدل على المقاربة فى الصفةوالشعور بنقص المعنى فى المحكوم عليه بها والاجتهاد فى الوصول الى تمامه .

وبدلالتها على المقاربة تفارق المحاكاة لأن فيها ــ كما سبق ــ تحرى المساواة فى الصفة وعدم المجاوزة .

وتوسع البهاء السبكى فى بيان معنى المضارعة قائلا : « المضارعة المشابهة »(٢٨٦)، ووجه التوسع أن المضارعة ــ كما سبق ــ تشمل ما كان الاتفاق فيه فى الهيئات وما كان فى الذاتيات على جهة المقاربة ، فأطلق الاتفاق عن هذا القيد مريدا بها الاتفاق فى صفة من الصفات .

---

(٢٨٤) البيت فى أسرار البلاغة ٢٣٤ .

(٢٨٥) لسان العرب ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١ .

(٢٨٦) عروس الأفراح ٣/٣٩٣ .

١٤ ـ كلمة (نحو) :

أصل كلمة (نحو) المصدر بمعنى القصد • تقول : نحوت نحوا ، أى : قصدت قصدا ، ونحوت نحوك ، أى قصدت قصدك • وقد تستعمل ظرفا ، مثل : سرت نحو البيت ، أو اسما ، كتسمية الطريق نحوا • وتسمية العلم الذى به انتحاء طريق العرب فى كلامهم نحوا(٢٨٧) •

وبهذا يتضح ما للكلمة من دلالة على الجهة ، والموافقة فى المسلك والميل بالأفعال الى طريق مخصوص • وهذه العناصر لمعنى الكلمة ساعد على استعمالها للحكم بها لافادة الاتفاق فى معنى على سبيل المقاربة وصيرورة المحكوم عليه بها فى جهة ما يتفق معه فى هذا المعنى • تقول : فعلت نحو فعلك وعند فلان نحو مائة رجل •

وحكى البهاء السبكى أن « لفظ النحو والمثل ليسا مترادفين • فلفظ (المثل) دال على المساواة بين الشيئين الا فيما لا يقع التعدد الا به • هذا حقيقته ، ويستعمل مجازا فيما دون ذلك ولفظ (النحو) يدل على المقاربة فى الفعل ، لا على المماثلة وان استعمل فى (المثل) فبملاحظة معنى آخر »(٢٨٨) •

أى أن استعمال لفظ النحو مكان لفظ المثل يكون ايضا على سبيل المجاز •

١٥ ـ كلمة (موازن) :

تدل مادة الكلمة على المساواة فى الوزن ، قال الزمخشرى : « وازن

---

(٢٨٧) ينظر لسان العرب ٤٣٧١ وأساس البلاغة ٤٥٠ •
(٢٨٨) عروس الأفراح ٣/٣٩٣ •

الشيء بالشيء ســـاواه في الوزن وتوازيا واتزنا »(٢٨٩) • وغيرهـا ـ أيضـا ـ بمعنى الجهـة ، والمعـادلة ، والمقـابلة •

جاء في اللسان . « الميزان : العدل ، ووازنه : عادله ، وقابله • وهو وزنه وزنتـه ،ووزانه وبوزانه أي قبالته ، وقولهم : هو وزن الجبل ، أي ناحيته ، وهو زنة الجبل : أي حذاءه »(٢٩٠) •

وبدلالة (موازن) على المساواة في الوزن تكون أخص من كلمة (مساو) التي هي في أصلها تدل على المقادير مطلقا ، ذرعا ، أو وزنا أو كيلا • وهي ـ أيضا ـ أخص من المعادلة التي تكون في المقـادير وغـيرها •

النـوع الآخر

وهو كلمات ذكروا أنها تفيد الحكم بالمماثلة(٢٩١) • وحقيقة الأمر فيها أنها لا تفيدها قطعا • وهـذه الكلمات كلمتان لم تأتيا في القرآن الكريم ، وأخريان جاءتا فيـه •

١٦ ـ ١٧ ـ فالأوليان كلمتا (مواز ومؤاز)

ويبـدو من صنع صـاحب اللسان بذكره الكلمة الأولى في باب الواو ، والثانية في باب الهمزة ـ أن الكلمتين مختلفتان • لكنه عنـد الحديث عن كلمة (وازيته) يقول : « قال الجوهري : ولا تقل : وازيته وغيره أجـازه على التخفيف »(٢٩٢) فدل بارجاع الكلمة (وازيته)

---

(٢٨٩) أساس البلاغة ٤٩٨ •
(٢٩٠) لسان العرب ٤٨٢٩ •
(٢٩١) انظر عروس الافراح ٣/٣٩٢ •
(٢٩٢) لسان العرب ٤٨٣٠ •

الى الكلمة (آزيتــه) تكون الواو مخففة من الهمزة ـ على ان الكلمتين في حقيقتهما كلمة واحدة .

وقد اتفق ما قاله هنا مع ما قاله هنالك عن (آزيته) قال : « يقال : هو بازاء فلان ، أي بحـذائه ، وقد آزيتــه ، اذا حاذيتــه ، ولا تقل : وازيتــه »(٢٩٣) .

والتحقيق : أن الكلمتين مختلفتان مادة ومعنى . فالموازاه المقابلة والمواجهة كما ذكر صاحب اللسان نفسه قائلا : « .. في حــديث صلاة الخوف:فوازينا العدو وصاففناهم ـ فالموازنة المقابلةوالمواجهة»(٢٩٤)

فالمتوازيان لا يلتصقان ، وانما يتواجهان بحيث يكون كل منهمــا في مقــابلة الآخر وعلى مسافة معهودة .

قال الأعشى في قصيدة (الندى والمحلق) يصف الحصــن الأبلق بتيمــاء اليهودي :

بنــاه ســليمان بن داود حقبــة
لــه أزج عــــال وطي مــــوثق
يوازي كبيــداء السـمـاء ودونه
بــلاط ودارات وكلس وخنــدق(٢٩٥)

فالحصن يواجه وسط السماء ولا يلاصقه .

أما كلمة (آزيته) فتدل على التجــاور والالتصاق . وقد جاء في

---

(٢٩٣) لسان العرب ٧٥ .

(٢٩٤) لسان العرب ٤٨٣٠ .

(٢٩٥) ديوان الأعشى ١١٧ والأزج البناء المستطيل ، والطي : البناء بالحجــارة .

اللسان أيضا .« أزيت اليه أزيا وأزيا انضممت وآزانى هو ضمنى،ويقال:
هو بازاء فلان ، أى بحذائه » •

ففى الكلمة معنى الدنو والالتصاق • لكنه ذكر بعـد ذلك ما يشعر بالاضطراب ، قال : « وقد آزيته اذا حاذيته ولا تقل وازيته ، وقعـد بازاءه ، أى قبالتـه ، وآزاه ، أى قابله »(٢٩٦) أى من معـانى آزى المقابلة ، ولا مخرج من هـذا الاضطراب الا أن تكون الكلمة تدل على المجاورة تارة والمقابلة تارة أخرى وهما معنيان متضادان •

وأياما كان المعنى فليس للكلمتين افادة الحكم بالمشابهة فضـلا عن انتفـاء التشبيه الاصطلاحى •

أما الكلمتان الأخريان اللتان لا تفيدان الحكم بالمشـابهة ولهمـا شواهد من القرآن الكريم فهما :

١٨ ـــ كلمـة (أخ)

فقد ذكروا من أدوات التشبيه كلمة (أخ) ومؤنثها (اخت) (٢٩٧) عندما تستعمل فى غير من يجمعك به صلب ، أو بطن ، أو رضاع(٢٩٨) •

وقد جاءت الكلمة (مذكرة ومؤنثة) فى آيات عـدة من القـرآن الكريم ، مستعملة فى جهـات المشاركة الثلاث • ونكتفى بالآية الآتية شـاهدا على ذلك :

قال تعـالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخـالاتكم وبنـات الأخ وبنـات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم

---

(٢٩٦) لسان العرب ٧٥ •
(٢٩٧) انظر التبيان ٠٠ للطيبى ٢١٢ وعروس الافراح ٣٩٣/٣ •
(٢٩٨) الاخوة من الرضاع توسع فى الدلالة اللغوية من جهة الشارع

وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما »(٢٩٩) .

فكلمة (أخوات) فى أول الآية ، وكلمتا (الأخ ، والأخت) بعدها تحتمل كل منها الدلالة على الاجتماع بصلب ورحم ، أو بأحدهما ، وكذلك كلمة (الأختين) فى آخر الآية تحتمل الجهتين ، وجهة الرضاع أيضا .

أما كلمة (أخوات) فى قوله تعالى : (وأخواتكم من الرضاعة) فصريحة بالقرينة فى أخوة الرضاع لا غير .

وكلام البهاء السبكى على أنه قد اتسعت دلالة الوضع لكلمة ، فصارت تطلق — أيضا — على المشارك فى القبيلة والدين ، ثم صارت تستعمل فى كل مساو ، لكنه لم يبين لنا طريق هذا الاستعمال .

قال : « والأخ حقيقته : المشارك لغيره فى أب أو أم ، ثم أطلق على المشارك فى القبيلة أو فى الدين ، ثم استعمل فى كل مساو (٣٠٠) .

والذى يبدو من كلام العلماء أن منهم من لا يعتبر استعمال الكلمة (أخ) فى المشارك فى القبيلة والدين استعمالا لها فيما وضعت له .
فالراغب يقول : « الأخ المشارك آخر فى الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما ، أو من الرضاع . ويستعار فى كل مشارك لغيره فى القبيلة ، أو فى الدين ، أو فى صنعة ، أو فى معاملة ، أو فى مودة ، وفى غير ذلك من المناسبات . . . . ثم يبرز معنى التشبيه فى قوله تعالى :

---

(٢٩٩) سورة النساء ٢٣ .
(٣٠٠) عروس الأفراح ٣٩٣/٢ .

« واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم »(٣٠١) . يقول : « سماه أخا تنبيها على اشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه »(٣٠٢) .

ومنهم من يوسع دائرة الوضع ليشمل غير المشارك فى القبيلة والدين جاء فى اللسان : الأخ من النسب معروف وقد يكون الصديق والصاحب ... ثم يحكى عن الزجاج فى الآية السابقة (واذكر أخا عاد) ما يدل على الاحتمالين أى كون كلمة أخ موضوعة لما أريد منها أو كونها للتشبيه — قال الزجاج: قيل فى الأنبياء أخوهم وان كانوا كفرة لأنه انما يعنى أنه قد أتاهم بشر مثلهم من ولد آدم عليه السلام ، وهو أحج . وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم فيكون أفهم لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم »(٣٠٣) .

وقد يكون تقديمه اعتبار التشبيه لترجيحه له عن اعتبار المعنى الثانى الذى هو ارادة الأخوة فى القبيلة الموضوعة له كلمة (أخ) كما هو ظاهر كلام الزجاج بقرينة مقابلته بمعنى التشبيه الذى قدمه عليه .

ومن شواهد الأخوة فى الدين قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(٣٠٤) .

---

(٣٠١) سورة الأحقاف ٢١ .
(٣٠٢) المفردات ١٣ .
(٣٠٣) لسان العرب ٤٠ .
(٣٠٤) سورة آل عمران ١٠٣ .

وقد تكون الأخوة فى الجنس وصفاته كما فى قوله تعالى : « وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون »(٣٠٥) .

بقى لنا أن نعرف ما اذا كانت كلمة (أخ) عند استعمالها فى غير ما وضعت له — من أدوات التشبيه — كما قيل — أم لا ؟

والحق الذى لا غموض فيه أن الكلمة عند استعمالها فى غير المشارك فى أب أو أم أو رضاع على القول بأنها ليست موضوعة له — لا تكون أداة تشبيه وانما تكون فى التركيب واقعة مشبها به . فقوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »(٣٠٦) فيه جملة تشبيه (انما المؤمنون اخوة) وطرفا التشبيه (المؤمنون) المشبه و (اخوة) هى المشبه به واداة التشبيه الكاف محذوفة أى أن المؤمنين فيما يجمعهم من المحبة وانقطاع التنازع والعداوة بينهم كأخوة الرحم سواء .

هذا اذا وجد طرفا التشبيه أما ان لم يوجد المشبه ولم يكن منويا فان المجىء بلفظ (أخ أو أخت) عندئذ يكون على سبيل الإستعارة فقوله تعالى : « واذكر أخا عاد »(٣٠٧) يكون لفظ (أخا عاد) مستعارا بعد أن شبه به هود ثم حذف واستعمل مكانه .

وكذلك قوله تعالى : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »(٣٠٨) فان كلمة (أخت) هنا على القول بأن

(٣٠٥) سورة الزخرف ٤٨ .
(٣٠٦) سورة الحجرات ١٠ .
(٣٠٧) سورة الأحقاف ٢١ .
(٣٠٨) سورة مريم ٢٨ .

هارون هذا رجل صالح في زمانها شبهوها به(٣٠٩) مستعارة واستعملت مكان (مريم) .

وعبارة الراغب « ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة .... »(٣١٠) تحتمل أن يكون مرادا بالاستعارة الاستعارة الاصطلاحية وأن يكون مرادا بهـا التشبيه المحذوف الأداة ـ كالأمثلة التى معنا ـ على القول بأنه استعارة .

وبهذا يكون قد تبين لنا تهافت القول بأن كلمة (أخ) من أدوات التشبيه ... وانما تفيد الحكم بثبوت مدلولها المحكوم عليه بها عندما يكون مرادا بها مدلولها الوضعي ، والحكم بالمشابهة مع تقدير حرف التشبيه يكون مرادا بها غير مدلولها الوضعي .

١٩ ـ كلمـة (صنـو) :

جاءت كلمة (صنو) بغير صيغة الافراد في قوله تعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »(٣١١) .

والصنو في الأصل الغصن الخارج من أصل شجرة معه اخر ، وذلك بأن تطلع نخلتان أو أكثر من عرق واحد ، فتسمى كل واحدة صنوا ... والاثنان صنوان بكسر النون ، والجمع صنوان بضم النون مع التنوين كما في الآية(٣١٢) .

---

(٣٠٩) ينظر الكشاف ٢/٥٠٨ والبحر المحيط ٦/١٨٦ .
(٣١٠) المفردات ١٣ .
(٣١١) سورة الرعد ٤ .
(٣١٢) ينظر المفردات ٢٨٧ ولسان العرب ٣/٢٥١ .

وقد جاء فى اللسان ما يدل على أن الكلمة اتسعت دلالتها الوضعية فلم تبق خاصة بالنبات ، وصـــارت تدل على كل مشارك فى الأصل •

قال : « والصنو الأخ الشقيق ، والعم والابن ، والجمع أصنـــاه وصنوان ، والأنثى صنوة ، وفى حديث النبى ﷺ : « عم الرجل صـــنو أبيــه • قال أبو عبيد : معناه أن أصلهما واحد • قال : وأصل الصـــنو انما هو فى النخل • قال شمر : يقال فلان صنو فلان • أى أخوه ، ولا يسمى صنوا حتى يكون فيه آخر »(٣١٣) •

وعبارة السبكى تؤصل المادة فى الدلالة على المشارك غيره فى أصله مطلقا ، دون التصريح بأن أصـــل وضعها للغصنين اشتركا فى أصـــل واحـــد •

قال : « الصـــنو تصاريفه تدل على أنه المتشارك لغيره فى الأصل الذى خرجا منـــه ، فالانسان صنو أخيـــه لاشتراكهما فى أب أو أم ، وصنو عمـــه أو أبيـــه ، لاشتراكهما فى الجد • والغصنان الخارجان من شجرة صـــنوان »(٣١٤) •

لكن الزمخشرى يرى أن الكلمة فى غير الغصنين المشتركين فى أصل مجاز ، قال : « ومن المجاز هو شقيقه وصنوه • قال :

أتتركنى وأنت أخى وصنوى فيا للناس للأمر العجيب(٣١٥)

وكلامه يحتمل : أن يكون مراده بالمجاز مطلق مجاز الكلمة عمـــا وضعت له أولا واتساع دلالتها فى اللغة •

---

(٣١٣) لسان العرب ٢٥١٣ •
(٣١٤) عروس الأفراح ٣٩٣/٣ •
(٣١٥) أساس البلاغة ٢٦٠ •

أو أن يكون مراده المجاز الاصطلاحى ؛ فيكون المثالان المذكوران من باب الاستعارة على القول بأن التشبيه البليغ استعارة .

بقى لنا أن نقول : ان كلمة (صنو) تجرى على الحد الذى بيناه فى كلمة (أخ) من أنها ليست أداة تشبيه . فاستعمالها فى كلام غير مراد بها مدلولها اللغوى يكون على سبيل التشبيه المحذوف الأداة ان كان المشبه مذكورا مثل:أخوك صنوك وخالد صنو عمرو . فأداة التشبيه الكاف المحذوفة وليست كلمة (صنو) وان كان المشبه غير مذكور كانت على سبيل الاستعارة مثل قابلنى صنوك . وهكذا .

لا يبقى معنا الا كلمات ذكروا أنها من أدوات التشبيه . ورأينا أنها ليست كذلك .

٢٠ ــ منها (فعل التفضيل) فقد حكى البهاء السبكى انها من الأدوات(٣١٦) .

والحق أن أصل دلالة صيغة أفعل التفضيل الاخبار بالمعنى على سبيل المفاضلة لا التشبيه . ففى قولنا : العسل أحلى من عصير الفاكهة تدل بهذه الصيغة على مجاوزة العسل العصير فى الحلاوة . والكلام وان أفاد اشتراك الاثنين فى الصفة الا أن هذه الافادة ليست قصدا وأصالة . وانما من مضمون الكلام بحكم اشتراك المتفاضلين فى الصفة التى يقع فيها التفاضل . فالتشبيه ليس مدلولا عليه بأداة . وان كان مستفادا من الكلام .

هذا فضلا عن اختلاف افادة التشبيه بأفعل التفضيل عن افادته بالكلمات الأخرى : مثل ونسبه وغيرها .. لأن مبناه ان المفضل يفوق المفضل عنه ويجاوزه ، فليست فيه دعوى الحاق شىء بشىء لأن الكلام

يدل على اختلافهما فى الصفة زيادة ونقصانا دون أن يلحق الناقص بالكامل كما هو شأن ما يدل على التشبيه .... أو ما يفيده من هذه الكلمات .

٢١ — ومن هذه الكلمات (ياء النسب) فقد حكى — أيضا — البهاء السبكى عن عبد اللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة أنها من أدوات التشبيه (٣١٧) وهذا لا يخفى بعده . لأن الذى يفيد التشبيه فى بعض شواهدها المقام وليس الياء ، بدليل عدم اطراد هذه الافادة وتخلفها فى بعض الأمثلة . فإن كان قولنا : وردى وأحمرى يفيد التشبيه بالورد والشىء الأحمر ، فان قولنا : مصرى وسودانى لا يفيد التشبيه بالمصرية والسودانية .

٢٢ — ومنها صيغة (تفعل) بتشديد العين التى ذكر العصام فيها امكان الذهاب الى كونها من أدوات التشبيه فى مثل : تحلم وتصبى ، أى صار كالحليم وكالصبى(٣١٨) .

ومن الواضح أن التشبيه لا يستفاد من صريح الكلام وانما يستفاد ضمنا . كما أنه ليس فى الكلام مشبه به مذكوراً صراحة .

٢٣ — ومن هذه الكلمات — أيضا — كلمة (سواء) واختلمه لا تدل على التشبيه ، وانما تفيد الحكم بالتشابه وسنذكرها فى مبحث إن شاء الله تعالى .

(٣١٦، ٣١٧) عروس الأفراح ٣/٣٩٢ — ٣٩٣ .
(٣١٨) الأطول ٢/٨٨ .

المبحث الثاني

ــ أدات التشبيه ــ

أولا ــ الكاف :

يقولون : ان الكاف هي الأصل في الدلالة على التشبيه ، معللين ذلك ببساطتها . أي كونها حرفا واحدا لا تركيب فيها(١) لأن التركيب من شأنه أن يؤدي الى خصوصية في المعنى ، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة ، كما هو الشأن في (كأن) من دلالتها على التشبيه المؤكد . أما الكاف فلا تدل الا على الأصل ، وهو التشبيه .

وهي أي الكاف الجارة ــ عند سيبويه « حرف جر للتشبيه »(٢) ويرى معه كثير من المحققين أنها لا تكون اسمية مرادفة لكلمة (مثل) الا في الشعر للضرورة . كقول العجاج :

بيض ثلاث كنعاج جم يضحكن عن كالبرد المنهم(٣)

ويرى أبو حيان ــ أيضا ــ أن اسميتها خاصة بالشعر(٤) ، مع

---

(١) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣ .

(٢) الكتاب ٢١٧/١ .

(٣) من مشطور السريع المكسوف ، والنعاج : جمع نعجة ، وهي البقرة الوحشية ، والجم الكثير ، أو جمع جماء التي لا قرن لها ، والمنهم : الذائب . انظر مغني اللبيب وحاشية الأمير عليه ١٥٤/١ .

(٤،٥) البحر المحيط ٦٢/١ وانظر أيضا ــ ٢٤٦/١ ، ٤٣٥ ، ٤٧٤ ، ٣٣٤/٢ ، ٤٦٦ ، ١٥٤/٥ .

أنه فى كثير من مواضعها فى القرآن الكريم يعربها اسما بمعنى (مثل) موافقا غيره فى ذلك(٥) .

وكثير من النحويين منهم الأخفش والفارسى — يجوزون اعرابها اسما فى الاختيار . ففى نحو : زيد كالأسد ، يجوز أن تكون الكاف فى موضع رفع والأسد مخفوضا بالاضافة . وقد ذكر ذلك كثيرا فى كتب المعربين(٦) .

والزمخشرى عند تفسير قول الله تعالى : « أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله »(٧) وقوله تعالى: « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى »(٨) — نجده يرجع الضمير فيهما الى الكاف ؛ وهذا لا يكون الا اذا كانت اسما . يقول : « — فأنفخ فيه — أى فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير .. ويذكر تعليلا حسنا بأن الضمير (ها) لا يرجع الى الهيئة التى أضيفت اليها الكاف ، لأنها — أى الهيئة — ليست من خلقه ، ولا من نفخه فى شىء »(٩) .

والمعانى التى ذكروها للكاف الحرفية خمسة : التشبيه ، مثل : زيد كالأسد . والتعليل : واستشهدوا له بآيات عدة منها قوله تعالى: « وى كأنه لا يفلح الكافرون »(١٠) والتوكيد ، مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » (١١) والاستعلاء : كما فى قول بعضهم : كخير،

---

(٦) ينظر مغنى اللبيب ١٥٤/١ .
(٧) سورة آل عمران ٤٩ .
(٨) سورة المائدة ١١٠ .
(٩) ينظر الكشاف ٤٣١/١ ، ٦٥٣ .
(١٠) سورة القصص ٨٢ .
(١١) سورة الشورى ١١ .

جوابـا للسؤال : كيف أصبحت ؟ أى على خير • والمبادرة ، مثل صل كما يدخل الوقت • أى صـل مبادرا دخول الوقت(١٢) •

وشواهد الكاف الجـارة فى القرآن الكريم تجرى كلها على التشبيه، وإن حمل بعض منها على التعليل ، وبعض آخر على التأكيد •

وسيكون حديثنا عن هذه المعانى الثلاثة : التشبيه ، والتعليـل ، والتأكيد ، دون المعنيين : الرابـع والخـامس ، لبعـد حمـل بعض الآيـات عليهـا •

وسنبدأ ــ أولا ــ بالحـديث عن التشـبيه بها ، ثـم نردفـه بالشـواهد التى أمكن للعلمـاء حملها على معنى التعليل ، ثم نخـتم بالشـواهد التى قـال بعض المفسرين : ان الكاف فيهـا زائـدة ، على أن تكون الشواهد التى تفيد التشـابه فى مبحثه •

وجدير شـواهد الكاف الجارة فى القرآن الكريم ستة وخمسون ومئتا شاهد وقعت فى اثنتين وأربعين ومئتى آية تكررت بعض الشواهد فى آيـات منهـا •

« التشـبيه بالكـاف » :

يدل تتبع شـواهد التشبيه بالكاف فى القرآن الكريم ، وامعام النظر اليها ــ أن الكاف تأتى للتشبيه مطلقـا •

ومعنى اطلاق مجيئها للتشبيه أن لهـا سعة فى الاستعمال ، دون (كأن) والكلمات الأخرى التى تفيـد الحكم بالمشـابهة • فهى تأتى

---

(١٢) ينظر مغنى اللبيب ١/١٥١ وما بعدها •

فى ضروب من التشـبيه لا تأتى فيها هذه الكلمات ، فضلا عن مشاركتها (كأن) والكلمات الأخرى فى الدلالة على ما تدل عليه هذه الكلمات ، وبيـان هذا الاجمـال فيما يأتى :

أولا : تختص الكاف بتشبيه الأفعـال والأحوال المداول عليهـا بالمصـدر الصريح أو المؤول ببعضها عندما يكون القصـد الى مطلق المشابهة فى حصول الفعل ، لا مماثلة مخصوصة بين الافعال والاحوال ، فى صفاتها وخصائصها بحيث يصـلح لافادتها كلمة (مثـل) وليست ـ أيضا ـ مشابهة فى هيئة الفعل وصورته بحيث يصلح لإفادته كلمة (شـبه) .

يشهد لوجود هذا الفرق بين دلالة الـكاف على التشـبيه وبين افـادته بكلمة (مثل) قوله تعـالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبـا أو قـال أوحى الى ولم يوح اليـه شىء ومن قـال سأنزل مثل ما أنزل الله .. »(١٣) فقد ذكروا أقـوالا عدة فى ما نزلت فيه ، فقيل : فى مسيلمة ، والأسود العنسى ، وقيل : فى النضر بن الحرث ، وقيل : فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح العـامرى . وقـال أبو حيان: « قال عكرمة : أولها فى مسيلمة ، وآخرها فى ابن أبى سرح »(١٤) .

وأنـا أميل الى هذا الرأى ، لأن مسيلمة ادعى نزول الوحى عليه وسخافاته فى ذلك كثيرة . أما القصـة فى ابن بى سرح فتحكى . أنـه عندما أملى عليه رسول الله ﷺ ــ قوله تعـالى : « ثم أنشأناه خلقـا آخـر »(١٥) عجب عبد الله من تفضـيل خلق الانسـان ، فقـال : تبارك الله أحسن الخالقين . فقال عليه الصلاة والسلام : اكتبها فكذلك

---

(١٣) سورة الأنعام ٩٣ .
(١٤) البحر المحيط ٤/١٨٠ وانظر جامع البيان ٧/٢٧٢ .
(١٥) سورة المؤمنون ١٤ .

أنزلت . فشك عبد الله وتوهم أنه يستطيع أن يقول مثل القرآن (١٦) .

فالمجيء بكلمة (مثل) لافادة الحكم بالمماثلة بين كلامين جنساً وصفة . لأن مراده : أنه ينزل كلاماً ـ أى ينظمه ـ يماثل مانزل على الرسول ﷺ ـ فى جنسه وصفته .

أما لو جاءت الكاف فانه لا تتعين الدلالة على ذلك لأن الكلام عندئذ سيحتمل الدلالة على التشبيه بين الفعلين فى الوقوع لا غير أو أن تكون الكاف بمعنى (مثل) صفة لمصدر محذوف ، أو لمفعول به محذوف ، لأننا لو قلنا ـ فى غير القرآن ـ أنزل كما انزل الله كان المعنى : اما أنه يقع انزال كما وقع من الله ، واما أنزل انزالا مماثلا لإنزال الله فى صفته ، أو كلاما مماثلا لكلام الله فى صفته .

ونظير ذلك قولك لمخاطبك : سافر كما سافر فلان ، فانه يحتمل أن يكون المعنى : ليكن منك سفر كما كان من فلان سفر . وعند القصد الى ذلك يتعين المجيء بالكاف ، ولا يصح المجيء بكلمة (مثل) لكون التشبيه بين الفعلين فى مطلق الوقوع . ويحتمل أن يكون المعنى : ليكن منك سفر مماثل لسفر فلان . وعندئذ يصح المجيء بـ (مثل) لأن التشبيه عندئذ بين طبيعة السفرين وصفاتهما . خلافا للاحتمال الأول .

وعليه لو فسرنا المثال على المعنى الأول بقولنا : ان المعنى سافر مماثلا سافر فلان ـ كان خلفا من القول ، لأن بين المفسر والمفسر به فرقا ، هو الفرق بين الكاف و (مثل) وهذا ملحظ دقيق ، ومهم .

---

(١٦) ينظر الكشاف ٢/٣٥ .

ومما يزيد مــا قلناه تأكيدا النظر فى معنى قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثــل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »(١٧) فالمقــام يدل على أن المماثلة بين اعتداءين فى صفاتهما ، لا فى مجرد الأمر بحصول الاعتداء ردا عليهما • لأن المعنى ــ والله أعــلم ــ اعتدوا عليه اعتداء مماثلا لاعتدائه عليــكم ليرتدع ولا يعود الى ما فعــل • يدل على ذلك ســياق الآية (ولا تعتــدوا) أى قابلوه بمثــل ما فعــل معكم ، ولا تجــاوزوا حد المماثلة ولا يخفى أن النهى عن مجاوزة الحــد اعلام بالوقوف عند الحد وهو المماثلة •

اذا المقام والسياق لهما أهمية فى تحــديد معنى التشبيه بالكاف ، وأى المعنيين السابقين يراد بها • يتجلى ذلك عند تفسير قوله تعالى : « قــل من رب الســموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونــــه أوليــاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قــل هــل يستوى الأعمى والبصــير أم هــل تســتوى الظلمات والنور أم جعــلوا لله شركــاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قــل الله خالق كل شىء وهــو الواحد القهــار »(١٨) •

يحمل الزمخشرى ــ عفا الله عنه ــ الكاف فى قوله تعالى (كخلقه) على معنى (مثــل) قائــلا : « يعنى أنهم لم يتخــــذوا لله شركاء خالقين ، قــد خلقوا مثل خلق الله ، فتشــابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم »(١٩) ويســلك مسلكه أبو حيــان قائلا :

« أجعلوا لله شركاء موصوفين بالخــلق مثل خلق الله ، فتشــــابه

---

(١٧) سورة البقرة ١٩٤ •
(١٨) سورة الرعد ١٦ •
(١٩) الكشاف ٢/٣٥٥ •

ذلك عليهم »(٢٠) ونحن لا نتحرج اذا قلنا : ان كلام الشيخين في هذا المعنى غير دقيق . وتحرير القول فى ذلك : أن مجىء الكاف ــ هنا ــ دون (مثل) لأجل أنها هى التى تناسب الغرض . وهو ــ والله أعلم ــ انكار أن يخلق العباد شيئا ، وذلك فى مقام اثبات الوحدانية لله تعالى وتفرده بالخلق والايجاد ، لا انكار مماثلة خلقهم لخلق الله الذى تفيده (مثل) جل وعلا عن التشبيه والنظير .

ويؤيد كون الغرض نفى الخلق من أساسه سياق الآية الكريمة ، فقد سبق جملة التشبيه انكار اتخاذ أولياء من دونه ، ونفى ان يملك أحد غيره نفعا أو ضرا ، وامتناع استواء النقيضين ، ومجىء قوله تعالى : (قل الله خالق كل شىء) بعد جملة التشبيه . مثبتا كون الخلق كله لله وانتفاءه عمن عداه . فلم تأت (الكاف) فى سياق نفى مماثلة خلق غير الله لخلقه ؛ فتثبت بذلك مخلوقا لهم ، وانما أتت لإنكار الخلق من أساسه . وهو ما تختص به الكاف فى الدلالة .

وخصوصية الكاف فى الدلالة على هذا المعنى بمساعدة المقام والسياق ــ أولى فى نظرنا مما ذهب اليه ابن المنير ــ طيب الله ثراه ــ لدفع معتقد الزمخشرى من أن غير الله وهم العبيد يخلقون أفعالهم ؛ ولكن لا يخلقون مثل خلق الله ، لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض ، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم على زعمه(٢١) . لأن مجىء الكاف هنا للدلالة على المشابهة فى الفعل من حيث الوقوع لا المشابهة فى الفعل من حيث صفاته وما يتعلق به ؛ ولا للمشابهة بين مخلوق ومخلوق فتوجه الإنكار الى مجرد وقوع الخلق لا للمشابهة بين خلق واقع فعلا من الله وخلق غيره كما يزعم المبطلون .

---

(٢٠) البحر المحيط ٥/٣٧٩ .
(٢١) ينظر الانصاف على الكشاف ٢/٣٥٥ .

ثانيـا : ومن خصوصيات الكاف اتساع مجالها فى الاستعمال •
فبينما لكل كلمة من الكلمـات التى تفيـد الحكم بالمشابهة معنى تختص به دون أخواتها ، نجـد الكـاف تستعمل للدلالة على المعـانى التى تدل عليها هذه الكلمات ، فضـلا عما تختص به الكـاف • كما سيتضح بعد بمشيئة الله •

والكاف فى دلالتها على هذه المعانى حقيقة فيها ، وليست مجازا فى بعضها • اذ لم يقـل أحد من العلمـاء إنها موضوعة لمعنى واحـد ، ووجه من وجوه الشـبه دون غيره • فتعيين المعنى المراد منهـا تعيين دلالة اللفظ المشترك على أحـد معانيه •

بخلافها لدلالة الكلمات الأخرى على معنيين ، اذ هى حقيقة فى معنى معين ، مجاز فى غيره ، لأنهم عينوا معانيها •

ثالثا : تتميز الكاف عن غيرها بامكان الإتيان بها فى التشبيه لجميع الأغراض التى ذكرها البلاغيون : من بيـان الحـال ، ومقدارهـا ، وتقريرها ، وامكان المشبه ، وتزيينه ، وتقبيحـه ، واستطرافه ، أمـا الكمات الأخرى فانه لا يطرد افـادة جميع الأغراض بها • لاختصاص كل منهـا بمعنى تدل عليـه يناسـب بعض الأغـراض دون بعضـها الآخـر(٢٢) •

فمثلا ـ كلمة (عدل) وما يشتق منها ، لما كانت للـدلالة على المساواة بين طرفين فى أمر حسى أو معنوى ، اختلفا أو اتفقا جنسا ـ كان مجيئها لبيـان الحال ، أو المقدار • وكلمة (صـنو) لما كـانت للدلالة على المشـاركة فى الأصـل فانها تسـتعمل عند بيان الحـال ،

---

(٢٢) ذكرنا فى المبحث السابق ما تفيده هذه الكلمات ، فنجدد بها عهدا •

ولا تستعمل عند بيان المقدار . وهكذا تتميز كل كلمة بمعنى يناسب غرضا ما .

رابعا : تتميز الكاف عن (كأن) فإنهم قالوا : بإفادتها التشبيه عندما يكون خبرها جامدا ، أما عندما يكون خبرها مشتقا ففى افادتها التشبيه مناقشة ستأتى عند الحديث عنها أن شاء الله تعالى .

تشبيه الأفعال والأحوال بالكاف :

اذا تتبعنا شواهد (الكاف) فى القرآن الكريم سنلحظ أن أكثرها جاء فى تشبيه الأحوال والأفعال ببعضها(٢٣) ولعل السر فى ذلك — والله أعلم — ما كان للقرآن الكريم من اهتمام بالدعوة الى التوحيد ، وبيان الأحكام والتشريعات ، والإخبار عن أحوال الأمم السابقة وضرب الأمثال .. مما اقتضى كثرة تشبيه الأفعال والأحوال ببعضها بيانا وارشادا ، وتنبيها وزجرا . بل ما كان اهتمام القرآن الكريم بالصور التشبيهية المتعلقة بالذوات والأشخاص الا من حيث ما لها من أفعال وصفات ترتبط ببيان مقاصده .

وتشبيه الأفعال والأحوال بالكاف يأتى على ضربين : ضرب يكون القصد منه الى مطلق المشابهة بين الفعلين اللذين هما المشبه والمشبه به فى مطلق الوجود والوقوع خارجا ، وهو ما ألمحت اليه قبل وبينت أنه من خصوصيات الكاف فى الدلالة ، وشواهد هذا الضرب على كثرتها من باب التشابه .

وضرب آخر يلحظ فيه شهرة الوجه أو كماله فى المشبه به عن

---

(٢٣) يراد بالفعل — هنا — الحدث والعمل الذى يقع . أى المعنى اللغوى لا النحوى .

المتبه ، بأن يراعى فى الوجه بمساعدة قرائن المقـام والسـياق بعض الصفات أو الكيفيات فيكون التشبيه عندئذ تشبيها اصطلاحيا يحصل به بيان الخفى بالظاهر والحـاق الناقص بالكـامل •

ولتحقيق هذا الفرق بين الضربين ننظر الى دلالـة التشـبيه فى الآيـات الآتيـة :

١ ـ * قال تعالى : « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلـكم تعقلون »(٢٤) •

فى الآية ايجـاز حذف ، والمعنى : فضربوه فأحيـاه الله ، كذلك يحيى الله الموتى • فالتشبيه بين الفعلين فى مجـرد الوقوع ليس غيره وكلام السلف رحمهم الله واضح فى ذلك • يقول الطبرى : « اعتبـروا باحيـائى هذا القتيل بعد مماته ، فانى كما أحييته فى الدنيا فكذلك أحيى الموتى بعد مماتهم »(٢٥) ويقول أبو حيـان : « المماثلة انما هى فى مطلق الاحياء لا فى كيفية الإحـياء »(٢٦) فالتشبيه هنا من الضـرب الأول •

٢ ـ قال تعـالى : « قـال رب أنى يكون لى غـلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قـال كذلك الله يفعل ما يشاء »(٢٧) •

(*) سنرقم جميع شواهد الكاف ترقيما واحدا بما فيه شـواهد التشابه ، وما يعاد الاستشهاد به سيوضع رقمه السابق بين معقوفين هكذا [ ] •

(٢٤) سورة البقرة ٧٣ •

(٢٥) جامع البيان ٣٦١/١ •

(٢٦) البحر المحيط ٢٦٠/١ •

(٢٧) سورة آل عمران ٤٠ •

فى قوله (كذلك الله يفعل ما يشـاء) التشـبيه ليس فى مجـرد وقوع الفعل كالآيـة السابقة وانما هو تشبيه فعل بفعل آخر عـلى صـفة معينة ، يدل على ذلك مقام الآيـة وسياقها . لأن الآية فى مقام الحديث عن فعل غريب مشـار اليه باسم الاشارة ، وهو تكون الولـد من أب فـان وأم عـاقر فالمعنى : مثل هذا الفعل الغريب يفعـل الله ما يشـاء ، فالفرق بين هذه الآية والتى قبلها واضـح . والتشـبيه هنا من الضرب الثانى . ونظير هذه الآية أيضا .

٣ ـ قول الله تعالى : « قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قـال كذلك الله يخلق ما يشـاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكـون »(٢٨) .

أى مثل ذلك الخلق العجيب من غـير أن يكون على السنة المعهودة من طريق أب . كذلك يخلق الله ما يشـاء من غـير توقف على الاسباب الظاهـرة .

وفى ضـوء الرؤية للضربين سـنتناول شـواهد الضرب الثانى التى تعد من التشـبيه الاصطلاحى ـ حسب تنوعها . اذ تكون تارة بمعنى (مثل) عند دلالة الكاف على المماثلة فى جنس الفعل وصفته . وأخـرى بمعنى (شـبه) ان دلت على الفعل وهيئته وصـورته . أو تكون بمعنى (مسـاو) ان دلت على المسـاواة بين الفعلين فى المقـدار .

الكاف بمعنى (مثل) :

تكون الكاف بمعنى (مثل) عند تشبيه الأفعال ببعضها ان اتفقـا

---

(٢٨) سورة آل عمران ٤٧ .

فى الجنس والصفة دون ما يقع به التمايز ، وتتجلى هـذه الدلالة فى الشـواهد الآتيـة :

٤ ــ قـال تعـالى : « واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالـوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »(٢٩) .

فى الآية شاهدان : قوله تعـالى : (آمنـوا كما آمن الناس) والمعنى : آمنوا ايمانـا مماثلا ايمان من كمل فى جنس الانسانية بـأن صدقوا بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه بحيث لا يكون ايمان ادعاء كمن يقولون : (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)(٣٠) قال العلامة السـيد : « ولفظ (ما) فى (كما) ان كانت كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها كان التشـبيه بين مضمونى الجملتـين ، أى حققوا ايمانـكم كما تحقق ايمانهم » وان كانت مصـدرية ــ فالمعنى آمنوا ايمانـا مشابها لإيمانهم »(٣١) .

وقوله تعالى حكاية عنهم : (أنؤمن كما آمن السفهاء) التشـبيه فيه ــ يفيـد أيضا ــ معنى مثل . فهم ينكرون ــ خيبهـم الله أن يؤمنوا ايمانا مماثلا لايمان المؤمنين . فالايمـان الذى يطالبون به وهم يرفضونه ايمان له صفات معينة لا تتحقق المماثلة الا بها .

٥ ــ قـال تعالى : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سـئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل »(٣٢)

ليس الانكار لمطلق وقوع سؤال وانما هو انكـار لسؤال معهود

---

(٢٩) سورة البقرة ١٣ .
(٣٠) ينظر جامع البيان ١/١٢٧ .
(٣١) حاشية السيد على الكشاف ١/١٨٢ .
(٣٢) سورة البقرة ١٠٨ .

من قولهم اجعل لنا إلهـا .. وأرنـا الله جهرة وغير ذلك . فالكـاف للدلالة على المماثلة بين فعلين جنسا وصـفة .

٦ ـ قال تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحـكم بينهم يوم القيامـة فيما كانوا فيـه يختـلفون »(٣٣) .

الكاف فى (كذلك ..)بمعنى (مثل) لأن المشابهة ليست فى مجرد قول بدلالة المقام والسـياق ، فالقول الذى تشابهـوا فيه معروف من صدر الآية ومجىء (مثل) صريحة فى الدلالة على هذه المماثلة . فالمقالتان أى مقالة اليهود والنصـارى ومقالة الذين لا يعلمون توافقتا حذوك النعل بالنعل .

٧ ـ قال تعالى : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قـال الذين من قبلهم مثل قولهم تشـابهت قلوبهم قد بينـا الآيـات لقوم يوقنون »(٣٤) والقول فيها مثل الآية السابقة .

٨ ـ قال تعـالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »(٣٥) .

٩ ـ وقال تعـالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون »(٣٦) .

(كما يعرفون أبناءهم) أى معرفـة واضحة مثل معرفتهم أبناءهم

---

(٣٣) سورة البقرة ١١٣ .
(٣٤) سورة البقرة ١١٨ .
(٣٥) سورة البقرة ١٤٦ .
(٣٦) سورة الأنعام ٢٠ .

في الوضوح وعدم اللبس والخفاء • قال الزمخشري : « كما يعرفون أبنائهم بحلاهم ونعوتهم ، لا يخفون عليهم ولا يتلبسون بغيرهم »(٣٧) فطرفا التشبيه فعلان اتفقا جنسا وصفة فتحققت المماثلة بينهما •

١٠ — قال تعالى : « فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين »(٣٨) مقام الآية من اعلان سياسة الحرب ومعاقبة المعتدي ليرتدع وما في السياق من الإتيان بالمصدر الصريح المضاف الى الكافرين بما له من دلالة على الوقوع وعلة هذا الجزاء — كل ذلك دليل على أن الكاف بمعنى (مثل) لدلالتها على المماثلة في الجنس والصفة •

١١ — قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين »(٣٩) •

(كالذي ينفق ماله رئاء الناس) أي ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس •

هذا على إعراب الكاف نعتا لمصدر محذوف ، أما ان كانت في موضع الحال — أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله رئاء الناس فيبطلها بالرياء • (٤٠) فان الكاف عندئذ لا تكون للمماثلة بين الأفعال وإنما لتشبيه الذوات •

---

(٣٧) الكشاف ٢/١٠ •
(٣٨) سورة البقرة ١٩١ •
(٣٩) سورة البقرة ٢٦٤ •
(٤٠) ينظر البحر المحيط ٢/٣٠٨ •

١٢ ــ قال تعالى : « كالذين من قبلكم كانــوا أشد منكم قــوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخــلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كمــا استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيــا والآخرة وأولئك هم الخاسرون »(٤١) •

غرضنا ــ هنا ــ مرتبط بالشاهدين الثانى والثالث : قوله تعالى : (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أى استمتاعا مثل إســـتمتاع من سبقكم فهو غاية فى الفعــل والتمكن منه وامتلاك جميع وســائله ، وقوله : (كالذى خاضوا) أى وخضـــتم خوضـــا مثل الخوض الذى خاضوه ، أو مثل خوضهم ، على أن (الـــذى) موصول اســـمى او حــرف(٤٢) والتشبيه عندئذ تشبيه بين الأفعــال ، والكــاف بمعنى (مثل) قـــال الزمخشرى : « كالذى خاضــوا ــ كالفــوج الـــذى خاضوا ، أو كالخوض الذى خاضوا »(٤٣) وعلى تفسيره الأول يكون التشبيه بين الذوات لا الأفعــال •

١٣ ــ قـــال تعالى : « فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص »(٤٤)•

(كما يعبد آباؤهم) أى عبادتهم تماثل عبادة آبائهم من الشرك بلا تفاوت • هذا على اعتبار (ما) فى (مما) و (كما) مصــدرية ، أما على كونها موصـــولا اسميا فتكون المماثلة بين الذوات •

١٤ ــ قـــال تعالى : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغوا

---

(٤١) سورة التوبة ٦٩ •

(٤٢) ينظر منار السالك الى أوضح المسالك ١/٧٧ •

(٤٣) الكشاف ٢/٢٠١ •

(٤٤) سورة هود ١٠٩ •

إنــه بما تعملون بصــير »(٤٥) قال الزمخشرى : « فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها »(٤٦) .

١٥ ــ قال تعالى : « فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ولا تتبــع أهواءهم وقــل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنــا وربــكم لنا أعمالنــا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليــه المصــير »(٤٧) .

أى استقم استقامــة من جنس ما أمــرك الله بــه من الحنيفية السمحة .

١٦ ــ قــال تعالى : « قــال هــل آمنكم عليه الا كما أمنتــكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين »(٤٨) .

(كما أمنتكم) ائتمانا من جنس الائتمان السابق المصحوب بالوعود المؤكدة والذى يتخوف منه .

١٧ ــ قــال تعالى : قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جــزاؤه كذلك نجزى الظالمين »(٤٩) أى مثل ذلك الجزاء من استرقاق السارق نجزى الظالمين بالسرقة لا نحيد عنه .

فالتشبيه مراعى فيه خصوصية فى الجزاء لا مطلق وقوع جزاء ، فالكاف بمعنى (مثل) .

١٨ ــ قــال تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونــه

---

(٤٥) سورة هود ١١٢ .
(٤٦) الكشاف ٢/٢٩٥ .
(٤٧) سورة الشورى ١٥ .
(٤٨) سورة يوسف ٦٤ .
(٤٩) سورة يوسف ٧٥ .

لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال »(٥٠) .

التشبيه بين الأفعال ، وتقدير المعنى « الا استجابة كاستجابة باسط كفيه ، أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه »(٥١) فالكاف بمعنى (مثل) والتشبيه تشبيه تمثيل ، وطبيعة التمثيل استكمال الأوصاف التى تتحقق بها المماثلة بين الطرفين .

١٩ ـ قال تعالى : « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا »(٥٢) .

(كما زعمت) أى إسقاطا مثل الإسقاط الذى زعمت القدرة عليه . قال الزمخشرى : « يعنون قول الله تعالى : « إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء »(٥٣) ..(٥٤) فالكاف بمعنى (مثل) .

٢٠ ـ قال تعالى : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم »(٥٥) أى يستأذن الأطفال استئذانا مماثلا استئذان المماليك فى الآية السابقة (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات .. » فالمشبه به له صفات

---

(٥٠) سورة الرعد ١٤ .
(٥١) الكشاف ٢/٣٥٤ .
(٥٢) سورة الاسراء ٩٢ .
(٥٣) سورة سبأ ٩ .
(٥٤) الكشاف ٢/٤٦٦ .
(٥٥) سورة النور ٥٩ .

معينة في الوقت والعدد ، وليس التشبيه في مطلق وقوع إذن . فالكاف بمعنى (مثل) ــ والتشبيه الثاني له موضعه .

٢١ ــ قال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »(٥٦) .

(كدعاء بعضكم بعضا) أي دعاء مثل دعاء بعضكم بعضا باسمه الذي سمي به ، بأن تقولوا يا محمد كما ينادي الواحد منهم أخاه باسمه ــ فالكاف جاءت للدلالة على المماثلة على سبيل النهي عن هذه المماثلة . ودلائل السياق من النهي ومن كون المشبه به دعاء بعضهم بعضا ــ واضحة في أن الكاف بمعنى (مثل) .

٢٢ ــ قال تعالى : « قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون »(٥٧) .

أي مثل الذي نفعله من عبادة الاصنام فعل آباؤنا ، لا شيء غيره . ومقام دفع إنكار ابراهيم عليه السلام عبادتهم بأنهم يماثلون آباءهم وتقديم اسم الإشارة (ذا) المشبه به ، لإفادة حصر عبادتهم في ذلك ــ كل هذا دليل على أن الكاف بمعنى (مثل)

٢٣ ــ قال تعالى : « إن شجرة الزقوم ● طعام الأثيم ● كالمهل يغلي في البطون ● كغلي الحميم »(٥٨) .

الشاهد (كغلي الحميم) أي يغلي غليانا مثل غلي الحميم في شدته وصعوبته .

---

(٥٦) سورة النور ٦٣ .
(٥٧) سورة الشعراء ٧٤ .
(٥٨) سورة الدخان ٤٣ الى ٤٦ .

٢٤ ــ قــال تعالى : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسـل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعــة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القــوم الفاســقون »(٥٩) .

أى صبرا مثل صبر أولى العزم الذى تحملوا فيه شدائد الإيذاء من قومهم وممن يدعونهم . فليس التشبيه فى مجرد صبر ، وإنما هو صبر له خصوصية باولى العزم .

٢٥ ــ قــال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكــم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشــعرون »(٦٠) .

الكاف فى (كجهر بعضكم لبعض) للمماثلة فى الجنس والصفة . من كونه جاريا بينهم لكن ليس ذلك على سبيل الاستهزاء ؛ لأنهــم منزهون عن ذلك . وإنما هو جهر فيه بعض التســامح .

٢٦ ــ قــال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قــد يئسوا من الآخــرة كمــا يئس الكــفار من أصــحاب القبور »(٦١) .

شبه الله تعالى يأسهم فى أن يكون لهم حظ فى الآخرة بيأسهم من رجــوع موتــاهم بجــامع انقطاع الأمل . أو شبه يأسهم من التوبــة والرحمة وهم أحياء فى الدنيا بيأسهم وهم أحيــاء فى انقطاع أسباب الإيمان والعمل فــ (من) ابتدائية على الأول ، ولبيــان الجنس على الثــانى(٦٢) .

---

(٥٩) سورة الأحقاف ٣٥ .
(٦٠) سورة الحجرات ٢ .
(٦١) سورة الممتحنة ١٣ .
(٦٢) ينظر الكشاف ٩٦/٤ والبحر المحيط ٢٥٩/٨ .

والتشبيه لإلحاق الناقص بالكامل ، ودلت الكاف على المماثلة بين الطرفين فى الجنس والصفة .

٢٧ — قال تعالى : « وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا »(٦٣) أى ظنوا مثل ظنكم فى جنسه وصفته . فالتشبيه ليس فى مطلق ظن ، وانما فى ظن ضلال وعمى بأن الله لن يبعث أحدا .

وقد يكون المشبه به حالا مفهومه من كلام سابق مشارا اليها باسم اشارة واقع فى اللفظ مشبها به كما فى الآية الآتية :

٢٨ — قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا »(٦٤) .

(كذلك كنتم من قبل) المشبه به الحال المفهومة من الكلام السابق التى كان عليها ملقى السلام ، المشار اليها باسم الإشارة .

أى كانت حالكم بأول ما دخلتم الإسلام مثل هذه الحال ، لا تملكون لتحصين أنفسكم الا النطق بالشهادة ؛ دون نظر الى بواطن نفوسكم(٦٥) .

وقد يكون التشبيه بين الأحوال محمولا على المعنى ، فيقدر المصدر تبعا لما يقتضيه هذا المعنى ، كما فى الآية الآتية

٢٩ — قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما

---

(٦٣) سورة الجن ٧ .
(٦٤) سورة النساء ٩٤ .
(٦٥) ينظر الكشاف ١/٥٥٥ والبحر المحيط ٣/٣٢٩ .

قال عيسى ابن مريم للحـواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين »(٦٦) •

(كما قـال عيسى ••) المعنى لا يستقيم الا بتقدير محذوف اذ لا شبه بين كون المسلمين أنصـار الله وبين قـول عيسى •• لأن الشبه بين كونهم أنصارا للنبى ﷺ وكون الحواريين أنصـارا لعيسى عليه السلام ، فوجب أن يكون التقدير : كونوا أنصـار الله كما كـان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله(٦٧) •

ومن تشبيه الأفعال بالكاف فى الشعر للدلالة على المماثلة قـول الأعشى يصف ناقتـه :

عنتريس تعدو إذا مسها السو ط كعدو المصلصل الجوال(٦٨)

أى تعدو مثل عدو حمار الوحش فى نشاطه وسرعته ، فالتشـبيه فى جنس العدو وصفته •

وقال فى فضل الشعر :

والشعر يستنزل الكريم كما اسـ تنزل رعد السحابة السبل(٦٩)

يشبه استنزال الشعر عطاء الكرام واستخراجه باستخراج الرعد

---

(٦٦) سورة الصف ١٤ •

(٦٧) ينظر الكشاف ١٠١/٤ وشروح التلخيص ٣٨٨/٣ •

(٦٨) ديوان الأعشى ١٦٥ ـ والعنتريس : الضلبة القوية • والمصلصل : حمار الوحش لشدة نهيقه •

(٦٩) ديوان الأعشى ١٧١ •

ماء السحابة وخيرها . فالكاف فى هذا البيت والذى قبله بمعنى (مثل) .

ومما لا يستقيم التشبيه فيه الا بتقدير فى الكلام قول الأعشى

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل (٧٠)

يشبه خشخشة حلى المرأة التى يصفها بخشخشة شجيرة ضربها الريح . وواضح أن تشبيه وسواس الحلى باستعانة الشجرة بالريح لا يستقيم وإنما المعنى : تسمع صوتا كما تخشخش شجيرة لعبت بها الريح .

الكاف بمعنى (شبه)

قد تأتى الكاف عند تشبيه الأفعال بها دالة على هيئة الفعل وصورته ، قائما بفاعله ، مرتبطا بمتعلقاته . فتكون عندئذ بمعنى (شبه) وشواهدها ما يأتى :

٣٠ ـ قال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٧١) .

(كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى قياما يشبه قيام

---

(٧٠) ديوان الأعشى ١٤٤ والوسواس : الصوت ، والعشرق : شجرة
(٧١) سورة البقرة ٢٧٥ .

المصروع بمس الشيطان فى صورته وهيئته من خلط حركاته وتخبطه نتيجة لما يستفزه من الطمع .

٣١ ـ قال تعالى : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا »(٧٢) .

(كما لعنا أصحاب السبت) التشبيه فى الصورة والهيئة من المسخ قردة وخنازير بدلالة مقام التهديد ووقوع هذا اللعن فى سياق ذكر المسخ فى قوله تعالى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين »(٧٣) .

٣٢ ـ قال تعالى : « قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل أن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين »(٧٤) .

(كالذى استهوته الشياطين) ذكر أبو حيان اعرابين للكاف قائلا : « و موضع ـ كالذى ـ نصب ، قيل . على أنه نعت لمصدر محذوف أى ردا مثل رد الذى . والأحسن أن يكون حالا ، أى كائنين كالذى ... »(٧٥) والرأيان لا يختلفان فى أن التشبيه بصورة وهيئة مشاهدة ، وأن الكاف بمعنى (شبه) لكن على كونه وصفا يكون تشبيها بين فعلين والنظر اليهما أصالة . مع تعلقه بالفاعل والمفعول . وعلى كونه حالا يكون التشبيه بين ذاتين فى هيئتهما

---

(٧٢) سورة النساء ٤٧ .
(٧٣) سورة البقرة ٦٥ .
(٧٤) سورة الأنعام ٧١ .
(٧٥) البحر المحيط ٤/١٥٨ .

وصورتهما البادية البعيان • صور من رجع على عقبه بصورة من لعبت به الشيطين وأصابته بالحـيرة والتخبط •

٣٣ ـــ قال تعالى : « ولقـد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقـد تقطـع بينـكم وضـل عنكم ما كنتم تزعمـون »(٧٦) •

(كما خلقناكم أول مرة) أى مجيئا يشبه مجيئكم عنـد خلقكم أول مرة ، منفردين عن الأولاد والأموال والأوثان التى عبدتموها من دون الله ، تشبهون فى هـذه الصورة وهذه الهيئة ما كنتم عليه عنـد الخلق الأول • فالكاف بمعنى (شبه) •

٣٤ ـــ قال تعالى : « ان عـدة الشهور عنـد الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خـلق السموات والأرض منهـا أربعـة حرم ذلـك الدين القيم فلا تظلموا فيهمن أنفسـكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين »(٧٧) •

(كما يقاتلونكم كافة) ـــ كافة ـــ فى الموضعين حال من الفـاعل أو المفعول • أى قاتلوهم قتـالا بهيئتكم وصـورة النفير العام لا يتخلف منكم احـد كما يفعلون ذلك معـكم • أو قاتلوهم جميعا لا تتركوا منهم أحـدا وعاملوهم جميعا معاملة المحارب ، كما يفعـلون معكم • والكاف وان دلت ـــ أيضـا ـــ على المماثلة فى صفات أخرى غير حسية مشاهدة الا أنه لما كان عنصر الحسيات أكثر ظهورا وادراكا

---

(٧٦) سورة الأنعام ٩٤ •

(٧٧) سورة التوبة ٣٦ •

فان حمل الشواهد التى من هـذا القبيل على كون الكاف بمعنى (شبه) يكون أحق وأولى •

٣٥ ـ قال تعالى : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا »(٧٨) •

(كما دخلوه أول مرة) قال أبو حيان : « أى بالسيف والغلبة والاذلال » فالكاف دلت على الشبه فى الصورة والهيئة المشاهدة فهى بمعنى (شبه) •

٣٦ قال تعالى : « وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا »(٧٩) •

(كما خلقناكم أول مرة) أى مجيئا يشبه مجيئكم أول مرة حفاة عراة غرلا ، لا شىء معكم •

٣٧ ـ قال تعالى : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون »(٨٠) •

(كما أرسل الأولون) أى اتيانا يشبه اتيان الأولين بالآيات المشاهدة المحسوسة التى فيها خوارق للعادات ولا تكون كلاما مفترى من عنده •

قال أبو حيان : « الكاف فى ـ كما أرسل ـ يجوز أن تكون فى موضع النعت لآية و ـ ما أرسل ـ فى تقدير المصدر • والمعنى

---

(٧٨) سورة الاسراء ٧ •
(٧٩) سورة الكهف ٤٨ •
(٨٠) سورة الأنبياء ٥ •

بآية مثل آية ارسال الأولين ، ويجوز أن يكون فى موضع النعت لمصدر محذوف ، أى اتيانا مثل اتيان الأولين ، أى مثل اتيانهم بالآيات »(٨١) والكاف على التقديرين بمعنى (شبه) الا انها على التقدير الأول تكون تشبيها بين الدوات والأشياء ، فليست شاهدة لهذا الموضع ؛ وعلى التقدير الثانى تكون شاهدا له ، وهو التشبيه بين الأفعال •

٣٨ ــ قال تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين »(٨٢) •

(كطى السجل للكتب) طيا يشبه طى الكاتب صحائفه فالتشبيه لصورة الحركة فالكاف بمعنى (شبه) والشاهد الثانى من شواهد التشابه •

٣٩ ــ قال تعالى : « أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا »(٨٣) •

(كالذى يغشى عليه) أى ينظرون اليه نظرا يشبه نظر المغشى عليه تراه يقلبه هنا وهناك • فالكاف بمعنى شبه لأن التشبيه فى صورة مشاهدة •

٤٠ ــ قال تعالى : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم »(٨٤) •

---

(٨١) البحر المحيط ٦/٢٩٨ •
(٨٢) سورة الأنبياء ١٠٤ •
(٨٣) سورة الأحزاب ١٩ •
(٨٤) سورة محمد ١٢ •

(كما تأكل الأنعام) أى أكلا يشبه فى صورته وهيئته أكل الأنعام فى مسارحها ومعالفها وهى فى غفلة ولهو عما يضمرها ، وهذه هيئة الأكل وصورته عند أكله ، فالكاف بمعنى (شبه) أو أن أكلهم مجرد عن الفكر والنظر فهم يعيشون عيشة جهل وغفلة(٨٥) ولا يلحظ عندئذ الصورة الحسية ، على أن مراعاة الصورة المشاهدة تستلزم معنى الغفلة ، ولما كان تلقى الصورة المشاهدة من التشبيه أسرع من الشبه العقلى استشهدنا بالآية للكاف بمعنى (شبه) .

ومن شواهد الكاف بمعنى (شبه) فى الشعر عند تشبيه الافعال الأبيات الآتية :

فمن قصيدة (ودع هريرة) يقول الأعشى :

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل(٨٦)

يصفها بالبياض وطول الشعر وجمال الأسنان ، وفى قوله (كما يمشى الوجى الوحل) يشبه حركة مشيها فى تمايلها واهتزازها بحركة من يمشى فى الوحل ومن يشتكى شيئا ، والذى يعنينا أن الكاف دلت على الصورة المشاهدة فهى بمعنى (شبه) .

---

(٨٥) انظر الكشاف ٥٣٢/٣ والبحر المحيط ٧٧/٨

(٨٦) القصيد فى ديوانه ١٤٤ - وغراء : بيضاء - فرعاء : طويلة الشعر - عوارضها : أسنانها - الوجى : الدابة تشتكى حافرها .
الوحل : الواقع فى الوحل .

وأبدع منه فى وصف هذا التمايل والتبختر قول طرفة :

فذالت كما ذالت وليـــدة مجلس
ترى ربها أذيال ســحل ممــدد(٨٧)

يصف تبختر ناقته فى مشيتها مشبها له بتبختر الجارية فى مجلس سيدها . فالكاف فى (كما ذالت) بمعنى (شبه) أى ذيلا يشبه ذيل وليدة .

ويقول الشماخ يصف رسوم الديار :

أتعرف رسما دارسا قد تغيرا
بذروة أقوى بعد ليلى وأقفرا
كما خط عبرانية بيمينه
بتيماء حبر ثم عرض أسطرا(٨٨)

يشبه صورة رسم الديار وهيئة خطوطه وآثاره غير الشاخصة بما يكتبه حبر يهودى بالعبرية دون تحسين . فالكاف فى (كما خط) بمعنى (شبه) لأن التشبيه بها فى صورة مشاهدة .

الكاف بمعنى (يساوى)

قد تأتى الكاف عند تشبيه الأحوال والأفعال دالة على المساواة فى المعنى الذى يشترك فيه الطرفان . ونلحظ فى شواهد هذه الدلالة

---

(٨٧) شرح القصائد السبع الطوال ١٨٥ . ومعنى ذالت : ماست وتبخترت . سحل ممدد : ثوب أبيض مرسل .

(٨٨) ديوان الشماخ ١٢٩ . والرسم : ما لا شخص له من الآثار . وذروة : بلدة . وتيماء : بلد فى أطراف الشام ، وعرض : كتب على عجلة ولم ينمق . والحبر : واحد أحبار اليهود .

في القرآن الكريم اعتمادها على قرائن السياق . كذلك جاءت الكاف لهذه الدلالة بين فعلين مختلفين جنسا . وشواهد ذلك ما يأتي :

٤١ ــ قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب »(٨٩) .

(كحب الله) أي يحبونهم حبا مساويا حبهم لله . فالكاف ــ هنا ــ بمعنى (مساو) يدل على ذلك قرينة السياق (والذين آمنوا أشد حبا لله) اذ لو لم تكن هذه القرينة موجودة لاحتمل المعنى الاخبار بأنهم يحبونهم مثل حبهم لله دون نظر الى المساواة . قال الزجاج : « يحبونهم كحب الله ــ أي يسوون بين هذه الأوثان وبين الله عز وجل في المحبة ، وقال بعض النحويين : يحبونهم كحبكم انتم لله . وهذا قول ليس بشيء ، ودليل نقضه قوله : (والذين آمنوا أشد حبا لله) والمعنى أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المخلصون حقا »(٩٠) وقال أبو حيان : « الكاف في موضع نصب ، اما على الحال من ضمير الحب المحذوف على رأي سيبويه ، أو على أنه نعت لمصدر محذوف على رأي جمهور المعربين . التقدير على الأول : يحبونهم أي الحب مشبها حب الله ، وعلى الثاني : حبا مثل حب الله »(٩١) .

ونحن نرى أن جعله الكاف بمعنى (شبه) مرة و (مثل) أخرى

---

(٨٩) سورة البقرة ١٦٥ .

(٩٠) معاني القرآن واعرابه ٢٢١/١ .

(٩١) البحر المحيط ٤٧٠/١ .

لا يتفق مع ما بينـاه من أن الكاف بمعنى (مساو) اذ لا مشابهة فى صـورة • ولا مماثلة فى الجنس والصفات •

٤٢ ــ قال تعـالى : « فاذا قضـيتم مناسـككم فاذكـروا الله كذكركم آباءكم أو أشـد ذكرا فمن الناس من يقول ربنـا آتنـا فى الدنيـا وماله فى الآخرة من خلاق »(٩٢) •

(كذكركم آباءكم) أى ذكرا مساويا ذكركم آباءكم ، بقرينـة (أو أشـد ذكرا) قال الزجاج : « كانت العرب اذا قضت مناسكها وقفت بين المسجد بمنى وبين الجبـل فتعدد فضائل آبائها ، وتذكر محاسن أيامها ، فأمرهم الله أن يجعلوا ذلك الذكر له ، وأن يزيدوا على ذلك الذكر ، فيذكروا الله بتوحيـده وتعديد نعمه • لأنه ان كان لآبائهم نعم فهى من عند الله ــ عز وجل ــ وهو المشكور عليها »(٩٣) •

وكون الكاف هنا بمعنى (مساو) أوضح من أن يخفى •

٤٣ ــ قال تعـالى : « ألم تر الى الذين قيـل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتـال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنـا لم كتبت علينا القتـال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيـلا »(٩٤) •

(كخشية الله) أى خشية تساوى خشيتهم الله ، بل قد تزيد عنها لشـدة جهلهم •

---

(٩٢) سورة البقرة ٢٠٠ •

(٩٣) معانى القرآن واعرابه ١/٢٦٤ •

(٩٤) سورة النساء ٧٧ •

٤٤ـ قال تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير »(٩٥) .

(كنفس واحدة) أى تساوى خلق نفس واحدة « أى سواء فى قدرته القليل والكثير ، والواحد والجمع ، لا يتفاوت »(٩٦) فالكاف بمعنى (مساو) .

وقد جاءت الكاف للمساواة بين المختلفين جنسا فى هاتين الآيتين :

٤٥ ـ قال تعالى : « ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو أقرب ان الله على كل شىء قدير »(٩٧) .

(كلمح البصر) أى مساو للمح البصر فى السرعة وهذا تشبيه للخفى بالظاهر . قال أبو حيان : « قيل : لما كانت الساعة آتية ولابد جعلت من القرب كلمح البصر . وقال الزجاج : لم يرد أن الساعة تأتى فى لمح البصر ، وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها ؛ أى يقول للشىء كن فيكون . وقيل هذا تمثيل للقريب ، كما تقول : ما السنة الا لحظة »(٩٨) فالكاف أفادت المساواة على سبيل التخييل بين طرفين اختلفا فى الجنس . ويساعد على معنى المساواة قرينة قوله (أو هو أقرب) .

٤٦ ـ قال تعالى : « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر »(٩٩) .

---

(٩٥) سورة لقمان ٢٨ .
(٩٦) الكشاف ٣/٢٣٦ .
(٩٧) سورة النحل ٧٧ .
(٩٨) البحر المحيط ٥/٥٢٠ .
(٩٩) سورة القمر ٥٠ .

(كلمح بالبصر) قال الزمخشرى : « الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أراد قوله : (كن) »(١٠٠) وقال أبو حيان : « تشبيه بأعجل ما يحس »(١٠١) فالتشبيه لاخراج المعقول فى صورة محسوسة تقريبا لادراك أن قدرة الله لا حدود لها .

ويعتمد فهم معنى المساواة من التشبيه فى الآية على المقام وقرينة السياق العام فقد جاء التشبيه بـ (لمح البصر) دلالة على المساواة فى آية سورة النحل السابقة مصدوبا هـذا التشبيه بقرينة سياقية ، وهى قوله تعـالى : (أو هو أقرب) .

الكاف ومعنى (نظـير)

جاءت الكاف دالة على معنى (نظير) فى الآية الآتية :

٤٧ ـــ قال تعـالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنـة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صـدور العالمين »(١٠٢) .

المعنى والله أعلم أنهم يجعلون فتنـة النـاس فى صرفها لهم عن الايمان نظير عذاب الله فى صرفه عن الكفر والمعاصى(١٠٣) .

والمناظرة بين الطرفين تحققت بجعل أثر كل منهما بازاء الآخر وتقابل أثرهما . وليست الكاف للمماثلة ، لأن « الفرق بين المثل والنظير أن المثلين ما تكافأ فى الذات ، والنظير ما قابل نظيره فى جنس أفعـاله وهو متمكن منها ، كالنحوى نظير النحوى ، وان لم يكن له مثل كلامه

---

(١٠٠) الكشاف ٤٢/٤ .

(١٠١) البحر المحيط ١٨٣/٨ .

(١٠٢) سورة العنكبوت ١٠ .

(١٠٣) ينظر الكشاف ١٩٨/٣ والبحر المحيط ١٤٣/٧ .

فى النحو أو كتبه فيه ، ولا يقال : النحوى مثل النحوى ، لأن التماثل يكون حقيقة فى أخص الأوصاف وهو الذات »(١٠٤) .

وحال الطرفين فى الآية ليس كذلك،اذ المشبه جنسه الفتنة،والمشبه به جنسه العذاب . وقد اتفقا فى الفعل وتمكنا منه وهو الصرف ، لكنه فى المشبه صرف عن الايمان وفى المشبه به صرف عن العصيان .

تشـبيه الذوات بالكاف

عندما يؤتى بالكاف لتشبيه الذوات ببعضها فان التشبيه يكون على ضربين : ضرب يكون بين طرفين متفقين جنسا وصفة ، وضرب يكون الطرفان فيه مختلفين جنسـا متفقين صـفة .

الضرب الأول : وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين جنسـا وصفة يتنوع نوعين :

(النوع الأول) هو ما تكون فيه الصفة التى حصل فيها الاتفاق صـفة معنوية ، مفردة أو هيئة مركبة . والكاف فى هـذا النوع تكون بمعنى (مثل) لتحقق المماثلة ذاتا وصـفة ، ولا تكون بمعنى (شبه)، لارتباط الشبه بالوجه الحسى ، وقد تكون بمعنى (مسـاو) بمساعدة القرائن . وشواهد هذا النوع ما يأتى :

٤٨ — قال تعـالى : « أو كالذى مر على قرية وهى خـاوية على عروشـها قال أنى يحيى الله بعـد موتها فأماته الله مائة عـام ثم بعثـه قال كـم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمـارك ولنجعلك

---

(١٠٤) الفروق فى اللغة ٢٤٨ .

آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير »(١٠٥) .

(أو كالذى) معناه أو أرأيت مثل الذى مر(١٠٦) .

فالسؤال عن رؤية انسان مماثل للمذكور فى صفاته من الشك والانكار والسؤال . فالكاف بمعنى (مثل) لتحقق المماثلة فى الذات والصفات المقصودة من الآية .

ويذهب ابن ناقيا الى أن الكاف فى الآية زائدة ، قال : « وقد ورد لفظ التشبيه بغير تشبيه ، كقوله تعالى : (أو كالذى مر على قرية) وانما ذلك معطوف على معنى الكلام الأول فى قوله تعالى : (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه) أو كالذى مر على قرية ، وموضع الكاف نصب بـ (تر) ... »(١٠٧) .

ويبدو من آخر كلامه رجوعه عن القول بزيادة الكاف : لأن كون الكاف فى موضع النصب أنها اسم بمعنى (مثل) فهى للتشبيه الذى نفاه أول كلامه .

[١٢] قال تعالى : « كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ... الآية »(١٠٨) .

(كالذين من قبلكم) أى أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم

---

(١٠٥) سورة البقرة ٢٥٩ .
(١٠٦) انظر الكشاف ٣٨٩/١ .
(١٠٧) الجمان فى تشبيهات القرآن ٧٣ .
(١٠٨) سورة التوبة ٦٩ .

في الاستمتاع بالقوة والأولاد والخوض في الأحاديث الخاذبة . فانتهى بجنس واحــد وملة واحدة . فالكاف دلت على المماثلة جنسا وصفة .

ومن قبيل هذا النوع التشبيهات التي تكون في ســياق نهي أو نفي (١٠٩) .

---

(١٠٩) قد يعرض للشواهد التي مبناها النهي ، أو نفي التشبيه أنها لا تدخل في التشبيه . لما في التشبيه والنفي معا من المناقضــة . على أننا استشهدنا بها هنا لأمرين : الأول : أنه لا بدع في ذلك ولا مخالفة ما دمنا رأينا القوم قد سلكوها في شواهد التشبيه . فعلى سبيل المثال نرى الرماني عند حديثه عن التشبيه وبيان وجوهه التي يأتي بها يدخل من هذه الأمثلة في شواهده (النكت في اعجاز القرآن ٨٠ وما بعدها) ويذكر ابن أبي الاصبع ما قاله الرماني في هذه الوجوه ومنها « اخراج الكلام بالتشبيه مخرج الانكار ، كقوله تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » التوبة ٩ ـ تحرير التحبير ١٥٩ وما بعدها . ونرى الطيبي وغيره ـ أيضا ـ يستشهدون بقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » الشورى ١١ ويتحدثون عن قلب التشبيه في قوله تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » النحل ١٧ مع أن التشبيه في الآيتين في سياق النفي ينظر التبيان للطيبي ٢٠١ ، ٢١٤ والكشاف ٤٠٥/٢ ، ٥٣٣/٣ والبحــر المحيط ٤٨١/٥ ، ٥١٠/٧ ومن استشــهادات الامام عبد القاهر للتشــبيه المبني على التخييل في ســـياق النفي قول أبي الطيب المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما   حمت به فصبيبها الرحضاء

أسرار البلاغة ٢٢٣ وأمثلة أخرى كثيرة في هذا الباب .

الثاني : أن استشهادهم بهذه الأمثلة دليل على اتساع دائرة دلالة التشبيه بأن يكون عقده دالا على مشاركة امر لأمر في معنى . أعم من

ويكون مآل التشبيه فيها على فرض وقوع مدلوله خارجا الى الاتفاق فى الجنس والصفة ، وذلك من جهة كون الجنسية ترتكز على الصفة التى يقوم عليها عقد التشبيه ، وتكون الكاف عندئذ بمعنى (مثل) وشواهد ذلك فى الآيات الآتية :

٤٩ ـ قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم »(١١٠) .

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) أى مثلهم فى الردة بعد الايمان فالنهى عن شىء يكون مآله المماثلة فى الجنس والصفة ، فالكاف بمعنى (مثل) .

٥٠ ـ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير »(١١١) .

أى لا تكونوا مثلهم بالاعتقاد الخاطىء والمقالة الباطلة ، لأنكم بذلك تكونون من جنسهم وعلى كفرهم ونفاقهم .

٥١ ـ قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون »(١١٢) .

=

أن تكون هذه المشاركة عند المتكلم فيخبر بها على سبيل الاثبات ، أو واقعة عند من يساق من أجله الكلام مخاطبا أو سامعا فيخبر بها على سبيل النفى . وأعم أيضا من أن يكون التشبيه فى أسلوب خبر أو انشاء .

(١١٠) سورة آل عمران ١٠٥ .

(١١١) سورة آل عمران ١٥٦ .

(١١٢) سورة الأنفال ٢١ .

نهى عن الكذب الذى هو ركيزة الوصف بالنفاق . فالكاف بمعنى (مثل) لكون التشبيه فى أمر معنوى .

٥٢ — قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط »(١١٣) . نهى عما يكونون به من جنس الصادين عن سبيل الله .

٥٣ — قال تعالى : ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون»(١١٤) .

أى لا تكونوا من جنس من ينقض ما أبرمه وعاهده بجودة الصنع . فالكاف بمعنى (مثل) .

٥٤ — قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها »(١١٥) .

أى لا تقولوا فى نبيكم مثل ما قالوا فى نبيهم ، فتصيروا مثلهم ومن جنس المحاربين أنبياءهم المبغضين لهم . فالكاف فى سياق نهى عن المماثلة

٥٥ — قال تعالى : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »(١١٦) .

---

(١١٣) سورة الأنفال ٤٧ .
(١١٤) سورة النحل ٩٢ .
(١١٥) سورة الأحزاب ٦٩ .
(١١٦) سورة الحديد ١٦ .

أى مثلهم فى الغفلة والنسيان ومن جنس قساة القلوب. وعلى صـفاتهم .

٥٦ ـ قال تعـالى : ولا تكونوا كالذين نسـوا الله فانسـاهم انفسهم أولئـك هم الفاسـقون »(١١٧) .

نهى عن مماثلة الكافرين فى نسيان الله واتباع الهوى .

ويتضح من شواهد النهي السابقة أن الصفة التى وقع النهى عنها هى الأساس الذى تقوم عليه المماثلة ، بصيرورة الطرفين جنسا واحدا يدل على ذلك التشبيه فى قوله تعـالى : « وقد نزل عليـكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بهـا ويستهزأ بهـا فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعـا »(١١٨) فالتشـبيه فى صـفة المشاركة للكافرين فى باطلهم والبقاء معهم فى مجالسهم عند الاستهزاء بآيات الله . وذلك على سـبيل النهى عنه . والطرفان وان اتفقا فى جنس البشرية الا انهمـا يختلفان فى الايمان والكفر اللذين اليهمـا مآل الافتراق الى جنسين آخرين لكل منهما صفاته التى يتميز بها . ويكون مآل الاتفاق فى الصفة التى نهت عنها الآية الى صيرورة الطرفين جنسا واحدا . لأن منـاط تحديد الطرفين جنسا هو هذه الصفة .

لكن لا يطرد كون الصفة المنهى عنها هى مناط تحديد جنسية الطرفين اذ قد يكون الطرفان متفقين جنسا و يتحقق بالاتفاق فى هذه الصـفة تمام المشابهة كما فى الآية الآتية :

---

(١١٧) سورة الحشر ١٩ .

(١١٨) سورة النساء ١٤٠ .

٥٧ ـ قال تعالى : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم »(١١٩) .

أى لا تكن مثله فى الضجر عند الشدة . فالكاف للماثلة التامة جنسا وصفة عند تحقق الضجر المنهى عنه .

(المماثلة بين الهيئات)

وتأتى الكاف بمعنى (مثل) عند تشبيه الهيئات المركبة ببعضها فى وجه شبه عقلى مركب . وشواهد ذلك جاءت فى القرآن الكريم فى معرض ضرب الأمثال ، بتشبيه قصتين فيهما غرابة ببعضهما بما تضم احداهما من ذوات وأشخاص لها أحوال الأخرى وصفاتها . فتتحقق بتشبيه هذه القصة بتلك ـ بما تضمان من عناصر مختلفه ـ المماثلة .

وتجىء كلمة (مثل) بفتح الثاء ـ فى الطرفين مرادا بها هذه القصة العجيبة ، اذ هى تستعار من معناها العرفى الذى هو القول السائر المشبه مضربه بمورده للقصة التى فيها غرابة ، بجامع الغرابة فيهما(١٢٠) .

٥٨ ـ قال تعالى : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون »(١٢١) .

مثل الله سبحانه وتعالى حال المنافقين العجيبة الشأن من تجملهم بظاهر الاسلام ليحقنوا دماءهم ويشاركوا فى الغنائم ويتمتعوا

---

(١١٩) سورة القلم ٤٨ .
(١٢٠) ينظر الكشاف وحاشية السيد عليه ١٩٥/١ .
(١٢١) سورة البقرة ١٧ .

بما يتمتع به المسلمون ، ثم اطلاع الله رسوله والمؤمنين على ما في نفوسهم .. بحال الذى استوقد نارا يستضىء بها ، ثم لم يلبث أن زال ضوؤها ونورها ، بجامع الهيئة الحاصلة من وجود الطمع مع الأسباب القريبة له ثم تعقب الحرمان بزوال تلك الأسباب ، فالكاف بمعنى (مثل) لدلالتها على تماثل الطرفين فى هذه الهيئة .

٥٩ — قال تعالى : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين »(١٢٢) هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين . و (أو) هنا لإباحة التشبيه بأيهما « أى ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم، وان مثلتموهم بالصيب فهو لهم مثل : أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم ، فالتمثيل مباح لكم فيهم »(١٢٣) والكاف بمعنى مثل .

٦٠ — قال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون »(١٢٤) .

ذكروا تفسيرات عدة لبيان معنى التشبيه فى هذه الآية . منها أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق ، وتقدير التشبيه . ومثل الذين كفروا فى دعائهم آلهتهم التى لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه لا ينتفع بنعيقه بشىء غير أنه فى عناء ؛ وكذلك الكافر ليس له من دعائه آلهته وعبادته أوثانه الا العناء . وقيل : ان المثل مضروب بتشبيه داعى الكافر بالناعق على حذف مضاف ، فقد شبه داعى الكافر فى دعائه اياه بالناعق بالبهائم فى كون الكافر لا ينهم مما يخاطبه

---

(١٢٢) سورة البقرة ١٩ .

(١٢٣) الجمان فى تشبيهات القرآن /٦٩ .

(١٢٤) سورة البقرة ١٧١ .

به داعيه الا دوى الصوت دون القاء ذهن وفكر ، فهو يشبه الناعق بالبهيمة التى لا تسمع من الناعق بها الا دعاءه ونداءه ، ولا تفهم شيئا (١٢٥) .

٦١ — قال تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »(١٢٦) . الكاف للدلالة على تماثل المثنين والتشبيه تمثيلى .

[١١]قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »(١٢٧) (فمثله كمثل صفوان ..) تمثيل لحال الذى يتصدق ثم يذهب ثواب صدقته بالمن والأذى والمباهاة ، بحال الحجر الصلد الذى يصيبه المطر فيذهب بما عليه من تراب ، هو مظنة الإنبات مع الماء ، وذلك بجامع ذهاب ما كان يؤمل فيه ويعتقد ثبوته واستقراره(١٢٨) .

٦٢ — قال تعالى : ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير »(١٢٩) .

---

(١٢٥) ينظر البحر المحيط ٤٨١/١ وما بعدها .
(١٢٦) سورة البقرة ٢٦١ .
(١٢٧) سورة البقرة ٢٦٤ .
(١٢٨) ينظر البحر المحيط ٣٠٩/٢ .
(١٢٩) سورة البقرة ٢٦٥ .

تمثيل — أيضا — لحال المنفق في مرضاة الله بحال الجنة الكائنة في مكان مرتفع يصيبها من المطر ما تزكو به ، قل أو كثر .

٦٣ — قال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(١٣٠) .

مثل الله تعالى حال عيسى وشأن خلقه بحال آدم — على نبينا وعليهما الصلاة والسلام — بجامع الغرابة ومخالفة العادة .

وجاء التشبيه على المسلك المتبع فيه بتشبيه الخفى بالواضح ، والضعيف في الوجه بالأقوى . لأن الوجود من غير أب وأم كما هو شأن آدم أغرب في خرق العادة من الوجود من غير أب كما هو شأن عيسى . فشبه الغريب بالأغرب ، وتمت المماثلة بين الصفتين في الغرابة ، وبين آدم وعيسى(١٣١) .

٦٤ — قال تعالى : « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون »(*) .

قال ابن المنير : « أصل الكلام — والله أعلم — مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته »(١٣٢) فالتشبيه تشبيه تمثيل .

٦٥ — قال تعالى : « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى

---

(١٣٠) سورة آل عمران ٥٩ .

(١٣١) ينظر الكشاف ٤٣٣/١ والبحر المحيط ٤٧٧/٢ .

(*) سورة آل عمران ١١٧ .

(١٣٢) الانصاف على الكشاف ٤٥٨/١ .

الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »(١٣٣) .

تمثيل لحال المتهالك على الدنيا ، من لزومه القلق والاضطراب فى طلبها بحال الكلب فى لزومه اللهث هيجته ، أو تركته .

٦٦ ـ قال تعالى : « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »(١٣٤) .

شبه الله تعالى حال الدنيا فى سرعة فنائها بعد اقبالها بحال نبات الأرض ينمو ويزهر ويزين الأرض ، ثم يجف بعد ذلك وتذروه الرياح .

٦٧ ـ قال تعالى : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون »(١٣٥) .

تدل الكاف على معنى (مثل) سواء كان التشبيه تشبيه اثنين باثنين أم تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه(١٣٦) .

٦٨ ـ قال تعالى : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء

---

(١٣٣) سورة الأعراف ١٧٦ .
(١٣٤) سورة يونس ٢٤ .
(١٣٥) سورة هود ٢٤ .
(١٣٦) ينظر الكشاف ٢٦٤/٢ والبحر المحيط ٢١٢/٥ .

ذلك هو الضلال البعيد »(١٣٧) تمثيل لأعمال الكافرين .... بالرماد الذى تذروه الرياح ..

٦٩ — قال تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء »(١٣٨) .

٧٠ — وقال تعالى : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »(١٣٩) .

فى الآيتين تمثيل لصفة كلمة الايمان بالشجرة الطيبة ، وكلمة الكفر بالشجرة الخبيثة ، فالكاف بمعنى (مثل) فى معرض التمثيل .

٧١ — وقال تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح كان الله على كل شىء مقتدرا »(١٤٠) .

تمثيل لحال الدنيا تبدأ مزهرة نضرة ثم يكون الهلاك والفناء نهايتها بحال النبات يكون أخضر يانعا ثم يجف فتذروه الرياح . فالكاف بمعنى (مثل)

٧٢ — قال تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم »(١٤١) .

أى صفة نور الله العجيبة الشأن التى تتجلى فى اتقان صنعة المخلوقات جميعا ، وما تدل عليه براهينه الساطعة على وحدانيته ،

---

(١٣٧) سورة ابراهيم ١٨ .
(١٣٨-١٣٩) سورة ابراهيم ٢٤ ، ٢٦ .
(١٤٠) سورة الكهف ٤٥ . (١٤١) سورة النور ٣٥ .

وما يليق به ، مثل هذه الصفة فى الوضوح كمثل النور الساطع الذى تجمعت له الاسباب نيبدو ساطعا متلألئا فالكاف بمعنى (مثل) .

٧٣ ـ قال تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »(١٤٢) فى الآية تمثيل كالآيات السابقة .

٧٤ ـ قال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »(١٤٣) قوله (كزرع أخرج شطأه) .

تمثيل لحال المؤمنين وصفتهم بالزرع الذى يخرج من الأرض ثم يؤازر بعضه بعضا ويشتد فيفرح أصحابه ويغيظ أعداءهم .

٧٥ ـ قال تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »(١٤٤) .

(كمثل غيث) الكاف بمعنى (مثل) .

٧٦ ـ قال تعالى : « كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم »(١٤٥) .

---

(١٤٢) سورة العنكبوت ٤١ .

(١٤٣) سورة الفتح ٢٩ .

(١٤٤) سورة الحديد ٢٠ .

(١٤٥) سورة الحشر ١٥ .

أى « مثلهم كمثل أهل بدر فى زمان قريب »(١٤٦) فهذا تمثيل والكاف بمعنى (مثل) .

٧٧ ــ قال تعالى : « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين »(١٤٧) .

تمثيل حالة بحالة . حالة الكفار مع المنافقين عند وعد المنافقين لهم بالوقوف معهم عند حربهم المؤمنين ثم خذلانهم لهم عند ساعة الاختبار .. بحال الشيطان مع الكافر يضله واعدا له بالخير ثم لا يعرفه عند الشدة فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالانسان الذى غوى(١٤٨) .

٧٨ ــ قال تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين »(١٤٩) .

تمثيل لحال اليهود الذى كلفوا بالتوراة ثم لم يقوموا بتكاليفها بحال الحمار الذى يحمل الكتب المليئة بما ينفع فى الدنيا والآخرة لكنه لا ينتفع بها . فالكاف هنا بمعنى (مثل) .

ومن قبيل تشبيه التمثيل من غير الإتيان بكلمة (مثل) فى الطرفين الآيتان الآتيتان : .

٧٩ ــ ٨٠ ــ قال تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده

---

(١٤٦) الكشاف ٨٦/٤ .
(١٤٧) سورة الحشر ١٦ .
(١٤٨) ينظر البحر المحيط ٢٥٠/٨ .
(١٤٩) سورة الجمعة ٥ .

فوفاه حسابه والله سريع الحساب • أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور »(١٥٠) •

في الآية الأولى تمثيل لأعمال الكافرين بالسراب في عدم النفع وزوال الرجاء ••• وفي الثانية بالظلمات الكثيفة التي لا خير فيها ولا نفع • والكاف في التشبيهين بمعنى (مثل) •

وتكون الكاف — أيضا — بمعنى (مثل) عند الإتيان بها للدلالة على المماثلة بين صفتين في طبيعتهما وما يترتب عليهما • فيكون وجه الشبه هيئة معنية مركبة • لذا لا تكون الكاف بمعنى (شبه) وذلك في الآيات الآتية :

٨١ — قال تعالى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب »(١٥١) •

٨٢ — وقال تعالى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب » (١٥٢) •

٨٣ — وقال تعالى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين »(١٥٣) •

قال الزجاج : « أي كشأن آل فرعون • كذا قال أهل اللغة •

(١٥٠) سورة النور ٣٩ — ٤٠ •

(١٥١) سورة آل عمران ١١ •

(١٥٢ — ١٥٣) سورة الأنفال ٥٢ — ٥٤ •

والقول عندي فيه — الله أعلم — ان (دأب) ههنا ، أي اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام »(١٥٤) .

ويبدو من كلام أهل اللغة أن الطرفين مركبان من التكذيب والعذاب . وذلك لمساواة كلمة دأب كلمة (مثل) الذى هو الصيغة العجيبة . أما على اختيار الزجاج فهما مفردان .

قال أبو حيان : « شأن هؤلاء فى تكذيبهم لرسول الله ﷺ وترتيب العذاب على كفرهم كشأن من تقدم من كفار الأمم ، اخذوا بذنوبهم وعذبوا عليها »(١٥٥) . فالكاف تدل على المماثلة .

قال امرؤ القيس :

كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل(١٥٦)

أى شأنك مع هذه المرأة مثل شأنك مع غيرها من التعلق بهن وتحمل النصب والمشقة معهن .

الكاف بمعنى (مساو) :

وجاءت الكاف للدلالة على المساواة فى الصفة بين المتفقين جنسا فى هذه الآية :

---

(١٥٤) معانى القرآن واعرابه ٣٨٠/١ .
(١٥٥) البحر المحيط ٣٨٩/٢ .
(١٥٦) من معلقة امرىء القيس (قفا نبك) الديوان ١١١ وشرح القصائد السبع ٢٧ .

٨٤ ــ قال تعالى : « ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون »(١٥٧) .

فالمشبه والمشبه به من جنس واحد ، والتشبيه للدلالة على مساواة يوم القيامة فى شدته وقسوته وكثرة ما يلاقى فيه الإنسان بألف سنة بما فى أيامها ولياليها من الشدائد ، لأن أيام الشدائد مستطالة . أو أن المساواة فى زمنه ووقته ، أى طوله كطول ألف سنة(١٥٨) .

فالكاف جاءت للدلالة على المساواة فى الوصف الجامع للطرفين، ولا يعكر على كون معنى المساواة المقصود الأهم ــ لمح معنى المماثلة فى الجنس والصفة . لأن القصد هنا ابراز المساواة بين الطرفين فى الصفة .

وقد تكون الدلالة على المساواة فى سياق النفى كما فى هذه الآية :

٨٥ ــ قال تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا »(١٥٩) .

جاءت الآية الكريمة فى مقام تفضيل جماعة نساء النبى ﷺ على جميع نساء الأمة ، وفى سياق ضم بيان تضعيف العذاب لمن تأتى منهن بفاحشة وتضعيف أجر من تعمل صالحا ، ثم قررت الآية ذلك بنفى مساواتهن غيرهن فى المنزلة سالكة الى ذلك طريقين : طريق التشبيه ، اذ نفت الآية عن طريقه مساواة واحدة من نساء

---

(١٥٧) سورة الحج ٤٧ .
(١٥٨) ينظر الكشاف ١٨/٣ والبحر المحيط ٣٧٩/٦ .
(١٥٩) سورة الأحزاب ٣٢ .

النبي عليه الصلاة والسلام لواحدة من النساء الأخريات ؛ في امكان وقوع فعل قبيح أو ترخص في قول كما يحصل من بعض النساء .

وطريق نظم الآية اذ ان التقدير « ليست واحدة منكن كأحد من النساء أي كواحدة من النساء ، ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة »(١٦٠) .

بهذا يتضح أن الكاف هنا بمعنى (مساو) وليست بمعنى (مثل) لتحقق المماثلة بينهن وبين نساء الأمة في الجنس وفي كثير من الصفات ، خاصة ما يتعلق بالأحكام — ما عدا ما يقع به التمايز ، وهو مدلول (مثل) فلا يتأتى في الآية نفي المماثلة في هذا ، ولكن يتأتى نفي المساواة الذي مآله بقاء ما يقع به التمايز .

ومن شواهد ذلك في الشعر قول طرفة بن العبد :

لا تجعليني كامرىء ليس همه
كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي(١٦١)

لا ينهى طرفة أم معبد أن تجعله مثل هذا المرء الذي لا يشبهه ، بمعنى أنه لا يستحق ما تعامله به . ولكن معناه لا تسوي بيني وبين من لا يماثلني في شجاعتي وكرمي . فالكاف في قوله (كامرىء) بمعنى (مساو) .

(النوع الثاني) :

وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين في الجنس والصفة ، لكن الاتفاق في صفة حسية . وتكون الكاف في هذا النوع بمعنى (شبه)

---

(١٦٠) الانصاف على الكشاف ٢٥٩/٣ .

(١٦١) البيت من معلقة طرفة — شرح القصائد السبع ٢٢٤ .

لارتباط الشبه بالصور والهيئات الحسية ، وقد تأتي للمساواة ، وشواهده ما يأتي :

٨٦ ـ قال تعالى : « ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »(١٦٢) .

٨٧ ـ وقال تعالى : « .. واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني .. »(١٦٣) .

المعنى : هيئة تشبه هيئة الطير . فالكاف بمعنى (شبه) .

٨٨ ـ قال تعالى : « فأصبحت كالصريم »(١٦٤) .

يخبر الله سبحانه بقصة أهل الجنة وأنه أهلكها لهم ، ويصفها بأنها أصبحت تشبه في صورتها وهيئتها المشاهدة الجنة التي صرم ثمرها وقيل أصبحت مسودة تشبه الصريم . أي الليل(١٦٥) .

وجاءت للدلالة على المساواة في المقدار في الآية الآتية :

٨٩ ـ قال تعالى : « سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »(١٦٦) .

---

(١٦٢) سورة آل عمران ٤٩ .
(١٦٣) سورة المائدة ١١٠ .
(١٦٤) سورة القلم ٢٠ .
(١٦٥) ينظر الكشاف ٤/١٤٤ .
(١٦٦) سورة الحديد ٢١ .

(عرضها كعرض السماء والأرض) أى مساو لعرض السماء والأرض فى بسطة المساحة وسعتها .

« الضرب الثانى » :

وهو ما يكون الطرفان فيه مختلفين جنسا متفقين صفة . ويتنوع الى نوعين :

« النوع الأول » : وهو ما يكون الوجه فيه صفة معنوية . وفيه لا تكون الكاف بمعنى (مثل) لاختلاف الطرفين فى الجنس ، ولا بمعنى (شبه) لكون الصفة معنوية لا حسية يمكن أن يدل عليها بلفظ (شبه) .

وشواهده ما يأتى :

٩٠ ـ قال تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون »(١٦٧) .

(كالحجارة) شبه الله القلوب بالحجارة فى القسوة . والحجارة أوضح ما يصف الغفلة والجمود لذا لما قصد المبالغة فى هذه القسوة جاء الوصف بالشدة فى قوله تعالى : (أو أشد قسوة) وكان يمكن أن يقال (أو أقسى) فكان وصف القسوة بالشدة أبلغ فى وصف القلوب بالقسوة (١٦٨) .

---

(١٦٧) سورة البقرة ٧٤ .

(١٦٨) ينظر التصوير البيانى ٢٧ .

ولما كان الطرفان مختلفين فى الجنس ، لكون ذات القلوب تخالف ذات الحجارة فليست الكاف هنا بمعنى (مثل) ولا يقال عند تفسير الآية : المعنى : مثل الحجارة الا على جهة التسامح لتقريب المعنى ، لأن المماثلة تكون فى الذات وأكثر الصفات ما عدا ما يقع به التمايز كما يتأبى — أيضا — أن يقال : شبه أو شكل لكون هذه الكلمات لا تدل الا على الشبه الحسى .

٩١ — قال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »(١٦٩) .

٩٢ قال تعالى : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »(١٧٠) .

(كالأنعام) فى الآيتين للتشبيه فى صفة معنوية ، وهى عدم النظر والأعتبار لعدم العقل فى المشبه به تحقيقا وفى المشبه تنزيلا فالثمرة فيهما معدومة واختلاف الطرفين جنسا واضح . فالكاف لا تدل على تمام المماثلة ، وليست بمعنى (شبه) لكونها — أى شبه — لا تكون الا فى الصور المشاهدة .

ومن شواهد هذا النوع فى الشعر قول لبيد :

ما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع(١٧١)

---

(١٦٩) سورة الأعراف ١٧٩ .
(١٧٠) سورة الفرقان ٤٤ .
(١٧١) البيت فى الشعر والشعراء ٢٧٨/١ .

يشبه المرء فى حركته ونشاطه ثم موته بالقبس يضىء ثم يصير الى رماد .. بجامع النفع ثم انقطاعه . فالطرفان مختلفان جنسا والوجه أمر معنوى لا حسى .

وقول زياد الأعجم فى هجاء الفرزدق :

وانا وما تهدى لنا ان هجوتنا

كالبحر مهما يلق فى البحر يغرق(١٧٢)

شبه نفسه وقومه بالبحر فى علو الشأن عن التأثر بسفاسف الأمور واختلاف الطرفين جنسا واضح ، والشبه معنوى . فهو مما تختص به الكاف فى الدلالة .

وقد يأتى التشبيه من هذا النوع على سبيل النفى كما فى هذه الآية :

٩٣ ــ قال تعالى : « فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »(١٧٣) .

(وليس الذكر كالأنثى) نفى للمماثلة بين الذكر والأنثى التى ولدتها امرأة عمران . أى ليس الذكر الذى طلبت (بضم التاء) مثل الأنثى التى أرادها الله وقضى بها ، فهى خير منه لأن الله اختارها هذا على أنه كلامها ، وان كان من كلام الله فالمعنى وليس الذكر الذى طلبت (بكسر التاء) كالأنثى التى وهبت لك فى الفضل والمزية(١٧٤) .

---

(١٧٢) البيت فى الشعر والشعراء ٤٣١/١ .

(١٧٣) سورة آل عمران ٣٦ .

(١٧٤) ينظر البحر المحيط ٤٣٩/٢ .

فالتشبيه جاء فى سياق النفى ، ويكون مآل نفى الصفة مع اختلاف الطرفين جنسا انتفاء المماثلة جنسا وصفة •

(النـــوع الثـــانى)

وهو مايكون طرفاه مختلفين جنسا متفقين فى صفة حسية ، موجودة فيهما على سبيل التحقيق أو التخييل ، ودلالة الكاف فى هـــذا النـــوع تختلف تبعـــا للصفة المراد الشبه فيها ، لأنها قد تكون من طريق حس الباصرة أو من طريق بقية الحواس الأخرى •

فان كان التشبيه فى صورة مشاهدة وروعى فيهـــا مجرد الاتفاق فى الهيئة والصورة المرئية دون نظر الى القـــدر والمساحة كانت الكاف بمعنى (شبه) وشواهد ذلك الآيات الآتـــة :

٩٤ ـــ قال تعـــالى : « ولن تستطيعوا أن تعـــدلوا بين النســـاء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقـــوا فان الله كان غفـــورا رحيما »(١٧٥) •

(كالمعلقة) الكاف بمعنى (شبه) لدلالتها على الشبه فى صـــورة مرئية وهيئـــة مشاهدة وان كانت فى المشبه على ســـبيل التخيل ، اذ شبهت المرأة بالشىء المعلق بعلاقة لا يستقر على الأرض ولا على مـــا عـــلق به •

٩٥ ـــ قال تعـــالى : « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصـــد وما يجحـــد بآياتنا الا كل ختـــار كفـــور »(١٧٦) •

---

(١٧٥) سورة النساء ١٢٩ •

(١٧٦) سورة لقمان ٣٢ •

(كالظلل) أى يشبه فى ارتفاعه واسوداده واضطرابه الظلل ، وهى السحاب ، أو الجبال(١٧٧) فالتشبيه فى الصورة المشاهدة والكاف بمعنى (شبه) .

٩٦ — قال تعالى : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »(١٧٨) .

(كالعرجون) شبه القمر بالعرجون لأن المشاهد يرى لهما فى مرأى العين صورة واحدة لأن العذق بعد القطع يتعرج وينعطف على بعضه ويزيده ذلك قدمه ، وصورة القمر فى انحنائه وصغرته كذلك ، فالتشبيه من ثلاثة أوجه لأنه اذا قدم دق وانحنى واصفر فمرجع التفصيل فى هذه الصورة المشاهدة كلمة (قديم) (١٧٩) .

٩٧ — قال تعالى : « ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم »(١٨٠) .

يصف الله تعالى الريح التى أصابت قوم عاد بأنها تجعل كل ما مرت عليه فى هيئته وصورته المشاهدة كالشىء البالى المتفتت ، فالكاف بمعنى (شبه) .

٩٨ — قال تعالى : « انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »(١٨١) .

---

(١٧٧) ينظر الكشاف ٣/٢٣٧ والبحر المحيط ٧/١٩٣ .
(١٧٨) سورة يس ٣٩ .
(١٧٩) ينظر الكشاف ٣/٣٢٣ والتصوير البيانى ٣٩ .
(١٨٠) سورة الذاريات ٤٢ .
(١٨١) سورة القمر ٣١ .

أي هم في صورة تحطمهم وتهشمهم بالريح كالحطب المتهشم في حظائر المحتطب . فالكاف بمعنى (شبه) .

٩٩ ـ قال تعالى : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »(١٨٢) .

(كالدهان) كدهن الزيت في الرخاوة ، أو كالأديم الأحمر في مرأى العين ، فهي تتلون تلون الدهان المختلفة .

(١٠٠ ـ ١٠١) قال تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن »(١٨٣) .

قال الزمخشري : « كدردي الزيت ، وعن بن مسعود كالفضة المذابة في تلونها . كالعهن كالصوف المصبوغ ألوانا ، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح »(١٨٤) فالكاف في الآيتين بمعنى (شبه) لكون التشبيه في الصورة المشاهدة . وسيأتي في آيتين أخريين التشبيه بالمهل في صفة أخرى له وهي الحرارة فلا تكون الكاف عندئذ بمعنى (شبه) .

(١٠٢ ـ ١٠٣) قال تعالى : « يوم يكون الناس كالفراش وتكون الجبال كالعهن المنفوش »(١٨٥) .

شبه الله تعالى صورة الناس يوم البعث بالفراش كثرة وانتشارا وأنهم لخفتهم من الضعف والذل يتطايرون الى الداعي من كل جانب .

---

(١٨٢) سورة الرحمن ٣٧ .
(١٨٣) سورة المعارج ٨ ـ ٩ .
(١٨٤) الكشاف ١٥٧/٤ .
(١٨٥) سورة القارعة ٤ ـ ٥ .

« وشبه الجبال بالعهن وهـو الصوف المصبوغ ألوانـا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها »(١٨٦) ٠

« فكأن التشبيه هنا يرتكز على أمرين : الأول : ما يكون من اختلاف الألوان فى الجبال المتحللة وهى جدد مختلفة الألوان فلاتكون كالصوف المنفوش فحسب ، وانما تتراءى كالصوف المصبوغ الذى احتوى ألوانا شتى ٠ والثانى هو الخفة وصيرورة هذه الرواسى الثقـال كأنها تلك القطع السابحة فى الهواء »(١٨٧) ٠

وبهـذا يتضح أن الكاف هنا بمعنى (شبه) لمجيئها للدلالة على الشبه فى الصور المشاهدة ٠

١٠٤ ـ قال تعالى : « فجعلهم كعصف مأكول »(١٨٨) ٠

(كعصف) أى شبه ورق زرع أكله الدود فهم هلكى فى مصارعهم، فالكاف بمعنى (شبه) ٠

وهذا النوع من التشبيه كثير فى الشعر قال لبيـد :

أسهلت وانتصبت كجـذع منيفة
جـرداء يحصـر دونهـا جرامها(١٨٩)

يقول بعد سعيى فى الجبال نزلت الى السـهل فنصبت الفـرس عنقها من نشاطها ودربها ، تشبه فى صورتها جذع نخلة مشرفة طويلة

---

(١٨٦) الكشاف ٢٧٩/٤ ٠
(١٨٧) التصوير البيانى ٣٠ ٠
(١٨٨) سورة الفيل ٥ ٠
(١٨٩) البيت من المعلقـة فى شرح المعلقـات السـبع ٥٨٢ ومعنى أسهلت : نزلت السهل ـ والمنيفة : النخلة الطويلة ـ يحصر : يضيق ٠

بتضييق صدور صرامها لارتفاعها • ومعلوم أن التشبيه فى هيئة الأرتفاع دون قصد الى المقدار فالكاف بمعنى (شبه) •

وقال الأعشى يصف عوارض امرأة :

وتفتر عن مشرق بارد
كشوك السيال أسف النوورا(١٩٠)

يشبه أسنانها فى دقتها وبياضها بشوك شجر السيال • فالكاف بمعنى (شبه) •

وقال الشماخ :

وذلين يبارى ثنى مضفرد
كحية الطود ولى غير مطرود(١٩١)

يشبه زمام الناقة فى اهتزازه والتوائه باهتزاز الحية وتلويها دالا على ذلك بقوله غير مطرود لأن المطرود من شأنه ان يسير سيرا مستقيما • والتشبيه فى الهيئة والصورة المشاهدة فالكاف بمعنى (شبه) •

وقد لاحظنا فى الشواهد التى سبقت من هذا النوع أن التشبيه فى الصورة المشاهدة دون نظر الى القدر والمساحة لكن قد يكون التشبيه فى الصورة المشاهده مراعى فيه ما بين المشبه والمشبه به من تقارب فى القدر والمساحة • عندئذ تكون الكاف بمعنى (شكل) وليست بمعنى (شبه) لما سبق أن قررناه من أن الشكل يراعى فيه المقدار والأبعاد،

---

(١٩٠) ديوان الأعشى ٨٥ ــ والسيال : نبات شوكه أبيض ــ وأسف : ذر عليه ــ والنؤور : دخان الشحم •

(١٩١) الديوان ١١٤ ــ ويبارى : يعارض ــ ثنى : زمام مفتول •

أما الشبه فلا يراعى فيه ذلك(١٩٢) والشواهد التى تكون فيهـا الكاف بمعنى (شكل) ما يأتى :

١٠٥ ــ قال تعـالى : « وهى تجرى بهم فى موج كالجبـال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين »(١٩٣) .

(كالجبال) كل موجة كالجبل فى تراكمها وارتفاعها ، فشـكلها فى المقدار والعظم كشكل الجبل ، فالكاف دلت على معنى (شـكل) الذى فيه معنى (شبه) بزيادة النظر الى الجرم والمقدار . فالموجة منظور الى هيئتها ومقدارها معـاً .

١٠٦ قال تعـالى : « فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصـاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم »(١٩٤) .

(كالطـود) أى فى شـكل الجبـل العظيم المتطاد فى السـماء ، فى مساحته وحجمه الضخم .

١٠٧ ــ قال تعـالى : « يعملون له ما يشاء من محـاريب وتماثيل وجفـان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شـكرا وقليل من عبادى الشـكور »(١٩٦) .

(وجفـان كالجواب) أى كالحياض الكبيرة فى المساحة والسـعة قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل ، قال الأعشى :

---

(١٩٢) انظر المفردات ٤٦٢ .

(١٩٣) سورة هود ٤٢ .

(١٩٤) سورة الشعراء ٦٣ .

(١٩٥) ينظر الكشاف ١١٥/٣ .

(١٩٦) سورة سبأ ١٣ .

نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى تفهق
ترى القوم فيها شارعين ودونهم
من القوم ولدان من النسل دردق(١٩٧).

فالكاف فى الآية بمعنى (شكل) وكذلك فى البيت .

١٠٨ ـ قال تعالى : «ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام»(١٩٨)

١٠٩ ـ وقال تعالى : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام »(١٩٩) . كالأعلام فى مساحتها وارتفاعها وضخامتها .

١١٠ ـ وقال تعالى : « إنها ترمى بشرر كالقصر »(٢٠٠) .

(كالقصر) أى فى شكلها من العظم والضخامة .

وعندما يكون التشبيه بين المختلفين جنسا فى صفة حسية ليس طريق ادراكها البصر ، فان الكاف ـ عندئذ ـ لا تكون بمعنى (شبه) ولا بمعنى (شكل) لارتباطهما بالمشاهدات ، وكذلك بقية الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة لكننا نلجأ عند بيان التشبيه الى ذكر كلمة (مثل) على سبيل التوسع والتسامح ، لأن مثل لا تكون الا بين المتفقين جنساً وصفة والشواهد التى من هذا القبيل ما يأتى :

١١١ ـ قال تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن

---

(١٩٧) ديوان الأعشى ١٢١ ـ والجابية : الحوض الضخم ـ تفهق : تفيض ـ والدردق : الأطفال ـ وقبل الشيخ العراقى : كسرى .
(١٩٨) سورة الشورى ٣٢ .
(١٩٩) سورة الرحمن ٢٤ .
(٢٠٠) سورة المرسلات ٣٢ .

ومن شــاء فليكفر انا اعتــدنا للظالمين نارا أحــاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وســاءت مرتفقـــا »(٢٠١) .

١١٢ ــ وقال تعــالى : « ان شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطــون »(٢٠٢) .

(كالمهل) فى الآيتين تشبيه فى شــدة الحرارة وقسوتها بقرينــة السياق فقد ذكر وصفه بأنه يشوى الوجوه فى الآية الأولى ، وبأنه يغلى فى البطن ، فى الآية الثنية . وهذا يدل على أن القصد فى صفة محسوسة ليس طريقها المشاهدة بخلاف مجىء التشبيه بالمهل فى قوله تعــالى : « يوم تكون الســماء كالمهل »(٢٠٣) فقــد بينا عند الحديث عنها أنه روعى فى المهل صفة مشاهدة وهى التلوين . اذ قد يكون للشىء وصفان فيشبه به منظورا الى أحدهما فى موضع ومنظورا الى الآخر فى موضع آخــر .

١١٣ ــ قال تعالى : « خلق الانسان من صلصال كالفخار »(٢٠٤) .

(كالفخار) فى صدور صوت منه وفى قوته ويؤيد النظر الى معنى الصوت مادة الكلمة فانها تحمل صلصة وجرسا .

الكاف ومعنى (التعليل)

ذكروا أن من معانى الكاف التعليل . حكاه ابن هشام قائلا : ؟؟؟؟

(٢٠١) سورة الكهف ٢٩ .
(٢٠٢) سورة الدخان ٤٣ ــ ٤٤ ــ ٤٥ .
(٢٠٣) سورة المعارج ٨ .
(٢٠٤) سورة الرحمن ١٤ .

« قد أثبت ذلك قوم ونفاه الأكثرون . وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ (ما) كحكاية سيبويه : كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه . والحق جوازه فى المجردة من (ما) نحو : « وى كأنه لا يفلح الكافرون »(٢٠٥) أى أعجب لعدم فلاحهم ، وفى المقرونة بـ (ما) الزائدة ، كما فى المثال ـ الذى حكاه سيبويه ـ و بـ (ما) المصدرية ، نحو « كما أرسلنا فيكم »(٢٠٦) .

قال الأخفش : أى لأجل ارسالى فيكم رسولا منكم فاذكرونى ، وهو ظاهر فى قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم »(٢٠٧) .

وهذا الخلاف الذى حكاه يدل على أن فيه ثلاثة آراء :

الأول : أن الكاف لا تدل على التعليل ألبتة . فهى موضوعة للتشبيه لا غير .

وما جاء من الشواهد بمعنى التعليل فعلى جهة من التأويل ، وهذا رأى الأكثرية .

الثانى : أنها تفيد التعليل بشرط أن تكون مكفوفة بـ (ما) وعليه تكون الكاف قد تحول بها عن أصل دلالتها على التشبيه الى إفادتها للتعليل .

الثالث : أنها تدل على التعليل كما تدل على التشبيه دون قيد ، وهو ما ارتضاه ابن هشام ، وتكون الكاف بهذا موضوعة للمعنيين فهى من المشترك .

---

(٢٠٥) سورة القصص ٨٢ .
(٢٠٦) سورة البقرة ١٥١ .
(٢٠٧) سورة البقرة ١٩٨ .

والذى أرتضيه كون الكاف للتشبيه ، وما حمل من الشواهد على معنى التعليل فعلى جهة التجوز فى طرق التشبيه أو أحدهما ، وقد ذكر ابن هشام ما يجاب به عن القول بالتعليل فى قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم » قائلا : « وأجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام ، اذ الذكر والهداية يشتركان فى أمر واحد ، هو الاحسان ، فهذا فى الأصل بمنزلة : وأحسن كما أحسن الله اليك ، والكاف للتشبيه ، ثم عدل عن ذلك للاعلام بخصوصية المطلوب ، وما ذكرناه فى الآية من أن (ما) مصدرية قاله جماعة ، وهو الظاهر »(٢٠٩) .

اذ الكاف باقية على التشبيه ، لكن وضع مكان الطرفين اللذين هما : احسان العباد (المشبه) وهو أمر عام ، واحسان الله (المشبه به) وهو شامل عام — وضع مكانهما أمران خاصان : هما ذكر الانسان ربه ، وهو نوع من احسان العبد ، وهداية الله وهى نوع من احسان الله تعالى . فأصل المعنى : أحسنوا كما أحسن الله اليكم ، ثم تجوز فى طرفى التشبيه .

ولى ملحظ آخر يؤيد بقاء التشبيه فى الآية ، ويمنع القول بالتعليل ذلك أن فى دعوى كون الهداية علة للذكر بعدا ؛ لأن جوهر الهداية الذكر ، فكيف يكون الشىء علة لنفسه ، فيترتب الذكر على الهداية ترتب المعلول على العلة ؟

وقد خرج الأمير شواهد أخرى لإبقاء الكاف للتشبيه كبقائها له فى قوله تعالى : (واذكروه كما هداكم) قائلا : « وهو ممكن — أيضا — فى (كما أرسلنا) فان الارسال احسان . بل وفى حكاية سيبويه ، فان عدم

(٢٠٨،٢٠٩) مغنى اللبيب ١/١٥١ وانظر البحر المحيط ٢/٩٧ .

العلم يتضمن عدم الاساءة فكأنه قيل : كما أنه لم يسىء لم يسأل فان غير المنتهك لمية ضد الاساءة ، وأما « ويكأنه .. الآية » فيحتمل أن (كأن) من أخوات (ان) للتحقيق ، والكلام معها مستأنف »(٢١٠) .

وعلى هذا النهج من التخريج يمكن حمل الآيات التي ذكر بعض المفسرين أن الكاف فيها للتعليل ، بأن تبقى للتشبيه . وهذه الايات هنا يأتى :

١١٤ ــ قال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون »(٢١١) .

(كما أرسلنا فيكم رسولا) جوز أهل اللغة أن تتعلق بما قبلها (ولأتم نعمتى) أو (لعلكم تهتدون) أو تتعلق بما بعدها . واستجاد الزجاج الرأى الثانى قال : « ــ كما ــ تصلح أن تكون جوابا لما قبلها ، فيكون (لعلكم تهتدون) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم » والاجود أن تكون (كما) متعلقة بقوله عز وجل (فاذكرونى أذكركم) أى فاذكرونى بالشكر والاخلاص كما أرسلنا فيكم . فان قال قائل : كيف يكون جواب (كما أرسلنا) فاذكرنى أذكركم ؟ فالجواب ههنا انما يصلح أن يكون جوابين . لأن قوله (فاذكرونى) أمر ، وقوله (أذكركم) جزاء (اذكرونى) والمعنى : أن تذكرونى أذكركم »(٢١٢) .

---

(٢١٠) حاشية الأمير على معنى اللبيب ١٥١/١ .
(٢١١) سورة البقرة ١٥١ .
(٢١٢) معانى القرآن واعرابه ٢١٠/١ .

ولم يستجد الطبرى هذا الرأى ، لكونه ليس الأسهل الأفصح من كلام العرب(٢١٣) .

وعند تفسير الآية يذكر أبو حيان أن الكاف للتشبيه فى موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف ، تقدير الكلام ، أى ولأتم نعمتى عليكم اتماما مثل اتمام ارسال الرسول فيكم . ثم يذكر الرأى بأنها للتعليل قائلا : « ويحتمل بل الأظهر اذا علقت بما بعدها ألا تكون الكاف للتشبيه ، بل التعليل ، وهو معنى مقول فيها انها ترد له ، وحمل على ذلك قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم »(٢١٤) .

وقد سبق القول ببقائها للتشبيه ووجود التجوز فى مدخولها .

١١٥ ــ قال تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين »(٢١٥) .

(كما هداكم) الكاف للتشبيه ، فى موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أو حالا ، وجوز فيها التعليل من أثبت هذا المعنى للكاف . أى اذكروه لهدايتكم . وقد سبق القول باستفاضة فى الآية ، وتحقيق كون الكاف للتشبيه .

١١٦ ــ قال تعالى : « فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون »(٢١٦) .

---

(٢١٣) ينظر جامع البيان ٣٦/٢ .
(٢١٤) البحر المحيط ١٤٤/١ وانظر البرهان للزركشى ٣١٠/٤ .
(٢١٥) سورة البقرة ١٩٨ .
(٢١٦) سورة البقرة ٢٣٩ .

ذكر أبو حيـــان صحة اعتبار الكاف للتعليل ، أى فاذكروا الله لأجل تعليمه اياكم(٢١٧) وكونها للتشبيه جلى لا يخفى .

١١٧ ــ قال تعـــالى : « يا أيها الذين آمنـــوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعـــدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علـــه الله فليكتب وليملل الذى عليـــه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ... الآية »(٢١٨) .

(كما علمه الله) أى بمثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبـــدل ولا يغير . أو الكاف للتعليل ، أى لأجل ما فضله الله .

١١٨ ــ قال تعـــالى : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »(٢١٩) .

(وكذلك) الكاف للتشبيه والمعنى : ومثل هدايته الى توحيد الله تعالى ودعوته أباه لترك الأصنام وعبادة الله أشهدناه ملكوت السموات والأرض ليدعو قومه مستدلا بما رأى . ومن يقول بأن الكاف للتعليل يقدر المعنى : لذلك الانكار على قومه بدعوته الى التوحيد أريناه ملكوت السموات والأرض »(٢٢٠) .

١١٩ ــ قال تعـــالى : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون »(٢٢١) .

---

(٢١٧) ينظر البحر المحيط ٢/٣٤٤ .
(٢١٨) سورة البقرة ٢٨٢ .
(٢١٩) سورة الأنعام ٧٥ .
(٢٢٠) ينظر الكشاف ٢/٣٠ والبحر المحيط ٤/١٦٥ .
(٢٢١) سورة الأنعام ١١٠ .

يبدو من صنيع أبى حيان أنه يرتضى كون الكاف فى قوله تعالى : (كما لم يؤمنوا) للتعليل ، فهو يقول : « المعنى أنه تعالى يحولهم عن الهدى ويتركهم فى الضلال والكفر ، و (كما) للتعليل ، أى : يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول وقت جاءهم هداته »(٢٢٢) .

وكأنه لم يرض بما ذكره من كلام الزمخشرى ، من كون الكاف للتشبيه ، والكلام على الاخبار بتقدير أنه لو جاءت الآية التى اقترحوها صنعنا بهم ذلك كما صنعناه بهم أول مرة ، وعبارة الزمخشرى « ونقلب أفئدتهم — ونذرهم — عطف على لا يؤمنون (فى الآية السابقة) داخل فى حكم وما يشعركم ، بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أى تطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم »(٢٢٣) .

ومناط الفرق بين ما اختاره أبو حيان وما ذهب إليه الزمخشرى أن أبا حيان يرى أن الكلام اخبار مستأنف بما يفعل بهم فى الدنيا وهو أمر واقع .

أما الزمخشرى فيرى أنه اخبار بما يقع لهم على تقدير وقوع الآية المقترحة ، فالتقليب لم يقع . لأنه مرتب على أمر على تقدير وقوعه .

على أنى أرى — والله أعلم — أن اعتبار مدخول الكاف علة للكلام قبله وهو تقليب الأفئدة والأبصار يضعفه تقييد عدم الايمان بقوله : (أول مرة) لأن تقليب الأفئدة والأبصار لايعلل بترك الايمان أول مرة ولكن بتركه دائما . اذ لا يتعين مع عدم الإيمان للمرة الأولى بقاء تقليب الأفئدة والأبصار . فقد تذهب عن القلب غواشي الشك التى التبست به أول سماعه الدعوة الى الحق ، ثم يستقر الايمان فيه .

---

(٢٢٢) البحر المحيط ٢٠٣/٤ .
(٢٢٣) الكشاف ٤٤/٢ .

والمعنى الذى يبدو لى من الآية الكريمة بيـان استمرار أحوالهم على نمط واحـد من الشك والتقلب والحيرة • فلا تراهم الآن الا فى هذه الحيرة : كما رأيتهم عنـد دعوتك لهم أول مرة • فالكاف للتشبيه ، وهو واضح جلى • أعاذنا الله من الحيرة وثبت منا القلوب •

١٢٠ ـ قال تعـالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون »(٢٢٤) •

قال الزمخشرى : « كما أخرجك ربك ـ فيه وجهـان : أحدهما : أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتـدأ محذوف ، تقـديره : هـذا الحال كحال اخراجك ، يعنى أن حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيـل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب ، والثانى : أن ينتصب على أنه صفة مصـدر الفعل المقدر فى قوله (الأنفال لله والرسول) ، أى الأنفال استقرت لله والرسول ، وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثـل ثبـات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون »(٢٢٥) •

ومن اشراقات ابن المنير ـ رحمة الله عليه ـ قوله : « وكان جدى أبو العباس أحمد الفقيـه الوزير ـ رحمه الله ـ يذكر فى معنى الآية وجها أوجه من هذين • وهو أن المراد تشبيه اختصـاصه عليه الصلاة والسلام ـ بالأنفال وتفويض أمرها الى حكمه من حيث الاثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى ، سامعا لأمره ، راضـيا بحكمـه على كراهة المؤمنين الطاعة ، فشبه الله تعـالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية • فكما بلغت طاعته الغـاية فى نوع الطاعات . فـكذلك بلغت اثـابة الله له الغـاية فى جنس المثـوبات ، وجمـاع هـذا المعنى هو

(٢٢٤) سورة الأنفال ٥ •
(٢٢٥) الكشاف ١٤٢/٢ •

المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام « والأجرة على قدر النصب »(٢٢٦) .

ويذكر أبو حيان خمسة عشر رأيا في معنى الآية والكاف ، ولم يعرض بشيء منها ، وانما ارتضى تخريجا (مناميا) يرجع الى كون الكاف ليست لمحض التشبيه ، بل فيها معنى التعليل ، والمعنى عليه : لإخراج ربك لك من بيتك بالحق نصرك وأيدك(٢٢٧) .

١٢١ ــ قال تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »(٢٢٨) .

استظهر بو حيان كون الكاف في الآية للتعليل ، قال : « والظاهر أن الكاف في (كما) للتعليل ، أي رب ارحمهما لتربيتهما لي وجزاء على احسانهما الي حالة الصغر والافتقار »(٢٢٩) .

على أن ذلك ــ عندي ــ ليس بالوجه ، لبعد أن يعلل الفعل الالهي بفعل العباد . اذ الآية تأديب من الله تعالى لعباده أن يقولوا التي هي أحسن ، وعلى هذا النمط العالي قول يوسف ــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ــ عندما أراد أن يدعو ربه ، فقد أدخل ما أراد أن يدعو ربه في أطار نعم كثيرة فضله الله تعالى بها فقال « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين »(٢٣٠) .

---

(٢٢٦) الانصاف على الكشاف ١٤٢/٢ .
(٢٢٧) ينظر البحر المحيط ٤٥٩/٤ وما بعدها .
(٢٢٨) سورة الاسراء ٢٤ .
(٢٢٩) البحر المحيط ٢٨/٦ .
(٢٣٠) سورة يوسف ١٠١ .

والأولى فى الكاف فى قوله (كما) كونها للتشبيه . والمعنى أرحمهما رحمة — لأنك الراحم بالحقيقة — كما رحمتنى بها فربيانى صغيرا .

١٢٢ — قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين »(٢٣١) .

(كما أحسن الله اليك) أى احسانا كاحسان الله ، أى فى مطلق وقوع الإحسان ، اذ ليس ثمة مشابهة فى الصفات ، بل لا مقارنة ألبتة .

وقيل : الكاف : للتعليل ، أى لأجل احسان الله اليك (٢٣٢)

الكاف ومعنى (التأكيد) :

ذكر بعض أهل اللغة والنحويين أن الكاف كما تأتى للتشبيه والتعليل تأتى — أيضا — زائدة للتأكيد ، وحملوها على الزيادة فى آيات من القرآن الكريم منها ما يأتى :

١٢٣ — قال تعالى : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »(٢٣٣) .

فقد ذهب كثير من العلماء الى أن فى الآية زيادة لئلا يلزم المحال ؛ لأن المعنى على أصالة (الكاف) و (مثل) ليس شىء مثل مثله ، فيكون محتملا اثبات المثل له — سبحانه — لأن النفى بحسب الظاهر ينصب

---

(٢٣١) سورة القصص ٧٧ .

(٢٣٢) ينظر البحر المحيط ٧/١٣٣ .

(٢٣٣) سورة الشورى ١١ .

على الحكم ويفيد ثبوت متعلقه ، لأن المتبادر من قولنا : ليس مثل ابن زيد أحد أن لزيد ابنا(٢٣٤) •

وانما كان محتملا اثبات المثل وليس قاطعا فيه « لأن السالبة — كما يقول علماء المنطق — تصدق بعدم الموضوع ، أو لأن النفى كما يقول علماء النحو — قد يوجه الى المقيد وقيده جميعا ؛ تقول : ليس لفلان ولد يعاونه : اذا لم يكن له ولد قط ، أو كان له ولد ولم يعاونه • وتقول : ليس محمد أخا على ، اذا كان أخا لغير على ، أو لم يكن أخا لأحد »(٢٣٥) •

وقد اختلف فى الزائد هل هو (مثل) أو (الكاف) ؟ فقيل الزائد (مثل) زيدت لتفصل الكاف من الضمير • وأكثر القائلين بالزيادة على أن الزائد (الكاف) لأن زيادة الحرف أولى من زيادة الاسم •

وقد ذكر الطبرى الرأيين قائلا : « قوله — ليس كمثله شىء — فيه وجهان : — أحدهما : أن يكون معناه : ليس هو كشىء ، وأدخل المثل فى الكلام توكيدا للكلام ، اذ اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد ، كما قيل ما ان نديت بشىء أنت تكرهه • فأدخل على (ما) وهى حرف جحد (ان) وهى — أيضا — حرف جحد لاختلاف اللفظ بهما وان اتفق معناهما توكيدا للكلام ، كما قال أوس ابن حجر :

وقتلى كمثل جذوع النخل تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك كجذوع النخيل ، كما قال الآخر :

سعد بن زيد اذ أبصرت فضلهم

ما ان كمثلهم فى الناس من أحد

---

(٢٣٤) ينظر البرهان للزركشى ٤/٣١٠ ومغنى اللبيب ١/١٥٣ •
(٢٣٥) النبأ العظيم ١٤٦

والآخر : أن يكون معنـــاه : ليس كمثله شيء ، وتكون الكاف هي الداخلة في الكلام تقول الراجز : وصاليات ككما يؤثفين . فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه »(٢٣٦) .

الطبري اذا يذهب مع من يقولون بزيادة احـــدى الكلمتين في الآية لتأكيد نفي المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة اعـــادة الجملة ثانية .

(رأي الزمخشري) ذهب الزمخشري عنـــد تفسيره الآيه الى عـــدم الزيادة فيها ، لا الكاف ، ولا (مثل) مشيرا الى ضـــعف القول بالزيادة . قال : « قالوا : مثلك لا يبخل فنفوا البخـــل عن مثله : وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصـــدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طـــريق الكناية . لأنهم اذا نفوه عمن يســـد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقـــد نفوه عنـــه ونظيره قولك للعربي : العـــرب لا تخفر الذمم ، فكان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر .. فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقـــع فرق بين قولك : ليس كالله شيء ، وبين قوله (ليس كمثله شيء) الا ما تعطيـــه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد، وهو نفي المماثلة عن ذاته .

ونحوه قوله عز وجل . « بل يداه مبسوطتان»(٢٣٧) فان معناه : بل هو جواد من غير تصور يد ولا بســـط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود ، لا يقصـــدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له .. فكذلك استعمل هـــذا فيمن له مثـــل ، ومن لا مثل له . ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال : وصـــاليات ككمـــا يؤثفين . ومن قال : مثل كعصف مأكول(٢٣٨) .

---

(٢٣٦) جامع البيان ١٢/٢٥ ، ١٣ .
(٢٣٧) سورة المـــائدة ٦٤ .
(٢٣٨) الكشاف ٤٦٢/٣ .

وبهـذا يتضح أنه يرى ترجيح أصالة الكلمتين : الكاف و (مثل) في الآية ، وأن التركيب أفاد نفى المماثلة من طريق الكناية ، وذلك بنفى المثليـة عن مثل الله تعـالى ، مرادا بهـذا المثل الله تعالى ، اذ ليس له مثـل . كما يترك القول بالزيادة الى ضعفه بقوله : ولك أن تزعم .

(رأى ابن المنير) يذهب ابن المنير ـ رحمه الله ـ الى اختيـار الرأى الاول الذى ذكره الزمخشرى ، رافضـا الرأى الثـانى . أى القول بالزيادة لاخلاله بالمعنى ؛ لأن الزيادة للتأكيد تفيـد تأكيد المماثلة، ومع تسـلط النفى عليها يفيـد الكلام نفى تأكيد المماثلة ، ونفى تأكيد المماثلة لا يستلزم نفى مطلق المماثلة فيصـح وقوعها ، وهذا مستحيل .

وعبارته : « وهـذا الوجه الثانى مردود على ما فيـه من الاخـلال بالمعنى ، وذلك أن الذى يليق هنا تأكيد نفى المماثلة ، والكاف على هذا الوجه انما تؤكد المماثلة ، وفرق بين تأكيد المماثلة المنفيه وبين تأكيـد نفى المماثلة ، فان نفى المماثلة المهملة عن التوكيد أبلغ وآكد فى المعنى من نفى المماثلة المقترنة بالتأكيد ، اذ يلزم من نفى المماثلة الغـير مؤكدة نفى كل مماثلة ، ولا يلزم من نفى مماثلة محققـة متأكدة بالغـة نفى مماثلة دونها فى التحقيق والتأكيد ، وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثله وردت فى الاثبات فأكدته ، فليس النظر فى الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعـلم »(٢٣٦) .

هـذا كلامه . وهو واضح فى رفضه القاطع القول بالزيادة . ولم يكتف بما ذهب اليه الزمخشرى من تضعيفه . واستدل على بطـلانه ـ أى القول بالزيادة ـ بأنه يؤدى الى فساد المعنى .

(رأينا فى ذلك) وهو ذو وجهـين : وجـه اتفاق مع الزمخشرى وابن المنير ، ووجـه اختـلاف .

---

(٢٣٦) الانصاف على الكشاف ٣/٤٦٣ .

وجـه الاتفاق : وهو القطع برفض القول بزيادة (الكاف أو مثل) وأن نفى المثلية عن الله تعالى بطريق الكنـاية .

وجـه الاختلاف : نحن نرى أن دليل عـدم الزيادة فى الآية يقوم على أساس لغوى ، وهو دلالة كل من (الكاف ومثل) اذ ليس معنـا فى الآية كلمتان متفقتان اتفاقا تاما فى الدلالة يقتضـينا القول بزيادة احداهما لافادة تأكيد الأخرى ، أو يساعدنا عليه . لأن الكاف التى هى أداة التشبيه أصـالة وفى الآية كذلك تدل ــ كما قررنا ــ على التشبيه مطلقا ، ولا يتعين دلالتها على المماثلة فى الذات والصفات التى هى مدلول (مثل) اذ قد تدل على شـبه فى صـفة (ما) دون غيرها . فالكلمتان (الكاف ومثل) مختلفتان فى دلالتهما اللغوية ، وتؤديان فى الآية هـذه الدلالة . فتركيب الآية بالنفى والكاف على نفى مطلق مشـابهة أى شىء لامثل المفترض ــ بدلالة المقـام ــ وجوده ، واذا انتفى مطلق المشابهة فى صـفة للمثل المدعى استلزم ذلك انتفـاء مطلق المشابهة فى صـفة لله تعـالى بمقتضى المماثلة ، واذا ثبت انتفـاء مطلق الشبه لله تعـالى استلزم ذلك انتفـاء المماثلة فى الذات ، وجميع الصفات ، التى هى مدلول (مثل) من باب أولى ، على طريق التنبيه بالأدنى على الأعلى ، وثبتت بذلك الوحدانية لله تعـالى .

وبهـذا يندفع قول أبى حيـان : « قد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضـوعهما الحقيقى من أن كلا منهما يراد به التشبيه ، وذلك محال ، لأن فيه اثبات مثل لله تعالى ، وهو محال »(٢٤٠)

ووجـه الدفع أن الكلمتين يراد بهما ــ فعـلا مدلولهما اللغوى ، لكن حكمه عليهما بأن مدلولهما ارادة التشبيه بهمـا بهـذا الاطـلاق

---

(٢٤٠) البحر المحيط ٧/٥١٠ .

لا يستقيم ؛ كما أن اثبات المثل لله تعـالى محال ان كان على سـبيل القطع والتحقيق • أما على سبيل الفرض فجـائز لأن افتراض الوجود هو فى حقيقته اثبات للانتفاء ، فليس الاثبات على سبيل الفرض محالا• والله أعلم •

١١٤ ـ قال تعالى : « وحور عين • كأمثال اللؤلؤ المكنون »(٢٤١)•

يشبه الله تعـالى الحور باللؤلؤ فى شـدة البياض والصـفاء وقد اجتمع فى الآية أداة التشبيه (الكاف) وكلمة (مثـل) بصيغة الجمع التى تفيـد المماثلة فى الذات والصـفات • وبنـاء على ما أكدنا ذكره عنـد الحـديث عن آية سـورة الشورى السابقة من اختلاف دلالة الكلمتين فانه لا يمكن القول بزيادة احداهما فى هـذه الآية •

والنكتة من مجىء الكلمتين معـا ـ والله أعلم ـ أنه لما كان أصل دلالة كلمة (مثل) الاتفـاق فى الجنس والصـفة • والحور العـين واللؤلؤ مختلفين جنسـا متفقين صـفة : جـاءت الكاف للدلالة على المشابهة بينهما فى الصـفة دون الجنس ؛ كما لو قلنا فى غير القـرآن الكريم : حور كاللؤلؤ • ودلت صيغة الجمع (أمثال) على ما لا تدل عليـه الكاف من تماثل أفراد كل طرف مع بعضـها وتشاكلها فى الحسن من جميع الجوانب مقـابلة فى أوصافها أفراد الطرف الآخر •

وهـذا شىء لا نجده الا فى القـرآن الكريم ؛ مما يستحيل معه القول أن كلمة منه لا تنفرد بمعنى خاص بها عن أخواتها وهى فى موضع الزيادة تأكيدا لها • لكنـه ـ أى هـذا القول ـ كثيرا ما يجوز فى كلام البشر • كما هو واضـح فيما ذكرناه من شـواهدهم تدليلا على زيادة

---

(٢٤١) سورة الواقعة ٢٢ ـ ٢٣ •

الكاف ، وقد لا تخفى الزيادة فى قول الأعشى من قصيدته التى يمدح فيها الرسول ﷺ :

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنك لم ترصد لما كان أرصدا(٢٤٢)

فقوله : (كمثله) الكاف فيه زائدة أملت عليه هذه الزيادة ضرورة البيت • ولو فتشنا عن معنى يزيد باحدى الكلمتين عن الأخرى فلن نجد •

يبقى لنا الاشارة الى أن فيه آيات أخرى قالوا فيها بزيادة الكاف ونرى فيما استشهدنا به كفاية فى هذا المطلب(٢٤٣) •

---

(٢٤٢) ديوان الأعشى ٤٦ •

(٢٤٣) انظر على سبيل المثال تفسير آية البقرة ٢٦١ وآية آل عمران ٥٩ فى البحر المحيط ٢/٣٠٣ ، ٤٧٧ وآية البقرة ٢٥٩ فى البرهان للزركشى ٤/٣١٠ •

ثانيهـا ــ الأداة الأخرى «كأن»(١) :

الحرف الآخر الذي يدل على التشبيه (كأن) وقد اختلف فيها ، أبسيطة أم مركبة ؟ في ذلك مذهبـان :

الأول : أنها بسيطة لا تركيب فيها ، وهو مذهب بعض البصرين ، وحكى السيوطي اختيار أبي حيـان له . وعللوا ذلك بجمودها . وبأن التركيب خلاف الأصل ، وبوقوعها في بعض الصـور فيما لا يصح فيه التأويل بالمصـدر المناسب لـ (أن) المفتوحة .

الآخر : أنها مركبة من (الكاف) ومن (أن) المشددة ، نظـراً لما يبـدو من صورتها ، وقد ذهب الى ذلك الخليل ، وسيبويه ، وجمهور البصريين ، والفراء . بل فيه من ادعى عدم الخلاف في تركيبها(٢) .

وقد ذكر ذلك سيبويه في عـدة مواضع من كتابه ، من ذلك قوله : « سألت الخليل عن (كأن) فزعم أنهـا (ان) لحقتهـا (الكاف) للتشبيه ، لكنها صـارت مع (ان) بمنزلة كلمة واحـدة ... »(٣) .

---

(١) شـواهد (كأن) في القرآن الكريم أربعون شـاهدا وقعت في سبع وثلاثين آية وكررت في ثلاث آيات منهـا . وشـواهدها ثقيـلة خمسة وعشرون شاهدا ، ومخففة تسعة شواهد ، ومكفوفة بـ (ما) ستة شواهد ، سنذكرها جميعها بعون من الله تعالى ، على حسب الغرض، لكن لا على سبيل ذكر جميع شواهد الغرض في موضعه ، منعا للاطالة بالتكرار ، وما سيعاد الاستشهاد به سيوضع رقمه بين معقوفين ، والله المستعان .

(٢) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣ وجمع الجوامع ١٣٣/١ ومغني اللبيب ١٦٤/١ .

(٣) الكتاب ١٥١/٣ وانظر صفحة ١٦٤ ، ٣٣٢ .

وقال ابن جنى فى (كأن زيدا عمرو) : « اعلم أن أصل هذا الكلام زيد كعمرو ، ثم انهم بالغوا فى تأكيد التشبيه فقدموا حرفه الى أول الكلام عناية به ، واعلاما بأن عقد الكلام عليه : فلما تقدمت (الكاف) وهى جارة لم يجز أن تباشر (ان) لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل ، فوجب لذلك فتحها ، فقالوا : كأن زيدا عمرو »(٤) .

ومسلك الخطيب فى التلخيص والايضاح عند حديثه عن ادوات التشبيه وذكره (الكاف) و (كأن) يحتمل كون (كأن) عنده بسيطة ، ليست (الكاف) أصلها ، أو أنها مركبة من كاف التشبيه و (كأن) (٥) .

(معانى كأن) :

ذكر أهل اللغة لكلمة (كأن) أربعة معان :

التشبيه ، والظن ، والتحقيق ، والتقريب . والذى يعنينا فى هذه الدراسة معنى التشبيه ؛ لكننا سنذكر المعانى الأخرى لنقف على ما أجاب به العلماء لارجاعها الى معنى التشبيه .

(معنى التشبيه)

المشهور المتفق عليه عند الجمهور أن (كأن) تفيد التشبيه مطلقا(٦) ؛ ولا معنى لها غيره عند البصريين . قال به الخليل ، وسيبويه ، والمبرد ، ابن جنى ، وذكره ابن هشام ، والمرادى ، والسيوطى ، وهم يؤولون كل الأمثلة التى قيل : ان (كأن) فيها تفيد

---

(٤) الخصائص ٣١٧/١ .

(٥) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣ وعروس الأفراح ٣٩٦/٣ .

(٦) أى دون نظر الى كلام الزجاج وغيره من التفصيل الذى سنذكره .
انظر الأطول ٨٨/٢ .

معنى آخر ويرجعونها الى التشبيه(٧) .

ومن شواهد التشبيه بـ (كأن) :

١ ـ قول الله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »(٨) .

يشبه الله تعالى المؤمنين حال القتال والوقوف صفا واحدا بالبنيان المرصوص فى الاستواء والتماسك . ويجوز أن يكون فى استواء النيات والثبات عليها .

(معنى الظن)

ذهب الكوفيون وجماعة منهم الزجاجى (تلميذ الزجاج) وابن الطراوة ، وابن السيد الى أن (كأن) لا تكون للتشبيه الا اذا كان خبرها اسما جامدا ، مثل : كأن زيدا أسد . أما اذا كان خبرها جملة أو شبهها ، أو صفة فهى للظن والحسبان ، مثل : كأن زيدا قائم ، أو يقوم ، أو فى الدار ، أو عندك .

وقال الامام عبد القاهر : « كأن وحسبت وخلت، وظننت تدخل اذا كان الخبر والمفعول الثانى أمرا معقولا ثابتا فى الجملة ، الا أنه فى كونه متعلقا بما هو اسم (كأن) أو المفعول الأول من حسبت مشكوك فيه، كقولنا : كأن زيدا منطلق أو مجاز يقصد به خلاف ظاهره ، نحو : كأن زيدا أسد . فالأول على الجملة ثابت معروف ، والغريب هو كون

---

(٧) انظر الكتاب ١٤٨/٣ والمقتضب ١٠٨/٤ والخصائص ٣١٧/١ ومغنى اللبيب ١٦٢/١ والجنى الدانى ٥٧٠ وهمع الهوامع ١٣٣/١ .

(٨) سورة الصف ٤ .

(٩) ينظر الكشاف ٩٧/٤ .

زيد اياه ومن جنسه »(١٠) ٠

وقد حكى السعد ما يره الزجاج من أن (كأن) تكون للتشبيه عندما يكون خبرها جامدا ، وللظن عندما يكون خبرها مشتقا(١١) ٠ وذكر ـ أيضا ـ رأى الجمهور ، ثم رأى أن الحق فى القول بمجيئها للظن سواء كان الخبر مشتقا أو جامدا ، وكثرته فى كلام المولدين(١٢) ٠

وحاصل القول أن فيها تبعا لما ذكروه ثلاثة آراء :

الأول : أنها للتشبيه مطلقا ، سواء كان خبرها جامدا أو مشتقا ٠

الثانى : أنها للتشبيه ان كان خبرها جامدا وللظن ان كان خبرها مشتقا ٠٠

الثالث : أنها قد تجىء للظن مطلقا ، سواء كان خبرها مشتقا أو جامدا ٠

(مناقشة القول بمجيئها للظن) :

(الظن مع الخبر المشتق) :

قد يبدو من الرأيين الثانى والثالث السابقين أن المدخل الى القول بمجىء (كأن) للظن عندما يكون الخبر مشتقا وعندما يكون جامدا ـ

---

(١٠) أسرار البلاغة ٢٦٦ ، ٢٦٧ وانظر ماحكيناه عن الكوفيين ٠ الجنى الدانى ٥٧٢ ومغنى اللبيب ١٦٣/١ وعروس الأفراح ٣٩٢/٣ ٠

(١١) مما ذكرناه قبل نعلم أن الزجاج لم ينفرد بهذا التفصيل كما هى دعوى العصام انظر الأطول ٨٨/٢ ٠

(١٢) ينظر المطول ٣٢٨ والرأى الأخير الذى ذكره السعد ينسب الى أبى يحيى زكريا الأنصارى فى كتابه:فتح منزل المعانى بشرح أقصى الأمانى فى البيان والبديع والمعانى ط الجمالية بمصر ١٩١٤م ـ عن كتاب الحروف العاملة فى القرآن الكريم ١١٧ د/ هادى عطية ٠

واحد فيهما • لكن إمعان النظر يدل على أن المدخل اليه فيهما مختلف ، بل ان طبيعة الظن فيهما ـ أيضا ـ مختلفة ، ذلك لأن الحامل على القول بالظن عندما يكون الخبر غير جامد فى مثل : كأن زيدا قائم ـ امتناع أن يكون المشبه والمشبه به شيئا واحدا ، لأن التشبيه فى المثال تشبيه للشىء بنفسه ، لأن القائم هو زيد ، لكون الخبر المشتق عين المبتدأ ، لأن ضمير المشتق عين الاسم ، والمشتق عين الضمير • ـ

لذا يتعين أن تكون الجملة مفيدة الشك فى وقوع الخبر هروبا من هذا المحظور ، وتكون (كأن) خرجت عن معناها الأصلى الذى هو الدلالة على التشبيه الى معنى الشك ، أو أنها استعملت فى الشك ، لكونها وضعت له وللتشبيه • ـ

وطبيعة الشك هنا هى كون الخبر مشكوكا فى وقوعه للمبتدأ الذى هو اسم (كأن) وهذا بين الوضوح • وطريق التفصى عن هذا المحذور الذى دفع الى القول بعدم دلالة (كأن) على التشبيه وجعلها للظن فى الجمل التى خبرها مشتق أو جملة أحد الوجوه الآتية :

(الوجه الأول) تأويل المثال المذكور ـ وما هو من قبيله ـ وارجاعه الى التشبيه ، بتقدير موصوف محذوف ، لأن أصل المعنى فى المثال :

كأن زيدا شخص قائم ، فالمشبه والمشبه به متغايران ، ولما قام الوصف مقام الموصوف وصار كأنه الخبر بعينه ، عاد ضمير الوصف على اسم (كأن) لا على الموصوف المقدر ، وروعى فيه ما يناسب اسم (كأن) لجريانه عليه بحسب الظاهر ، كما تقول : كأنى أمشى ، وكأنك تمشى ، لأنه او رجع الى الأصل لقلنا : يمشى فى المثالين مراعاة للموصوف المحذوف ، لأن الأصل : كأنى رجل يمشى ،

وكأنك رجل يمشى(١٣) .

٢ ــ قال الله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١٤) .

قوله (كأنك حفى عنها) تشبيه جاء فيه المشبه به وصفا مشتقا . قال الراغب :« الإحفاء فى السؤال التنزع فى الإلحاح فى المطالبة أو فى البحث عن تعرف الحال »(١٥) والمعنى : كأنك عالم بها ، أو كأنك تعلمها ، أو كأنك مجتهد فى السؤال عنها معتن بشأنها ، مكثر السؤال عنها . قال الزمخشرى : « كأنك عالم بها ، وحقيقته : كأنك بليغ فى السؤال عنها »(١٦) .

والتشبيه ليس تشبيها للرسول بنفسه فى صفة الاجتهاد فى السؤال عن الساعة لمعرفة وقتها ، لأنه لم يكن منه ﷺ ذلك ، ولتعين اختلاف المشبه والمشبه به ذاتا أو حالا . فالتشبيه هنا قائم على تقدير موصوف محذوف ، والمعنى : أى أنت ــ وهم يكثرون سؤالك عنها ــ تشبه إنسانا عالما بها معتنيا بأمرها يسألونه عنها . وعليه فليس المشبه والمشبه به متحدين .

(الوجه الثانى) أنه لا مانع من كون المشبه والمشبه به شيئا

---

(١٣) ينظر مواهب الفتاح : شروح ٣٨٦/٣ وحاشية الأمير على مغنى اللبيب ١٦٣/١ .

(١٤) سورة الأعراف ١٨٧ .

(١٥) المفردات فى غريب القرآن ١٢٥ وانظر لسان العرب ٩٣٦ .

(١٦) الكشاف ١٣٤/٢ وانظر جامع البيان ١٤٠/٩ والبحر المحيط ٤٣٥/٤ .

ما دام الاعتبار مختلفا ، بأن يكون الشئ شبه بنفسه باعتبار حالين مختلفتين •

فالقائل : كأن زيدا قائم ، يكون مشبها له فى حال الجلوس لطول جذعه بحاله وقت القيام : وكذلك قولك : كأنه نائم ، تشبيه له حال اليقظة به حال النوم لعدم تنبهه لما يقال له ، وهكذا(١٧) •

٣ ــ قال تعالى : « يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون »(١٨) •

(كأنهم الى نصب يوفضون) يشبه الله تعالي سرعتهم وجريهم يوم القيامة مجيبين الداعى بسرعتهم عندما كانوا يجرون مسرعين الى أنصابهم فى الدنيا • فالمشبه والمشبه به واحد لكنه اختلف باعتبار الحالين لأنهم شبهوا فى حالتهم يوم القيامة بحالتهم التى كانوا عليها فى الدنيا • فلا ضير اذا من عقد التشبيه والخبر فعل لصحته بهذا الاعتبار الذى بيناه • ومن شواهد ذلك فى الشعر قول زهير :

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله(١٨)

جاء الخبر فى جملة التشبيه (كأنك تعطيه) فعلا وذلك بتشبيه المخاطب حال الأخذ من الممدوح به حال إعطائه الممدوح فالتشبيه لشىء واحد بحالين مختلفين ، ثم يتبع هذا التشبيه تشبيه حال الممدوح عند عطائه وفرحه به بحاله عندما يكون هو الآخذ على حد سواء •

---

(١٧) انظر الجنى الدانى فى حروف المعانى ٥٧٢ ، ٥٧٣ •
(١٨) سورة المعارج ٤٣ •
(١٨) البيت فى الشعر والشعراء ١٣٩ •

(الوجه الثالث) أننا نقول للذين قالوا : ان (كأن) تكون للشك عندما يكون خبرها وصفا أو فعلا : ماذا تقولون في شواهد القرآن الكريم التي جاء فيها الخبر كذلك وليست حكاية لقول بشر ، وإنما هي اخبار من الله تعالى واعلام بالتشبيه فيها ؟

واذا كان لا يمكنهم القول بالشك فيها فهذا دليل قاطع لرفض ما ذهبوا اليه . من شواهد ذلك .

٤ ـ قوله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون »(١٩) .

جاء الخبر (لا يعلمون) فعلا ، والمشبه والمشبه به واحد وهم أهل الكتاب ؛ لكنهم شبهوا بأنفسهم باعتبار حالين مختلفتين ، حال العلم وحال الجهل ، وكلام الزمخشري يفيد ذلك ؛ قال : « كأنهم لا يعلمون ــ أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك ، يعني أن علمهم بذلك رصين ، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم »(٢٠) .

ويميل أبو حيان في تفسيره الى تقدير موصوف محذوف ــ كما ذكرنا في الوجه الأول ــ يقول : « هو تشبيه لمن يعلم بمن يجهل ؛ لأن الجاهل بالشيء لا يحفل به ، ولا يعتد به ، لأنه لا شعور له بما فيه من المنفعة »(٢١) .

وكلام الزجاج في الآية يدل على عدم ذهابه الى أن (كأن) للظن قال : « كأنهم لا يعلمون ــ أعلم أنهم علماء بكتابهم ، وأنهم رفضوه

(١٩) سورة البقرة ١٠١ .
(٢٠) الكشاف ١/٣٠٠ .
(٢١) البحر المحيط ١/٣٢٥ .

على علم به ، وعداوة للنبى ـ ﷺ ـ وأعلم أنهم نبذوا كتاب الله »(٢٢) .

هذا هو المناسب لكون الكلام من الله تعالى وأن (كأن) فى الآية للتشبيه .

(الظن مع الخبر الجامد) قلنا : ان المدخل الى الظن وطبيعته عندما يكون الخبر مشتقا يختلفان عنهما عندما يكون الخبر جامدا ، وبينا هناك مدخله وطبيعته ، أما المدخل الى الظن عندما يكون الخبر جامدا وطبيعته فهو تمكن الشبه بين المشبه والمشبه به لتمام القرب بينهما والمماثلة فى أخص صفاتهما . يجلى لنا ذلك شواهد القرآن فى الآيات الآتية :

٥ ـ قال تعالى : « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون(٢٣)

٦ وقال تعالى : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين »(٢٤) .

(كأنها جان) فى الآيتين تشبيه للعصا بالثعبان الغليظ ، وتصوير لإحساس موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ بهذا الشبه الذى تمكن منه ، حتى كاد يعتقد أن العصا قد خرجت عن طبيعتها الجمادية الى الحيوانية ، فصارت حية فعلا ، بدليل أنه (ولى مدبرا ولم يعقب) فالظن هنا احساس بكمال المشابهة ، وليس

---

(٢٢) معانى القرآن واعرابه ١/١٥٩ .
(٢٣) سورة النمل ١٠ .
(٢٤) سورة القصص ٣١ .

هـو الظن هنالك الذي هـو أضعف عما هنا في الاحســاس بهــذه المشــابهة .

وقد يكون المشبه هو المشبه به فعلا فمرتبته اليقين الذى لا شك فيه ، لكن تكتنفه هذا اليقين شــواهد غير معهودة تنشر ضبابها الملبس الكثيف ، فتحول دون الحقيقة وتدلف النفس الى التشبيه وفي رؤاهــا الخــافتة ضــوء هذا اليقين . من شواهد ذلك .

٧ ــ قول الله تعالى: « فلما جــاءت قيل أهكذا عرشــك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين »(٢٥) .

قوله تعالى حكاية عن بلقيس (كأنه هو) تشبيه لما تراه أمامهــا بعرشها الذى تعهده لــا بينهما من الشبه البالغ الذى يكاد يصير بهــما شيئا واحدا عندها .

فهى « لــا رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميزت فيه أشــياء من عرشها لم تجزم بأنه هو ، ولا نفته النفى البالغ ، بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت : كأنه هو ...»(٢٦) فالتشبيه في الآية له دلالته ــ بمساعدة المقام ــ على تمام المشابهة وكمالها الى درجة قرب اعتقاد أن المشبه والمشبه به ليسا شيئين وانما هما شيء واحد .

بهذا نكون قد أوضحنا الفرق بين الظن عندما يكون الخبر مشتقا ، والظن عندما يكون الخبر جــامدا .

الظن مع المشتق ــ على القول به ــ خروج بالشواهد عن التشبيه الى التردد في وقوع الخبر وصــفا أو فعــلا .. أما مع الجامد فهو

---

(٢٥) سورة النمل ٤٢ .
(٢٦) البحر المحيط ٧/٧٨ .

احساس بقوة المشابهة ، وأنها بلغت حدا يظن معها أن المشبه هو المشبه به ٠

والقول بأن (كأن) قد تجيء للظن مطلقا سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا — كما ذكرناه سابقا عن السعد — هو تنفيق بين الظنين فيهما لأنها لم تجيء للظن الا مع الخبر الجامد ، بالمعنى الذى بيناه وان كانت قد جاءت بمعنى الظن عندما يكون مشتقا ، فان هذا المجيء — كما قيل — خاص بكلام المولدين(٢٧) ٠

وعلى هذا فالمسافة بين الظنين واسعة تحتاج الى تنبه ٠

معنى (التحقيق) :

ذهب الكوفيون والزجاجى الى أن (كأن) قد تأتى للتحقيق لا للتشبيه ٠

واستدلوا لذلك بقول الشاعر :

فأصبح بطن مكة مقشعرا   كأن الأرض ليس بها هشام

أى : ان الأرض ، ووجه الاستدلال بالبيت كونه فى رثاء هشام ، وهو ليس فى الأرض حقيقة ، أى على ظهرها ٠ عندئذ لا يتأتى التشبيه لأن التشبيه يقتضى أن يكون فيها ، فلما انتفى المقتضى (بفتح الضاد) انتفى التشبيه ، وصار المعنى المفاد بـ (كأن) التحقيق ،

---

(٢٧) جاء فى منار السالك على أوضح المسالك (٢/٢٠٨) عند الحديث عن حذف (أن) الناصبة وجوبا بعد فاء السببية وواو المعية المسبوقتين بنفى أو طلب محضين أن من قبيل ذلك أن تكون مسبوقة بتشبيه بمعنى النفى ، مثل : كأنك وال علينا فتشتمنا ، بمعنى ما أنت وال ، وهذا يحتاج الى نظر فى كون هذه القاعدة مبنية على كلام واستعمال عربى قديم ، أم على كلام مولد ؟

واستصحبوا معه بدلالة المقام معنى التعليل من جهة كون الكلام معها فى المعنى جواب عن سؤال مقدر عن العلة ، مثل قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم) (٢٨) أى لأن الأرض ..

وقد أجيب بعدة أجوبة تدل على أن معنى التشبيه باق :

الأول : أن يكون المراد بالكون فى الأرض الكون ببطنها ، وعليه يستقيم التشبيه ، لأن الأرض عندئذ تكون قد شبهت عندما اقشعرت مع وجوده فى بطنها بنفسها عند عدم وجوده قبلها .

الثانى : أن يكون المراد بهشام هو أو من يخلفه ، فشبهت الارض بحالها عند عدمه وعدم من يخلفه معا ، مع أن الواقع وجود خلفه . وهذا مبناه المبالغة ، بادعاء عدم سداد غيره مسده . وهذا التعليل واضح بعده .

الثالث : — وهو خاص بالسيوطي — أن يكون من باب تجاهل العارف اشارة الى ما أصابه من دهشة جعلته لا يصدق أنه مات فعلا (٢٩) .

الرابع : أن (كأن) فى البيت ليست مفردة (أى بسيطة) وانما هى مركبة من الكاف المرادفة للام فى الدلالة على التعليل ، ومن (أن) المؤكدة . فهى كلمتان لا كلمة واحدة . كأنه قال : لأن الأرض ليس بها هشام ، وجعلوا نظير ذلك الآية الآتية :

٨ — قال تعالى : « وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون

---

(٢٨) سورة الحج ١ .

(٢٩) ينظر الجنى الدانى ٥٧٠ ومغنى اللبيب وحاشية الأمير ١٦٣/١ وهمع الهوامع ١٣٣/١ .

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشــاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون »(٣٠) .

فالمعنى على هذا : أعجب لعــدم فلاح الكافرين (٣١) .

وبهذا الجواب لا تكون (كأن) للتشــبيه ولا للتحقيــق . وانما هى مركبة ، والكاف بمعنى اللام .

لكن يضعف القول بتركيب (ويكأن) فى الآية والبيت، وأن الكاف للتعليــل أمــران :

الأول : مجيئها مخففة فى بعض المواضع كما فى قول زيد بن عمرو ابن نفيــل :

ويــكأن من يكن له نشب يحـ بب ومن يفتقر يعش عيش ضر(٣٢)

الثانى : أن اعتبار الكاف فى البيت ، وفى الآية للتعليل على حــد القول بأنها للتعليل فى قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم »(٣٣) فيه تكلف ، لأن التشبيه فيها ممكن(٣٤) .

قال سيبويه : « سألت الخليل ــ رحمه الله تعالى عن قــوله : (ويكأنه لا يفلح الكافرون) وعن قوله تعــالى جده : (ويكأن الله) فزعم أنها (وى) مفصــولة من (كأن) والمعنى وقع على أن القوم

---

(٣٠) سورة القصص ٨٢ .

(٣١) فى البحر المحيط جمهرة من الآراء فى (ويكان) ١٣٥/٧ وانظر الجنى الدانى ٥٧٢ .

(٣٢) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٢٧ .

(٣٣) سورة البقرة ١٩٨ .

(٣٤) تنظر حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٣٩/٢ .

انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا فقيل لهم . أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ، والله تعالى أعلم »(٣٥) .

وقال الزمخشري : « ويكأنه لا يفلح الكافرون – أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح ، وهو مذهب الخليل وسيبويه »(٣٦) .

وهكذا تجلى وضوح التشبيه في الآية والأمثلة التي ذكروها في معنى التحقيق .

معنى (التقريب) :

ذهب الكوفيون الى أن (كأن) قد تأتي للتقريب . أي افادة قرب وقوع الخبر ، مثل قولهم : كأنك بالشتاء مقبل ، وكأنك بالفرج آت ، وقول الحسن البصري : كأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل ، فالمعنى اخبار بقرب اقبال الشتاء ، واتيان الفرج ، وزوال الدنيا ، ووجود الآخرة(٣٧) .

وبعد أن يحكي المرادي هذا المذهب وهذه الشواهد يقول : « والصحيح أن (كأن) في هذا كله للتشبيه ، وخرج القاري هذه المثل على أن الكاف في (كأنك) للخطاب ، والباء زائدة ، والشتاء والفرج والدنيا والآخرة اسم (كأن) والتقدير : كأن زمانك بالشتاء مقبل وكأن زمانك بالفرج آت .... ويتأول قول الحسن البصري على أن الكاف اسم (كأن) ولم تكن خبرها ، وبالدنيا – متعلق

---

(٣٥) الكتاب ١٥٤/٢ .

(٣٦) الكشاف ١٩٢/٣ .

(٣٧) ينظر المغني وحاشية الأمير ١٦٤/١ .

بالخبر . والتقـــدير : كأنك بالدنيـــا ، والضمير فى تكن للمخاطب .وتكن تامة ، ويحتمل أن تكون ناقصـــة ، والتشبيه فى الحقيقة للحالين »(٣٨) .

وتكون استـــتفادة القرب فى الأمثلة راجعـــة الى كون الخبر موثوقا فى وقوعه بقـــرائن أخرى ، وليس للتشبيه مدخل فى افادته . أى أن (كأن) باقيـــة الدلالة على التشبيه وليس القرب من دلالتها الوضعية .

ومن شواهد القرآن الكريم لدلالة (كأن) على التشبيه واستفادة معنى القرب من قرائن المقام والسياق الآيات الآتية :

٩ ــ قال تعـــالى : « الذين كذبوا شـــعيبا كأن لم يغنـــوا فيهـــا الذين كذبوا شـــعيبا كانوا هم الخاسرين »(٣٩) .

قوله تعـــالى : (كأن لم يغنـــوا فيهـــا) تشبيه لحال اهلاكهم واستئصالهم بحـــال فرض عدم وجودهم من أســـاسه ، وهـــذا ابلغ فى الدلالة على تحقيق استئصالهم على جهـــة الكمال حيث لم يترك لهم أثر البتـــة .

وللسياق والمقام أثرهما فى افادة قرب وقت هذا الهلاك من وقت تكذيبهم ، إذ ابتدأت الآية بهم بوصف التكذيب (الذين كذبوا شعيبا) ثم طوت الاخبار عنهم بالاهلاك وساقت الخبر للمبتدأ (جملة التشبيه) لبيـــان حالهم بعـــد هذا الهلاك فدل ســـياق الآية على قـــرب اهلاكهم من تكذيبهم وكذلك للغرض فى الآية دلالة على ذلك اذ فيهـــا بيـــان لقرب عقوبة المكذبين ، زجرا لهم عن ضلالهم والله أعلم .

١٠ ــ قال تعـــالى : « انمـــا مثل الحيـــاة الدنيا كماء انزلنـــاه

---

(٣٨) الجنى الداني فى حروف المعانى ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(٣٩) سورة الأعراف ٩٢ .

من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »(٤٠) .

قوله تعالى : (كأن لم تغن بالأمس) تشبيه حال هلاك الدنيا بحالها عندما لم تكن موجودة . أي كأنك بالدنيا لم تكن .

قال أبو حيان : « يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي لسرعة انتقاله من حالة الوجود الى حالة العدم ، كأن حالة الوجود ما سبقت »(٤١) .

فالأداة (كأن) دلت على التشبيه واستفيد القرب من المقام والسياق .

١١ ــ قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »(٤٢) .

(كأنه ولي حميم) دلت (كأن) على تشبيه من يقابل على سيئته بالحسنة بالحميم والصديق أي بصيرورته الى ذلك أو قريب منه .

وكلام العلماء يدل على أن الأحوال في مثل ذلك لا تتحقق فيها الولاية الكاملة وان قاربت .

قال أبو حيان : « قال ابن عطية : دخلت (كأن) للتشبيه ، لأن

---

(٤٠) سورة يونس ٢٤ .

(٤١) البحر المحيط ١٤٤/٥ وتجد معنى القرب أيضا في الآيات من يونس ٤٥ وهود ٦٨ ، ٩٥ .

(٤٢) سورة فصلت ٣٤ .

الذى عنده عداوة لا يعود وليا حميما ، وانما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولى الحميم »(٤٣) .

لكن دليل عدم عوده وليا حميما الأحوال والعادات التى جبل عليها الناس ، فليس للأداة دلالة على ذلك ، وانما طريقه قرائن أخرى غير (كأن) والله أعلم .

مزية التشبيه بـ (كأن) :

تتميز (كأن) عن (الكاف) فى التشبيه بهما بما يأتى :

أولا : ان التشبيه بـ (كأن) فيه من المبالغة والتأكيد ما لا يكون مع (الكاف) لذا فهى تستعمل حيث يقوى الشبه ، حتى يكاد الرائى يعتقد أن المشبه هو المشبه به ، لا غيره ، ولذا قالت بلقيس عندما رأت العرش (كأنه هو) (٤٤) .

ومبنى هذه المزية على الفرق بين قولنا : زيد كالأسد ، وقولنا : كأن زيدا أسد ، فان الأول فيه تحقيق لالحاق الناقص بالكامل ، واتيان بالتشبيه بعد مضى صدره على الاثبات ، أما الثانى فمبنى على التشبيه من أول الأمر ، والمسارعة الى تحقيق التشبيه ليتبادر ذهن السامع اليه ، واعلام بأن تحقيق الأسدية له عن طريق التشبيه لا غير (٤٥) .

يذكر الامام عبد القاهر ـ رحمه الله ـ هذه المزية فى معرض حديثه عن تميز الأساليب بالنظم والصياغة قائلا : « فان قلت : فاذا

(٤٣) البحر المحيط ٤٩٨/٧ .

(٤٤) آية النمل ٤٢ وقد سبق الاستشهاد بها رقم ٧ .

(٤٥) ينظر الخصائص ٣١٧/١ وعروس الأفراح ٣٩٤/٣ .

أفادت هـذه ـ أي العبـارة ـ مالا تفيده تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد ، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين ، قيل لك : ان قولنـا (المعنى) في مثل هـذا يراد به الغرض ، والذى أراد المتكلم أن يثبتـه أو ينفيه • نحو أن نقصـد تشبيه الرجل بالأسد فنقول : زيد كالأسد ، ثم تريد هـذا المعنى بعينـه ، فتقول : كأن زيدا الأسد ، فتفيد تشبيهه ـ أيضا ـ بالأسـد ، الا أنك تزيد فى معنى تشبيهه به زيادة لم تكن فى الأول وهى أن تجعله من فرط شجاعته ، وقوة قلبه ، وأنه لا يروعه شىء بحيث لا يتميز عن الأسـد ، ولا يقصر عنـه ، حتى يتوهم انه أسـد فى صورة آدمى • واذا كان هـذا كذلك ؟ فانظر هل كانت هذه الزيادة وهـذا الفرق الا بما توخى فى نظم اللفظ وترتيبه ، حيث قـدم (الكاف) الى صـدر الكلام مع (ان) ••• »(٤٦) •

فالمبالغة فى التشبيه ناشـئة عن تقديم الكاف وصيرورة المشـبه داخلا فى جنس المشبه به وفردا من أفراده بحكم الاخبـار بالمشبه به عن المشـبه • وأكد هـذا الاثبات مجىء (أن) والاعلام من أول الأمر عن طريق تقـديم الكاف بأن عقد الكلام على التشبيه فتمت المبالغة فى التشبيه وتأكيده بهـذه الطرائق تأكيدا لا يكون مع الكاف •

وهـذا التأكيد الحاصـل من قولك : كأن زيدا أسـد ، يقترب من التأكيد الحاصـل عند عدم وجود الأداة مطلقا ، مثل قولك : زيد أسـد • بيـان ذلك : أن توسـط الأداة بين الطرفين مشعر بدلالتهـا على تغاير الطرفين أكثر من وجودها فى أول الكلام ، لأن قولك : زيد كالأسـد ، تشبيه صريح كأنك قلت : زيد كائن كالأسـد ، أما قولك : أن زيدا كالأسد ففيـه تحقيق لاثبات الحاق الناقص بالكامل • وعندما

---

(٤٦) دلائل الاعجاز ١٦٨ •

يزيد الاهتمام بالتشبيه الذى عليه عقد الكلام ويراد تأكيده نقدم أداته ، وتبقى دلالتها على التشبيه التى كانت معها عندما كانت متوسطة، لكنها عندئذ غير متعلقة بفعل أو ما فى معناه ، لأنها فارقت الموضع الذى يجيء لها التعلق به ، وصار ما تفيده الجملة عندئذ خلاف ما كانت تفيده قبل تقديم الكاف . وهو الاعلام بأن تحقيق الأسدية لزيد انما هو طريق التشبيه لا غير(٤٧) .

وأبلغ هذه الشواهد فى تأكيد التشبيه والحكم به قولنا ان زيدا أسد ، فهو آكد من قولنا : زيد أسد مما فيه اخبار بتشبيه مؤكد ، وزيد أسد أبلغ فى التشبيه من كأن زيدا أسد ، لأن مجيء الكاف اعلام بأن بناء الكلام على التشبيه ، خلافا لقولنا : زيد أسد ، لكون المشبه فى ظاهر اللفظ هو المشبه ، وكأن زيدا أسد أبلغ من : أن زيدا كالأسد ، لأن توسط الأداة بين الطرفين أكثر اشعارا بالتشبيه من وجودها فى أول الكلام ، وان زيدا كالأسد ، فيه من تأكيد الحكم بالمشابهة أكثر من : زيد كالأسد(٤٨) .

ومن شواهد هذه المبالغة فى التشبيه وتأكيده فى القرآن الكريم ما يأتى :

١٢ ـ قال تعالى : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »(٤٩) .

(كأنه ظلة) أخبر الله تعالى أنه رفع جبال الطور على بنى

---

(٤٧) ينظر سر صناعة الاعراب ١/٣٠٣ وشرح المفصل ٨/٨١ وعروس الافراح ٣/٣٩١ .

(٤٨) هذا الذى ذكرناه يخالف ما يراه البهاء السبكى انظر عروس الافراح ٣/٣٩٤ .

(٤٩) سورة الأعراف ١٧١ .

اسرائيل ، ولما كان رفعه لا تجرى به العـادة وكان فى مدى تمكنه من رؤوسهم خفـاء شبه الله ذلك بما تجرى به العادة وهو رفع المظلة فوق الرءوس فأكد هـذا التشبيه الشبه بين الجبـل وبين المظلة حتى صار المشبه كالمشبه به فى اشتمالة عليهم ، وتقرر بذلك المعنى المراد • والله أعـلم •

١٣ ـ قال تعـالى يصف الريح التى أرسـلها على قوم عـاد : « انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر • تنزع الناس كأنهم أعجـاز نخـل منقعـر »(٥٠) •

(كأنهم أعجـاز نخـل منقعر) يصـف الله جل وعلا هؤلاء فى تساقطهم بالريح القاتلة بأنهم كأعجاز نخل قلع من جـذوره • وهذا التشبيه بما صاحبه من الفعل (تنزع) ووصف النخل بـ (منقعر) والتشبيه بالأعجاز لا بالنخلة كلها وأداة التشبيه (كأن) كل ذلك يؤكد المشابهة بين هؤلاء والنخل المقلوع من مغارسه • ونظيرها ـ أيضا ـ .

١٤ ـ قول الله تعـالى فيهم ـ أيضا ـ : « سخرها عليهم سبع ليـال وثمانيـة أيام حسـوما فترى القوم فيهـا صرعى كأنهم أعجاز نخـل خـاوية »(٥١) •

(صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) تأكيد اشبههم بالنخل فى الخلو من عنصر الحيـاة ، لأنه تخرج أرواحهم عند الفزع والنخل يمنـيها الخواء بالترك مقطوعة •

ودقة النظم فى القرآن الكريم تريناعجبا حيثما نظرنا وتدبرنا ، فنجد هذه الآية بعـد أن وصفتهم بالصرع الذى به تخـلو أجسامهم

---

(٥٠) سورة القمر ١٩ ، ٢٠ •

(٥١) سورة الحاقة ٧

من أرواحهم ترد على هـذا الصـدر عجزها بكلمة (خاوية) وهكذا جاء قران الآية التى قبلها ، اذ صدرت بكلمة (تنزع) وجاء فى عجزها وصف النخل بكلمة (منقعر) لأن النزع والانقراع بمعنى ، وقد تعلق النزع فى الصـدر بالناس ، والانقراع فى العجز بالنخل لأنهما فى الشبه سـواء •

١٥ ــ قال تعـالى : « واذا رأيتهم تعجبـك أجسامهم وإن يقولوا تسـمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون »(٥٢) •

يشبه الله تعـالى ــ المنافقين بالخشب المسندة مؤكدا هذا الشبه ، وذلك فى عـدم النفع بهم كما أن الخشب المسندة لا ينتفع بهـا فى جدار أو غيره ، والمجىء بكلمة التشبيه (كأن) لما فى هذا التشبيه من غرابة •

١٦ ــ قال تعـالى : « فما لهم عن التذكرة معرضـين • كأنهم حمـر مستنفرة »(٥٣) •

يشبه الله تبارك وتعـالى الكافرين فى اعراضهم عن الإيمان بالحمر التى تفر وتجرى خوفا مما أفزعها ، أسـد يجرى وراءها أو صـائدا يتبعها ، وأكد سبحانه هذا التشبيه بأداته (كأن) والله أعلم •

ثانيـا : مما يصاحب كون المجىء بـ (كأن) لغرض المبالغـة فى التشبيه وتأكيده أن يكون المشبه محط الاهتمـام عند التشبيه بها(٥٤) لأن المبالغـة فى التشبيه وتأكيده مقتضى حال يكون فيها المشـبه فى

---

(٥٢) سورة المنافقون ٤ •

(٥٣) سورة المدثر ٤٩ ، ٥٠ • •

(٥٤) ينظر شرح الفوائد الغياثية وهوامشه ؛ ففيه اضاءة لهذا المعنى

محل العناية به ، لذا يتعين أن يكون له ــ أى المشبه ــ ذكر سابق ، أو ارتباط بمذكور سابق قبل جملة التشبيه .

وتتبع شواهد (كأن) فى القرآن الكريم بأناة ورفق ، وامعان نظر يجلى هذه الحقيقة ويكشف عن صحتها(٥٥) . من ذلك على سبيل المثال :

١٧ ــ قول الله تعالى : « وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بيض مكنون »(٥٦) .

يخبر الله تعالى بما أعد لأهل الجنة من الحور العين ثم يشبه الحور ببيض النعام فى الأداحى المصون من عبث العابثين . والعرب عندما تشبه النساء فى البياض مع صفرة مستحسنة يشبهونهن بالبيض قال امرؤ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل(٥٧)

وواضح من الآية الأولى أنها تتحدث عن الحور ، فالمقام لهذا الغرض من بيان صفة نساء الجنة والاهتمام بوصفهن . فجاءت (كأن) وللمشبه ذكر فى الكلام السابق .

١٨ ــ وقال تعالى : « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان »(٥٨) .

---

(٥٥) تابع جميع شواهد القرآن الكريم وكلام أهل الطبع فلن تعلم صحة ما أثبتناه .

(٥٦) سورة الصافات ٤٨ ، ٤٩ .

(٥٧) البيت فى الديوان ١١٤ .

(٥٨) سورة الرحمن ٥٦ ــ ٥٨ .

(كأنهن) المشبه وهو (الحور) سبق ذكره فى الآية الأولى .

١٩ — وقال تعالى : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون »(٥٩) .

يشبه الله تعالى الغلمان الذين يخدمون أهل الجنة باللؤلؤ المكنون فى صدفه صفاء ونقاء . ونلحظ هنا ذكر لفظ المشبه قبل عقد التشبيه مما يشعر بأن المقام للحديث عنه . ونظير ذلك أيضا .

٢٠ — قول الله تعالى : « فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر . خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر »(٦٠)

تصور الآيات مشهدا من مشاهد يوم القيامة مشهد خروجهم عند الحشر من قبورهم وأنهم يكونون أشبه شيء بالجراد الذى ينتشر يذهب هنا وهناك لما يأخذ الناس من شدة ذلك اليوم .

وواضح أن المقام مقام بيان حال هؤلاء الناس . وترى الضمائر فى الكلام عائدة اليهم ، وذكرهم ماثل لمن يسمع خبرهم ووصفهم ، فجاءت (كأن) — كما بينا — فى مقام : الحديث فيه عن المشبه محقق وواقع قبل عقد التشبيه ، وهى فى هذا تختلف عن (الكاف) يجلى لنا ذلك النظر الى قوله تعالى : « القارعة . ما القارعة . وما أدراك ما القارعة . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش »(٦١) . ترى فى الآيات الحديث عن يوم القيامة وما يصيب المخلوقات فيه من الأهوال والشدائد ، فيشبه الله تعالى

(٥٩) سورة الطور ٢٤ .
(٦٠) سورة القمر ٦ ، ٧ .
(٦١) سورة القارعة ١ الى ٩ .

الناس عندئذ بالفراش المنتشر ، ويشبه الجبال بالصوف الذى حل تماسكه وأزيل ما بينه من اتصال وتشابك . فترى تشبيه الناس بالفراش جاء بالكاف دون أن يسبق للناس ذكر أو كناية وكذلك انتقلت الآيات الى تشبيه الجبال بأداة التشبيه (الكاف) أيضا . وهذا فهو فرق ما بين الكاف و (كأن) . المشبه مع أداة التشبيه (كأن) هو محط الاهتمام والمقام للحديث عنه ، أما مجيئه مع الكاف فقد يكون تبعا لشئ آخر هو موضع الاهتمام ويكون التشبيه بالكاف تبعا له يؤكد هذا أيضا الشاهد الآتى :

(٢١ – قال تعالى : « انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب . إنها ترمى بشرر كالقصر . كأنه جمالة صفر »(٦٢) .

يأمر الله سبحانه وتعالى – الكافرين أن يتحركوا حركة لا بطء فيها الى شعب النار ، حيث لا يجدون فيها مأوى ولا ظلا يغنيهم فهى نار شديدة ترمى بشرر كالقصر فى ضخامته . وقد جاء التشبيه للشرر بأداة التشبيه (الكاف) دون (كأن) لأن الاهتمام فى الآية مازال مرتبطا بجهنم وشدتها ، ووصفها بما ترمى به من شرر عظيم .

ومن يطلب دليلا واضحا على ذلك فليختبر حسه بالمعنى لو قيل فى غير القرآن الكريم : انها ترمى بشرر كأنه القصر ، فهو – ولا شك – واجد المعنى مختلفا تماما ، لأن فى هذا التركيب انتقالا من الحديث عن جهنم الى الحديث عن الشرر لصيرورته المقصود المهم بالالتفات اليه والتركيز على تأكيد تشبيهه بالقصر عن طريق أداة التشبيه (كأن) وهذا واضح جدا لصاحب الذوق .

---

(٦٢) سورة المرسلات ٢٩ الى ٣٣ .

لكن عندما أعيد الحـديث عن الشرر فى الآية الثانية (كأنه جمالة صفر) بعد التصريح به فى الآية الأولى ، وجعله محل الاهتمام بالعظم والضخامة على سبيل التأكيد والمبالغـة جىء بالأداة الخاصـة بهـذه الدلالة (كأن) •

ومما هو زيادة فى تأكيد ذلك أن ننظر الى الآية الآتية :

٢٢ ــ قال تعـالى : الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصـباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنهـا كوكب درى يوقـد من شـجرة مباركة زيتـونة لا شرقية ولا غربيـة يكاد زيتهـا يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنـوره من يشـاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم »(٦٣) •

فانه لما كان مساق الآية فى قوله تعـالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) للمبالغة فى التشـبيه وتأكيـده ، وكان هـذا ردفا للاهتمام بالمشبه ــ صرح به وهو (الزجاجة) وذلك قبل المجىء بالتشـبيه • وتحقق بذلك ــ أيضا ــ بقـاء التركيز على المصباح فى قوله (المصباح فى زجاجة) كما هو لا يلتفت عنه الى الاهتمام بتشبيه الزجاجة لصيرورة الجملة عندئذ وصـفا يحكم الرابط لو قيل (كأنهـا كوكب درى) •

لكن نظم الآية هكذا ــ أفاد الاهتمام بالاخبـار عن المصباح بأنه فى زجاجة ، ثم الاهتمام بتشبيه الزجاجة بأنها كالكوكب الدرى ، يؤكد ذلك الاحساس بالمعنى لو قلنا فى غير القرآن الكريم : المصـباح فى زجاجة كأنها كوكب درى ، فهو وان أفاد الاخبار بأن المصباح فى زجاجة الا أنه لم يفـد مزيد الاهتمام بهـذا الأخبار وانما لكى يتحقق الوصف للزجاجة بأنها كالكوكب الدرى • والله أعلم •

---

(٦٣) سورة النور ٣٥ •

وإذا لم يكن للمشبه ذكر في الكلام السابق على جملة التشبيه فاننا نجد لفظة يأتي قبل عقد التشبيه وفاء بهذا الاهتمام المناسب للتشبيه بالأداة (كأن) وذلك كما في الآية الآتية :

٢٣ ـ قال تعالى : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم • انا جعلناها فتنة للظالمين • انها شجرة تخرج في أصل الجحيم • طلعها كأنه رءوس الشياطين »(٦٤) •

تعرض الآيات سؤالا موجها الى الكفار عن المنزل الحسن ، منزل المؤمنين أم منزلهم الذى يغذبون فيه بشجرة الزقوم بما لها من سوء منبت وقبح منظر ، وبعد أن ترامى هذا الحديث عن الشجرة وفتنة الكافرين بها اتجهت الآية الأخيرة الى وصف طلعها بانه كرءوس الشياطين ، محققة هذا التشبيه عن طريق أداته (فأن) فناسب ذلك ــ أيضا ــ الاهتمام بالمشبه بالاعلام به قبل عقد التشبيه لعدم ذكره فى الكلام السابق ، والله أعلم •

وعلى هذا السبيل جرى كلام أهل الطبع من ذلك على سبيل المثال ما يأتى :

يقول الأعشى بعد أن يشبه حبيبته بالظبية التى تخلفت عن قطيعها :

وفلاة كأنها ظهر ترس
ليس الا الرجيع فيها علاق(٦٥)

(٦٤) سورة الصافات ٦٢ الى ٦٥ •

(٦٥) ديوان الأعشى ١٢٧ والرجيع : ما تجتره الابل ، والعلاق : ما تتبلغ به الناقة عند سيرها ، أى ليس لها طعام غير ذلك •

ويقول امرؤ القيس واصفا المواضع التى وقف بها :

ترى بعر الأرآم فى عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل(٦٦)

ويقول طرفه بن العبد واصفا ناقته :

أمون كألواح الاران نسأتها
على لا حب كأنه ظهر برجد(٦٧)

وقال عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم(٦٨)

وقال لبيد يصف ناقته :

فلها هباب فى الزمام كأنها
صهباء راح مع الجنوب جهامها(٦٩)

---

(٦٦) فى شرح القصائد السبع ٢٣ وفى الديوان ١١١ ترى بعر الصيران : أى قطعان البقر والظباء ، والعرصات : الساحات والقيعان : الأراضى المطمئنة •

(٦٧) شرح القصائد السبع الطوال ١٥١ ـ والأمون : الناقة التى يؤمن عثارها والأران : تابوت خاص بالسادة ، ونسأتها : حملتها على السير ـ واللاحب الطريق البين ـ والبرجد : كساء فيه خطوط •

(٦٨) فى شرح القصائد السبع ٣٥٩ ـ والأشطان : الحبال ـ واللبان : مجرى اللبب •

(٦٩) فى شرح القصائد السبع الطوال ، والهباب : الهيج والنشاط صهباء : سحابة قليلة الماء •

وقال ربيعة بن مقـــروم :

وواردة كأنــها عصــب القطــــا

تثـير عجاجـا بالسنابك أصـهبا

وزعت بمثــل السـيد نهـد مقلص

جهيـز اذا عطفــاء ماء تخنبا(٧٠)

كل هذه الشواهد التى سبقت نرى فيها المشبه وقد سبق ذكــره قبل مجىء جملة التشبيه ، ثم هــذه شواهد المشبه فيها مرتبط بمذكور سـابق :

يقول امرؤ القيس فى صــفة فرســه :

ضـليع اذا استدبرته سـد فرجــه

بضاف فويق الأرض ليس بأعــزل

كــأن سراتــه لــدى البيت قــائما

مداك عروس أو صلاية حنظل(٧١)

وقــال طرفــه :

ووجه كأن الشــمس حلت رداءهــا

عليه نقى اللــون لــم يتخــدد(٧٢)

---

(٧٠) البيتان فى الشعر والشعراء ٣٢٠/١ ـ والواردة : قطعة من الخيل شبهها بجماعات القطا ـ وزعت : كففت ـ السيد : الذئب ـ جهيزا : خفيف .

(٧١) الديوان ١٢٠ وشرح القصائد السبع ٩٦ ضـلـع : قوى ـ ويعنى بضاف ذنبه وسراته : أعلى ظهــره ـ والمداك : الحجر يسحق به الطيب ـ والصلاية : ما يدق عليه حب الحنظل .

(٧٢) شرح القصائد السبع الطوال ١٤٦ والتخدد اضطراب الجلد واسترخاء اللحم .

ويقول عنترة يعنى نفســه :

بطــل كــأن ثيــابه فى سرحـــة

يحذى نعال السبت ليس بتــوأم(٧٣)

وهكذا لو فتشت فلن تجــد الا ما قلناه .

ثالثا : تتميز (كأن) بمجيئها فى كل تشبيه فيه غرابة ، ناشــئة من كون المشبه به غير محقق الوقــوع لكــونه مستحيلا بحكم العقل او العــادة ، أو لبعــده عن المشبه به غــير محقق الوقــــوع لكونه مستحيلا بحكم العقــل أو العــادة ، أو لبعده عن المشبه ، ويلحــــظ كثرة مجئ ذلك عندما تكون (كأن) مكفوفة بـــ (ما) من شواهد ذلك الآيــات الآتيــة :

٢٤ ـــ قال تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل آنــه من قتل نفسا بغــير نفس أو فســاد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون »(٧٤) .

تشبيه لقتل النفس الواحدة ظلما بقتل النــاس جميعا لما فيه من من الظلم ، وواضــح استحالة المشبه به وهو قتل الناس جميعا ، أو إحيــاؤهم جميعــا .

٢٥ ـــ قــال تعالى : « فمن يرد الله أن يهــديه يشرح صــدره

---

(٧٣) شرح القصائد السبع ٣٥٢ ـ والسرحة : الشجرة الطويلة ـ والسبت جلود البقر اذا دبغت بالقرظ ، وليس يتوأم لم يزحمه آحد فى بطن أمه .

(٧٤) سورة المائدة ٣٢ .

للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »(٧٥) .

شبه الله تعالى الكافر بضيق صدره بالاسلام وتسد منافذه عليه بمن يصعد في السماء ويرتفع فيها دون جناح ، وهذا مما تضيق عنه المقدرة .

٢٦ ـ قال تعالى : « يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون »(٧٦) .

شبه الله تعالى حال من يسار بهم الى النصر والغنيمة وهم خائفون فزعون بحال من يساق الى الموت والصغار وهو مشاهد لأسبابه ناظر اليها لا يشك فيها ، فبين المشبه والمشبه به بعد من جهة اختلاف المآل فيهما ، ذلك لأن الخروج الى الجهاد ليس فيه ذلة ، والموت فيه ليس محققا والمشبه به سوق الى موت وحمل على مهانة وذلة .

فجاءت (كأن) لما بينهما من غرابة وبعد ..

٢٧ ـ قال تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(٧٧) .

شبه الله تعالى وجوههم بما فيها من ظلمة الكفر بظلام الليل ركب بعضه على بعض ثم كسيت به وجوههم .

---

(٧٥) سورة الأنعام ١٢٥ .
(٧٦) سورة الأنفال ٦ .
(٧٧) سورة يونس ٢٧ .

٢٨ ــ قال تعالى : « حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »(٧٨) .

شبه الله تعالى المشرك فى تذبذبه وتردده على ضلالات مختلفة ، بمن تتخطفه الطير وتتورعه ، أو شبهه فى حال تمسكه بضلاله وعدم الرجوع عنه بالساقط فى أهوية لا يخرج منها أبدا ، باقيا فى قرارها السحيق(٧٩) .

رابعا : اذا كانت (كأن) تفيد تأكيد التشبيه فان هذا التأكيد يتطامن ويهدأ قليلا عندما تكون مخففة ، يشهد لذلك ما يأتى :

١ ــ أن الإحساس بالمعنى عند مجيئها مخففة يختلف عنه عندما تكون ثقيلة ، وهذا أمر يدرك بالذوق ، ويؤيده ما قالوه من أن للألفاظ من حيث هى أصوات دلالة على معناها ، اذ يكون بناء الكلمات على صورة لها مناسبة للمعنى الذى تدل عليه ، وقولهم : ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى(٨٠) والشأن فى (كأن) ثقيلة أنها أكثر فى مبناها وأقوى فى أصواتها منها مخففة ، وسبيلنا الى ذلك أن ننظر فى شواهدها .

٢٩ ــ قال تعالى : « ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما »(٨١) .

(كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) جاءت (كأن) مخففة ــ والله

---

(٧٨) سورة الحج ٣١ .
(٧٩) انظر الكشاف والانصاف لابن المنير ١٢/٣ .
(٨٠) ينظر الخصائص ١٥٢/٢ والمزهر ٤٧/١ .
(٨١) سورة النساء ٧٣ .

أعلم ـ دلالة على أن المخاطبين بذلك وهم المؤمنون ليسوا فى حاجة الى فضل تأكيد لهذه المشابهة ، فروعى بذلك مقتضى حالهم ، ولأن حال المنافقين فى عداوتهم للمؤمنين أوضح من أن تحتاج الى مزيد تأكيد .

قال أبو حيان : « قال ابن عطية : وكأن مصمنة معنى التشبيه ولكنها ليست كالثقيلة فى الحاجة الى الاسم والخبر ، وإنما تجئ بعدها الجمل انتهى »(٨٢) وان كان أبو حيان نظر فى كلام ابن عطية الا أننا نستفيد منه أن بين (كأن) ثقيلة ومخففة فرقا .

٣٠ ـ قال تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم »(٨٣) .

فى الآية تشبيهان الأول (كأن لم يسمعها) بتخفيف (كأن) والثانى (كأن فى أذنيه وقرا) بتثقيلها .

ويبدو ـ والله علم ـ أن التخفيف فى الأول لسبق الإخبار عنه بأنه استكبر عند توليه فشبهه من لا يسمع غير خاف ولا يحتاج الى مزيد تأكيد ، وتناسب ـ أيضا ـ ما يستحقه من تهوين شأنه وعدم الاكتراث به ، ثم أكد التشبيه الثانى إعلاما بأن الإعراض متمكن منه ، لينقطع الرجاء فيه ، مثله فى ذلك مثل الأصم الذى لا يسمع أبدا .

٣١ ـ قال تعالى : « يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم »(٨٤) .

---

(٨٢) البحر المحيط ٢٩٢/٣ .
(٨٣) سورة لقمان ٧ .
(٨٤) سورة الجاثية ٨ .

وهي في تخفيفة (كأن) كالآية السابقة .

٢ ـ ومما يدل على تظامن التأكيد عندما تكون (كأن) مخففة صحة حملهم على الكاف والجملة التي بعدها فعليه . اذ لا يكون هذا الا لقربها من الكاف في الدلالة على التشبيه ، يقول الزمخشري عند تفسير الآية الآتية :

٣٢ ـ قوله تعالى : « وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون »(٨٥) .

يقول : « كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن »(٨٦) ويرى أبو حيان غير ذلك عند تفسيره الآية الآتية :

٣٣ ـ قوله تعالى : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين »(٨٧) حكى أبو حيان عن ابن عطية قوله « والكاف من قوله (كأن) يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم ، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر ، كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا ويصح أن يكون قوله (كأن لم يلبثوا) في موضع الحال من الضمير في يحشرهم »(٨٨) .

وهكذا يبدو لنا صحة الحمل على الكاف ، وكونها باقية كما هي (كأن) كما يبدو من رأي ابن عطية الأخير ومما قاله الزمخشري .

---

(٨٥) سورة يونس ١٢ .
(٨٦) الكشاف ٢/٢٢٨ .
(٨٧) سورة يونس ٤٥ .
(٨٨) البحر المحيط ٥/١٦٢ .

ويجرى هذا التأويل أيضا فى آيات أخرى كآيتى هود (٦٨ــ٩٥) .

خامسا : تختص (كأن) بالمجىء بها عند إرادة تشبيه الشىء بنفسه باعتبار حالين مختلفتين . ويطرد ذلك عندما تكون مكفوفة بـ (ما) وعندما تكون مخففة ، وكذلك عندما يكون خبرها فعلا أو شبه جملة فى أحد احتماليه ، من ذلك .

٣٤ ــ قول الله تعالى : « كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود »(٨٩) .

٣٥ ــ وقال تعالى : « كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود »(٩٠) شبه الله تعالى : ثمود ومدين فى الآيتين بعد اهلاكهم بحالة عدم غنائهم فى ديارهم وبلادهم وذلك من شدة الهلاك الذى أصابهم ، فالتشبيه بين حالتين لكل منهما ، و (كأن) هنا مخففة .
ومن شواهدها مكفوفة بـ (ما) ما يأتى :

[٢٦] قال تعالى : « يجادلوك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون »(٩١) .

شبههم الله تعالى فى حال فزعهم وخوفهم عند الخروج للجهاد للحصول على الغنيمة ، بحالهم لو كان يسار بهم الى الموت .
ومن شواهدها وخبرها فعل ما يأتى :

٣٦ ــ قال تعالى : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل

(٨٩) سورة هود ٦٨ .

(٩٠) سورة هود ٩٥ وانظر النساء ٧٣ والأعراف ٩٢ ويونس ١٢ ، ٢٤ ، ٤٥ والجاثية ٨ .

(٩١) سورة الأنفال ٦ وانظر المائدة ٣٢ والأنعام ١٢٥ والحج ٣١

ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الإ القوم الفاسقون (٩٢) .

يشبه الله تعالى حالتهم يوم القيامة عندما يعاينون ما أنذرهم بحالتهم لو كانوا قد لبثوا وقتا قصيرا . .

٣٧ ــ قال تعالى : « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها »(٩٣) .

تشبيه لهم ــ أيضا ــ عندما يرون القيامة ويعرضوا على ربهم بحالة من يستقصر لبثه فى الحياة الدنيا .

والخبر فى الآية قبلها جملة فعلية(٩٤) .

[٣٠] وشاهدها والخبر شبه جملة الآية الآتية :

قال تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم »(٩٥) .

(كأن فى أذنيه وقرا) خبر كأن شبه جملة وهو الجار والمجرور (فى أذنيه) شبه الله تعالى حاله عند توليه بحاله لو كان فى أذنيه صمم وحاجز ، والله أعلم.

« مطلب » :

يبقى لنا القول بعد تحديد أدوات التشبيه وحصرها فى الخلاف وكان أن نقرر أمرين :

---

(٩٢) سورة الأحقاف ٣٥ .
(٩٣) سورة النازعات ٤٦ .
(٩٤) وانظر ــ أيضا ــ البقرة ١٠١ والقصص ٨٢ والمعارج ٤٣ .
(٩٥) سورة لقمان ٧ .

الأول : أن التشبيه عندما يكون محــذوف الأداة يتعين أن تكون الأداة المقــدرة فيه (الكاف) لا غير ، وذلك نظرا الى أنهــا الأصل ، أى (أم الباب) كما يقولون ــ هذا من ناحية ، ومن ناحيــة أخرى : لدلالتها على التشبــيه مطلقا ــ كما قررناه وأوضحناه فى مبحثهــا ــ فهى تصلح مع جميع الشواهد .

الآخر : أن الأداة عند حذفها يكون للمقام والقرائن الأخــرى الدلالة على كون الكلام مجــراه التشــبيه ، ولا يســد مكان الأداة غيرها . وبهذا يندفع ما يدل عليه ظاهر كلام الخطيب من أنه « قد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه » كما فى علمت زيدا أسدا ، وحسبته بحــرا . ذلك أن الحق كما وضــح شراح التلخيص أن هذه الأفعال لا تنبىء عن أصــل التشــبيه ، وإنمــا تنبىء عن حــال التشــبيه فى القــرب والبعــد (٩٦) .

---

(٩٦) ينظر شروح التلخيص ٣٨٩ وما بعدها .

المبحث الثالث

(التشـــابه)

يرجع الفرق بين التشبيه والتشابه الى ما تقرر من أن قضية التشبيه تقتضى القصـد الى الحـاق ناقص بكامل ، بجعله مثله فى وجه الشـبه مبالغة • أما التشابه فهو الجمع بين شيئين فى أمر من الأمور من غير قصد الى زيادة ونقصان ، وجدت الزيادة أم لم توجد(١) •

ووجه إطلاق التشابه — الذى مضمونه التساوى بين الطرفين — على ما كان فيه زيـادة غير منظور انما هو مراعاة القـدر المشـترك بينهما الذى تسـاويا فيه • وللتشابه طريقان :

« الطريـق الأول » :

ما يؤتى فيه بكلمة (تشابه) و (تماثـل) و (تساوى) وكـل ما وازن ذلك مما يدل على التسـاوى ، مما له فاعلان ، لا مما كان لـه فاعل ومفعول مثل شابه وساوى ، اذ شرطه أن يكون الفعل لازما ؛ لأن المتعدى يدل على الحكم بالمشابهة(٢) •

ويكون ذلك عند القصد الى الـدلالة على تسـاوى الطرفين فى الصفة ، وانمـا تفيـد هذه الكلمات التشـابه الذى مضمونه التساوى لأن قولنا : تشابه زيـد وعمرو « قضية تنحل فى المعنى الى قولنا : زيدا يشبه عمرا ، وعمرو يشـبه زيدا ، وأنت لو صرحت بهاتين القضيتـين لكانتا متنافيتين ، فصارا كالدليلين المتعارضين فى شىء فيتساقطان فى محل التعارض ، وهو ترجيح أحـدهما على الآخر ، ويعمل بهمـا فى

---

(١) ينظر المطول ٣٣٥ •

(٢) انظر مواهب الفتاح وعروس الأفراح ٣/٤١٢ ، ٤١٦ •

مجرد المشابهة ، فيكونان متساويين ، فيكون مضمون التشابه التساوى ». (٣) سواء كان هذا التساوى واقعا حقيقة كما فى قول الصاحب بن عباد :

رق الزجاج وراقت الخمر
وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

أم كان على سبيل الادعاء مثل قولك : تشابه وجه الحبيب والصبح وقول أبى اسحاق ابراهيم الصابى :

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى
فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب

فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت
جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

ويرى الدسوقى — رحمه الله — أن التشابه واقع حقيقة فى هذين البيتين وليس كذلك(٤) .

(شواهد هذا الطريق)

بتتبع شواهد هذا الطريق واستقصاء كلماته فى القرآن الكريم، وجدتها ثمانى كلمات ، هى : تشابه ، متشابه ، مشتبه ، سواء ، يستوى ، ساوى ، سوى ، مثل .

الكلمة الأولى « تشابه » :

جاءت هذه الكلمة فى أربع آيات من القرآن الكريم ، هى ما يأتى :

---

(٣) المرجع السابق الموضع نفسه .

(٤) الأبيات فى شروح التلخيص ، وحاشية الدسوقى ٣/٤١٢ .

١ ـ قال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون »(٥) .

٢ ـ وقال تعالى : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون »(٦) .

٣ ـ وقال تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب »(٧) .

٤ ـ وقال تعالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار »(٨) .

الكلمة الثانية « متشابه » :

جاءت هذه الكلمة فى خمس آيات مكررة فى واحدة منها ، هى ما يأتى :

١ ـ قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا

---

(٥) سورة البقرة ٧٠ .
(٦) سورة البقرة ١١٨ .
(٧) سورة آل عمران ٧ .
(٨) سورة الرعد ١٦ .

هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون »(٩) .

٢ ــ وقال تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ... الآية »(١٠) .

وفيها كلمة (متشابه) بصيغة الجمع .

٣ ــ وقال تعالى : « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون »(١١) .

٤ ــ وقال تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »(١٢) .

والصيغة مكررة فى هذه الآية .

٥ ــ وقال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد »(١٣) .

---

(٩) سورة البقرة ٢٥ .
(١٠) سورة آل عمران ٧ .
(١١) سورة الأنعام ٩٩ .
(١٢) سورة الأنعام ١٤١ .
(١٣) سورة الزمر ٢٣ .

الكلمة الثالثة « مشتبه » :

قد جاءت هذه الكلمة فى آية واحدة ، إحدى آيتى سورة الأنعام السابقة منهما ، وهى :

١ ـ قوله تعالى : « والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه »(١٤)

(دلالة هذه الكلمات) :

نستطيع بتدقيق نظر وفى ضوء ما قاله أهل اللغة والمفسرون عند تفسيرهم الآيات السابقة أن نحدد دلالة الكلمات : (تشابه ، متشابه ، مشتبه) فيما يأتى :

أولا : ان معنى : تشابه الشيئان وهما متشابهان ، أن كل واحد منهما يشبه صاحبه ، فالكلمتان لإفادة الحكم بالتشابه ، لا التشبيه .

ثانيا : ان الأصل فى التشابه أن يكون عينا ، أى مرتبطا بالصور المشاهدة ، كما هو الأصل فى مادة (شبه) وما تفرع منها(١٥) . أما ان جاء معنى فيكون على سبيل المجاز .

وشاهد ذلك قوله تعالى : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها » البقرة ٢٥ ـ فقد ذكر أبو حيان عند تفسيره الآية قول ابن عطية : « هذا ـ اشارة الى الجنس ، أى هذا الجنس الذى رزقناه من قبل »(١٦) واذا كان تشابه الثمر فى الجنس ، فان أكثر تمايز الأجناس بذواتها وصورتها ، فالتشابه هنا عينا ، لا معنى .

وقد وقع اختلاف فى النظر الى التشابه فى الآية عينا أم معنى .

---

(١٤) سورة الأنعام ٩٩ .

(١٥) انظر فى المبحث الأول كلمة (شبه) وأصل مادتها ص ٧٧ .

(١٦) البحر المحيط ١/١١٥ .

قال الراغب : « — وأتوا به متشابها — أى يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة ، وقيل : متماثلا فى الكمال والجودة »(١٧) ويبدو من كلامه ترجيحه التشابه فى الصورة .

وقال ابن منظور : « .. وأما قوله تعالى : « وأتوا به متشابها » فان أهل اللغة قالوا : معنى متشابها يشبه بعضه بعضا فى الجودة والحسن ، وقال المفسرون : متشابها — يشبه بعضه بعضا فى الصورة ويختلف فى الطعم ، ودليل المفسرين قوله تعالى : « هذا الذى رزقنا من قبل » لأن صورته الصورة الأولى (١٨) .

ووجه استدلال المفسرين بقوله تعالى : (هذا الذى رزقنا من قبل) دون مبناه على التشبيه ، قال الزمخشرى : « كيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا ؟ قلت : معناه : هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه ، بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة . تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ، فان قلت : الام يرجع الضمير فى قوله : (وأتوا به) قلت الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا ، لأن قوله : (هذا الذى رزقنا من قبل) انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين ، ونظيره قوله : « ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما »(١٩) لدلالة قوله : غنيا أو فقيرا على الجنسين »(٢٠) .

واذا كان المبنى على التشبيه ، أى تشبيههم ما رأوا من ثمرات الجنة بثمرات الدنيا ، فان ذلك لا يكون الا فى الصورة المشاهدة ،

---

(١٧) المفردات فى غريب القرآن ٢٥٤ .
(١٨) لسان العرب ٢١٩٠ .
(١٩) سورة النساء ١٣٥ .
(٢٠) الكشاف ١/٢٦٠ ، ٢٦١ .

لأن بين النوعين تمايزا فى الجودة والحسن الذى هو معنى لا صــورة •
ويعضــد ذلك ــ كما قال الزمخشرى ــ كون التشابه فى قوله تعــالى :
(وأتوا به متشابها) تشــابه بين ثمر الدنيــا وثمر الآخرة ، اذ لو
كان التشابه بين ثمر الآخرة بعضه وبعض لأمكن القول بأن التشابه فى
المعنى ، أى الجودة والحسن • ولعل هــذا هو محل نظر هل اللغــة ــ
الذى حــكاه ابن منظور •

وقد ذكر البهاء السبكى ما يمكن أن يشــكل من التقاء التشــبيه
والتشــابه فى الآية ، وحصر الجواب عنــه فيما لا غنــاء فيه ، وغيره
أولى منــه ، قال : « فان قلت : اذا كان التشــابه يقتضى التساوى ،
والتشبيه يقتضى التفاوت ، فكيف جمع بينهما فى قوله تعــالى : (كلما
رزقوا منهــا من ثمرة رزقا قالوا هــذا الذى رزقنــا من قبــل) ــ قال
الزمخشرى معنــاه : مثل الذى رزقنا ــ ثم قال تعــالى . (وأتوا به
متشــابها) فقــد جمع بين صيغتى التشبيه والتشابه ؟ قلت : ليس
عن ذلك جواب الا أن يقال : التشابه هنا المراد به التســاوى فى مقدار
وجــه الشــبه ، والتشبيه باعتبــار أن وجــه الشــبه فى المشــبه به
معــروف »(٢١) •

أما ما نراه أولى فأن نقول : ان التشبيه فى الآية من باب التشابه،
أى الطريق الثانى منه ، بأن يكون مقصودا بالتشبيه مجرد الاشتراك فى
صــفة من غير ارادة زيادة ونقصــان •

يؤيد ذلك ترديدهم هــذا التشــبيه ونطقهم به عنــد كل ثمــرة
يرزقونها ، وكونه لا يظن أن يكونوا قاصدين بذلك كمال ثمرات الدنيا
وزيادتها فى المزية والفضل ــ حقيقة أو ادعاء كما هو مقتضى التشبيه

---

(٢١) عروس الأفراح : شروح ٣/٤١٤ •

ــ فيلحقون ما هم فيه في الآخرة بما نالوا منه في الدنيا ، وإنما كان جعلهم ما يرزقونه في الجنة مشبها وما كان في الدنيا مشبها به لكون المشبه محل اهتمامهم والكلام عنه ، وهذا نهج سلكوه لتعليل ما هو من هذا القبيل(٢٢) .

وقد جاء التشابه معنى في قوله تعالى : (تشابهت قلوبهم) البقرة ١١٨.

قال أبو حيان : « لما ذكر تماثل المقالات وهي صادرة عن الأهواء والقلوب ذكر تماثل قلوبهم في العمى والجهل ، كقوله تعالى : « أتواصوا به »(٢٣) قيل : تشابهت قلوبهم في الكفر ، وقيل : في القسوة ، وقيل ، في التعنت والاقتراح ، وقيل : في المحال(٢٤) وهذه الوجوه كلها أمور معنوية بعيدة عن الحس .

وإذا كان الأصل في دلالة المادة على التشبيه في الصورة فان استعمال التشابه في معنى من المعاني يكون على سبيل المجاز باطلاق هذه الدلالة على مطلق الاتفاق عينا أو معنى .

ثالثا : قالوا : ان (تشابه) و (اشتبه) يتقاربان ويشتركان كثيرا ، ففي الآية (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) يقول الراغب : « وقرىء قوله (مشتبها وغير متشابه) وقرىء (متشابها) جميعا ، ومعناهما متقاربان »(٢٥) .

وقال الزمخشري : « مشتبها وغير متشابه ــ يقال : اشتبه الشيئان

---

(٢٢) ينظر شروح التلخيص ٣/٤١٥ .
(٢٣) سورة الذاريات ٥٣ .
(٢٤) البحر المحيط ١/٣٦٧ .
(٢٥) المفردات في غريب القرآن ٢٥٤ .

وتشابهـا ، كقولك : استويا وتساويا . والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا »(٢٦) .

لكننا فى حاجة الى اضـاءة تكشف لنا حدود هـذا القرب ومدى الاشتراك بينهما . والذى يبدو أن وجه الاشتراك كون كل من الكلمتين تدل على مشـابهة كلا الطرفين للآخر . قال ابن منظـور : « تشـابه الشيئان واشـتبها : أشـبه كل واحد منهما صـاحبه ، وفى التنزيل (مشتبها وغير متشابه) ... ثم يقول : وأمور مشبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا »(٢٧) .

أما التقارب فمن جهة كون التشابه نوعين : نوع لا يوقع فى الشبهة ، ونوع يوقع فيهـا وهو ما ينتقى فيه (تشابه واشتبه) .

فالاشتباه يدل على الوقوع فى الشبهة ، يؤيد ذلك ما حكاه ابن منظور قائلا : « ذكر أبو العباس عن ابن الأعرابى : وشـبه الشىء اذا أشـكل وشـبه اذا ساوى بين شىء وشىء ، وقال : وسألته عن قوله تعالى : (وأتوا به متشابها) فقال : ليس من الاشتباه المشكل ، وانما هو من التشـابه الذى هو بمعنى الاسـتواء . وقال الليث : المشتبهات من الأمور المشكلات .. »(٢٨) .

والى كون التشابه نوعين ذهب ـ أيضا ـ أبو حيـان عند تفسير الآية : (هو الذى أنزل عليـك الكتـاب منـه آيات محكمات هن أم الكتـب وأخر متشابهات) قال : « وجاء وصـفه ـ أى القـرآن ـ بالتشابه بقوله : (كتابا متشابها) معنـاه : يشبه بعضـه بعضـا فى

---

(٢٦) الكشاف ٢/٤٠ .
(٢٧) لسان العرب ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ .
(٢٨) لسان العرب ٢١٩٠ .

الجنس والتصديق ، وأما هنا فالتشـابه ما احتمل ، وعجز الذهن عن التمييز بينهما ، نحو (ان البقر تشابه علينا) (وأتوا به متشابها) أى مختلف الطعوم متفق المنظر(٢٩) •

لكن لا يسـلم لابى حيـان كون التشابه فى قوله تعالى : (وأتوا به متشابها) من التشابه الملبس ؛ لأن هـذا التشابه بين ثمر الآخرة وثمر الدنيـا ، ومادام كذلك فلن يقعوا فى خلط بينهما بقرينـة المقام ، فضـلا عن قرينـة المقال من قولهم : (هـذا الذى رزقنا من قبل) وترديدهم هذا القول كلما رزقوا منه ، على التشبيه •

رابعـا : ان كلمة (تشابه) عندما تكون هى وكلمة (اشتبه) بمعنى ، أى للدلالة على التشابه الملبس فانها تكون مصحوبة بحرف الجر (على) لأن الفعل متى ضمن معنى فعل آخر عدى بالحرف الذى يعدى به هـذا الفعل ، كما عدى الفعل (استوى) بالحرف (الى) عنـدما ضمن معنى أنتهى (تدبيرا) فى قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهى دخـان »(٣٠)

وانما تصير (تشابه) بمعنى (اشتبه) ومساوية لها عندما يشتد التشابه ، ويصـير كأنه علا على الرائى ولبس عليه الأمر • وهـذا واضح فى قوله تعـالى : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم »(٣١) وقوله تعـالى : « ان البقـر تشـابه علينا»(٣٢) وهى فى هذا تعتمد على قرائن المقـام والسياق •

---

(٢٩) البحر المحيط ٣٨١/٢ •
(٣٠) سورة فصلت ١١ وانظر المفردات ٢٥١ •
(٣١) سورة الرعد ١٦ •
(٣٢) سورة البقرة ٧٠ •

الكلمة الرابعة (سـواء)

تدل هـذه الكلمة على تساوى طرفيها فى المعنى الذى اشتركا فيه ، وقد عدها البهاء السبكى فى أعلى مراتب الأبلغية فى المشابهة ، اذ تدل على تحقق الشـبه من كل وجه عدا ما يقع به الامتياز(٣٣) .

وهى وما يشتق منها مما يحتاج الى فاعلين ـ مثل تساوى ، ويتساوى واستوى عند اسنادها الى فاعلين ، مثل : استوى زيد وعمرو ـ تدخل فى باب التشابه لا التشبيه ، لعدم الحاق ناقص بتامل بها .

وقد جاءت كلمة (سـواء) فى القرآن الكريم مثبتة فى اثنتى عشرة آية ومنفية فى آية واحـدة ، هى ما يأتى :

١ ـ قال تعالى : « ان الذين كفـروا سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنـون »(٣٤) سـوت الآية بين الانذار وعدمه ، فالكافرون حالهم معهما سـواء لا تختلف . والطرفان (الانذار ، وعـدمه) بينهما تشابه ولم يلحق أحدهما بالآخر فى الوجـه الذى هو عـدم الاستجابة معهما لوجود نقصان وزيادة .

٢ ـ قال تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سـواء فلا تتخذوا منهم أوليـاء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليـا ولا نصيرا »(٣٥) .

أى تكونون أنتم وهم سـواء فى الكفر . والتشابه بكلمة (سواء) مسبوق ـ أيضا ـ بتشابه من طريق التشبيه (كما كفروا) .

---

(٣٣) ينظر عروس الأفراح ٣/٣٩٣ ومنه الدراسة ٨٠ وما بعدها .

(٣٤) سورة البقرة ٦ .

(٣٥) سورة النساء ٨٩ .

٣ ـ قال تعـالى : « وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون »(٣٦) •

تسوية لحالتى الأصنام عند الدعوة الى الهـدى ، وعند تركهم فى عـدم السمع والاستجابة •

٤ ـ قال تعـالى : « سـواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليـل وسـارب بالنهـار »(٣٧) •

أى يستوى من يسر القول ومن يجهر به فى علم الله بهما • وكذلك من يستخفى فى ظلمة الليل ومن يضطرب بالنهـار فى الطرقات يبصره النـاس •

٥ ـ قال تعـالى : « وبرزوا لله جميعـا فقال الضـعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعـا فهل أنتم مغنـون عنا من عـذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سـواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص »(٣٨) •

أى يستوى جزعنا وصبرنا فى عـدم الفائدة مع العـذاب الذى نلاقيـه •

٦ ـ قال تعالى : « ان الذين كفروا ويصـدون عن سـبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سـواء العاكف فيـه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »(٣٩) •

---

(٣٦) سورة الأعراف ١٩٣ •
(٣٧) سورة الرعد ١٠ •
(٣٨) سورة ابراهيم ٢١ •
(٣٩) سورة الحج ٢٥ •

(سواء العاكف فيه والبـاد) أى يستوى فيه الجميع فى العبادة والطاعة والزيارة ، ليس لأحد حق أكثر من الآخر فى ذلك .

٧ ــ قال تعـالى : « قالوا سـواء علينـا أوعظت أم لم تكن من الواعظين »(٤٠) .

أى يستوى عندنا وعظك وعدمه فلن نستجيب . وقال الزمخشرى: « فان قلت : لو قيل : أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحـد . قلت : ليس المعنى بواحـد ، وبينهما فرق ، لأن المراد سـواء علينـا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ ، أم لم تكن أصـلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك : أم لم تعظ » ويرى أبو حيـان أن النكتة فى ذلك مراعاة الفاصـلة ، وما ذهب اليه الزمخشرى أولى(٤١) .

٨ ــ قال تعـالى : « ضرب لكم مثـلا من أنفسكم هل لكم من ما مـلكت أيمانكم من شركاء فى مـا رزقنـاكم فأنتم فيـه سـواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »(٤٢) .

أى تكونون أنتم وعبيدكم فيما تملكون من أموال وغيرها سواء ، من غير تفضـيل حر على عبـد .

٩ ــ قال تعـالى : « وسـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنـون »(٤٣) .

أى يستوى انذارك وعـدمه ، فهم لا يؤمنون فى جميع الأحوال .

---

(٤٠) سورة الشعراء ١٣٦ .
(٤١) الكشاف ٣/١٢٢ والبحر المحيط ٧/٣٣ .
(٤٢) سورة الروم ٢٨ .
(٤٣) سورة يس ١٠ .

١٠ — قال تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »(٤٤) .

(سواء محياهم ومماتهم) سواء — بالنصب بدل من الكاف ، أجرى مجرى (مستويا) و (محياهم ومماتهم) بالرفع على الفاعلية ، وبالنصب على الظرفية ، أي في محياهم وفي مماتهم ، والمعنى : انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون في المحيا والممات ، لافتراق أحوالهم ، لأن المعاصي للمسيئين ، والطاعة للمحسنين ، واليأس من رحمة الله للعصاة ، والبشرى الطائعين ، وعلى هذا التوجيه يكون الاستفهام على سبيل نفي التشابه . وقرىء (سواء محياهم ومماتهم) برفع (سواء) على الاستئناف ، بمعنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ومحيا المحسنين ومماتهم سواء ، فكل يموت على حسب ما عاش عليه ، وعندئذ يكون التشابه على سبيل الاثبات لا النفي(٤٥) .

١١ — قال تعالى : « اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون »(٤٦) أي سواء عليكم الأمران فسواء خبر لمبتدأ محذوف .

١٢ — قال تعالى : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين »(٤٧) .

---

(٤٤) سورة الجاثية ٢١ .
(٤٥) ينظر الكشاف ٣/٥١٢ .
(٤٦) سورة الطور ١٦ .
(٤٧) سورة المنافقون ٦ .

أى سواء عندهم الاستغفار وعدمه، فهم لا يأبهون بشيء ولا يعتقدون فى رجاء لظلمة قلوبهم ، أو أن الله لا يغفر لهم، استغفرت أم لم تستغفر لهم(٤٨) .

أما الآية التى جاءت فيها (سواء) منفية فهى :

١٣ ــ قول الله تعــالى : « ليسوا ســواء من أهل الكتــاب أمة قائمــة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون »(٤٩) .

نفى الله تعــالى استواء أهل الكتاب فى الجــور والاعتداء ، لأن منهم من استقام على المنهج بدخوله الإســلام .

الكلمــة الخامســة (يستوى)

جاء هــذا الفعل مثبتا فى اللفظ منفيــا فى المعنى فى ثلاث آيات ، ومكررا فى واحدة منها ، ومنفيا فى اللفظ والمعنى فى تسع آيات . وهذه الشــواهد نوعان :

« نوع » يكون فيه متعلق التساوى المنفى ــ صفة غير موجودة أصلا فى أحــد الطرفين(٥٠) ، ويكون الغرض نفى تساويهما فى مجرد وجود الصــفة ليبقى الطرف الآخر متميزا بوجودها فيه . وشــواهد هــذا النوع فى تسع آيات منها الآيات الثلاث التى فيها النفى فى المعنى دون اللفظ ، وهى ما يأتى :

١ ــ قال تعــالى : « قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعــا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنــور أم جعلوا

---

(٤٨) ينظر الكشاف ١٦٠/٤ .

(٤٩) سورة آل عمران ١١٣

(٥٠) نعنى بالطرفين هنا طرفى التساوى لا طرفى التشبيه الاصطلاحى

لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار »(٥١) •

الفعل (يستوى) فى موضعيه مثبت فى اللفظ منفى فى المعنى لأنه فى سياق استفهام انكارى ، فهو نفى لاستواء الأعمى والبصير فى رؤية الأشياء ، أو فى الهداية ان كانا مستعملين فى الضلال والهدى على سبيل الاستعارة ، ونفى لاستواء الظلمات والنور فى انكشاف الأشياء بهما ، أو فى الاهتداء بهما ان كان استعمالهما فى الكفر والايمان على سبيل الاستعارة ، وواضح أن الصفة المنفى التساوى فيها غير موجودة فى الأعمى وفى الظلمات ، فنفى التساوى نفى لمجرد الوجود فيهما معا على حد سواء •

٢ ــ ٣ قال تعالى : « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون • وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »(٥٢) •

استفهام على سبيل الانكار فى الآيتين ، انكار أن يستوى العبيد والأحرار فى التملك فى الآية الأولى بقوله (هل يستوون) وانكار أن يستوى من كان ضعيفا عاجزا ومن كان قادرا سالكا الطريق المستقيم فى الاتيان بالأفعال على وجه النفع والخير ، وذلك بقوله (هل يستوى) فى الآية الثانية ، وواضح أن الصفة التى انتفى فيها الاستواء موجودة فى أحد طرفيه دون الآخر فى

---

(٥١) سورة الرعد ١٦ •

(٥٢) سورة النحل ٧٥ ، ٧٦ •

المشاهدين ، وهذه الآيات التى سبقت هى آيات النفى فى المعنى دون اللفظ . أما النفى فيهما معا ففى هذه الآيات :

٤ ـ قال تعالى : « قل هل يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون »(٥٣) .

نفى لاستواء الخبيث والطيب فى النفع والخير ، وواضح أن النفع لا يكون فى الخبيث قطعا . فالنفى نفى للتساوى فى مجرد وجود الصفة فيهما معا .

٥ ـ قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين»(٥٤) .

نفى أن تتساوى أعمال الكافرين المحبطة وأعمال المؤمنين الثابتة فى القبول لها عند الله تعالى .

٦ ـ قال تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون »(٥٥) نفى للتساوى بينهما فى القبول لهما فى الدنيا والآخرة

٧ ـ ٨ قال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ● ولا الظلمات ولا النور ● ولا الظل ولا الحرور ● وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور »(٥٦) .

الفعل ملفوظ به فى آيتين مقدر فى الأخريين . أى وما يستوى

---

(٥٣) سورة المائدة ١٠٠ .

(٥٤) سورة التوبة ١٩ .

(٥٥) سورة السجدة ١٨ .

(٥٦) سورة فاطر ١٩ الى ٢٢ .

الظلمات ولا النــور ، وما يستوى الظل ولا الحرور ؛ وهو فى الآيات كلها لنفى التساوى فى النفع والتشابه فى صــفة ، وواضح أن الصفة موجودة فى أحــد الطرفين دون الآخر •

٩ ـ قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »(٥٧) •

نفى للتساوى بين الحسنة والسيئة فى اصلاح النفوس ، واثبات للتفاوت المقتضى من العــاقل إختيــار الأفضل منهما ، والنفى لمجــرد الإتفــاق فى الصــفة •

١٠ ـ قال تعالى : « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنــة أصحاب الجنة هم الفــائزون »(٥٨) •

نفى لتساويهما فى صلاح العمل فى الدنيا وفى الجزاء عليــه فى الآخــرة •

« ونوع آخر » يكون فيه متعلق التساوى المنفى صــفة موجودة فى طرفى التســاوى معــا ، ويكون الغرض نفى تساوى الطرفين فى هذه الصفة ، أى نفى وجودهــا فيهما على حد سواء • وقد جــاء من هذا النوع الشاهدان الباقيان من شواهد الفعل (يستوى) وهما :

١١ ـ قول الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غــير أولى الضرر والمجاهــدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضــل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القــاعدين درجــة وكلا وعــد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »(٥٩) •

---

(٥٧) سورة فصلت ٣٤ •
(٥٨) سورة الحشر ٢٠ •
(٥٩) سورة النساء ٩٥ •

نفي المساواة في الفضل بين القاعدين لعذر والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . فالصفة المشتركة هي المنزلة عند الله تعالى لكن التساوي فيها منفي لزيادة درجات المجاهدين عن القاعدين . بدلالة المقام والسياق فقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) دل على تميز المجاهدين وتفوقهم في الفضل بدرجة وقوله (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) يدل على عظمة هذه الدرجة في القدر والمنزلة وأنها شيء عظيم . والله أعلم .

١٢ — قال تعالى : « وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير »(٦٠) في الآية نفي للتساوي والتشابه في الفضل بين من أنفق وقاتل قبل الفتح ومن أنفق وقاتل من بعده ، وان كانوا جميعا من أهل الفضل والكرامة .

الكلمتان السادسة والسابعة (ساوى وسوى) :

جاءت هاتان الصيغتان في آية واحدة هي :

١ — قول الله تعالى : « آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا »(٦١) .

(ساوى بين الصدفين) و (سوى بين الصدفين) قراءتان ، قال أبو حيان : « قرأ الجمهور ساوى ، وقتادة سوى (بالتشديد

---

(٦٠) سورة الحديد ١٠ .

(٦١) سورة الكهف ٩٦ .

الواو) وابن أبى أمية عن أبى بكر عن عاصم سووى مبنيا للمجهول »(٦٢) .

والمعنى : أى جعل بينهما سواء لا فرق بين جانب وجانب ، ولا بين جانبه ووسطه ، ودلالة الصيغتين على التساوى والتشابه يكون عند تعلقهما بالظرف (بين) كما فى الآية . أما اذا تعدت الصيغتان الى المفعول الثانى بحرف الجر (الباء) فانهما لا تفيدان التسوية والتشابه ، مثل : ساويت هذا بذاك وسويته به .

ذكر ابن منظور من المادة أفعالا مختلفة نلحظ فيها اختلاف الدلالة تبعا لاختلاف متعلق الفعل ، قال : « تساوت الأمور واستوت وساويت بينهما ، أى سويت ، واستوى الشيئان وتساويا تماثلا ... ويقال ساويت هذا بذاك اذا رفعته حتى بلغ قدره ومبلغه ، وقال الله عزوجل : (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى سوى بينهما حين رفع السد بينهما ، ويقال : ساوى الشىء الشىء اذا عادله ، وساويت بين الشيئين ، اذا عدلت بينهما وسويت »(٦٣) .

واضح أن الفعل متى دل استعماله فى الكلام على الحاق ناقص بكامل كان من باب الحكم بالمشابهة ، وان دل على تساوى الطرفين كان حكما بالتشابه .

وعليه فقوله تعالى : « تالله ان كنا لفى ضلال مبين ● اذ نسويكم برب العالمين »(٦٤) الفعل (سوى) فيه لافادة الحكم بالمشابهة والتسوية بينهم وبين الله تعالى فى العبادة ، أى الحاقهم فى المنزلة بالله

---

(٦٢) البحر المحيط ٦/١٦٤ ، وانظر كتاب التذكرة فى القراءات ٣/٥١٧ .

(٦٣) لسان العرب ٢١٦١ .

(٦٤) سورة الشعراء ٩٧ ، ٩٨ .

جل وعلا عن النظير والشبيه .

وهكذا نرى أن الدلالة تختلف تبعا لمتعلق الفعلين (ساوى ، وسوى) ، حكما بالمشابهة ، أو بالتشابه .

الكلمة الثامنة (مثل) :

ذكرنا عند الحديث فى المبحث الأول عن الكلمات التى تفيد الحكم بالمشابهة أن كلمة (مثل) تدل على الإتفاق بين طرفى المماثلة جنسا وصفة ، الذى هو حقيقة المماثلة . وألمحنا الى أن شواهد (مثل) فى مواقعها تتنوع حسب المقام والسياق الى ما هو لإفادة المماثلة وما هو لإفادة التماثل .

وتكون (مثل) لإفادة المماثلة ان جاءت فى مقام يقصد بها فيه الحاق ناقص بكامل ولو على سبيل الفرض والادعاء ، فمثلا قوله تعالى حكاية لما يقوله الكفار لأنبيائهم : « إن أنتم الا بشر مثلنا »(٦٥) نجد فيه الكفار يلحقون أنبياءهم بغيرهم فى البشرية ، جريا على ما يزعمونه من أن دعوى الرسالة تنافى البشرية ، فأخبروا رسلهم بأنهم يماثلونهم فى البشرية لا ينقصون من أوصافها شيئا ، تقوم مقامه صفات ملائكية يكونون بها أهلا للرسالة . وكذلك يقص القرآن اجابة الرسل لهم مخبرين بمماثلتهم لهم فى البشرية فى قوله تعالى : « قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده »(٦٦) فهم يوافقونهم فيما قالوه من أنهم لا ينقصون عنهم فى البشرية ، لكن الله ميزهم بالرسالة ، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فالطرفان وان تماثلا فى الصفة الا أن المقام دل على أن الغرض إفادة المماثلة والحاق الناقص بالكامل ، وكذلك للسياق دلالته

(٦٥) سورة ابراهيم ١٠ . (٦٦) سورة ابراهيم ١١ .

ــ أيضـا ــ على ذلك ، اذ جـاء الكلام بأسـلوب القصر بطريـق النفي والاستثناء ، الذي من شأنه أن يكـون المجيء به عند الحـكم بما هو مجهول أو ما نزل منزلة المجهول

وقد لا يمكن تحقق المماثلة ألبتـة ، فضلا عن انتفـاء دعـوى التماثل ، لكن تأتى (مثـل) طلبا للمماثلة على سبيل الالزام فى مقام بيان العجـز عنها ، كما فى آيـات التحدى بالاتيـان بكلام يماثل القرآن الكريم ، فى دقـة نظمه وبلاغته ، مثل قوله تعالى : « قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتـوا بمثـل هذا القـرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٦٧) فمقام التحـدى يدل على أن الغرض نفى استطاعتهم أن يأتوا بكلام يصل الى درجته فى البلاغة ، وسياق الآيـة بما فيه من نفى الاستطاعة واضح الدلالة على هذا ــ أيضـا ــ وهم مع هذا العجز يتمسكون بباطلهم ويدعـون استطاعتهم أن يأتـوا بمثله ، حكى عنهم القـرآن ذلك قائلا : « واذا تتلى عليهم آياتنـا قالوا قـد سـمعنا لو نشـاء لقلنا مثـل هـذا ان هـذا إلا أسـاطير الأولين »(٦٨) فهم يدعون ــ قاتلهم الله ــ أنهم يستطيعون الإتيـان بما يماثل القرآن فى قصصه وحكاياته الغريبـة ، بحيث لا يقـل عنه ، لأنـه من أسـاطير الأولين !! .

وقد تأتى (مثل) لإفـادة الإخبار بالاتفـاق جنسا وصفة دون قصد الى زيـادة ونقصـان ، فتكون عندئذ لإفـادة التشابه وشواهدها فى الآيـات الستة الباقية الآتية :

٧٣ ★ ــ قال تعـالى : « وقالت اليهود ليست النصـارى على

---

(٦٧) سورة الاسراء ٨٨ .

(٦٨) سورة الأنفال ٣١ .

(★) الترقيم يجرى فى تسلسله لجميع شواهد (مثل) .

شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »(٦٩) •

٧٤ – وقال تعالى : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون »(٧٠) •

مضى ذكر هاتين الآيتين فى معرض الحديث عن دلالة الكاف على معنى (مثل) فى قوله تعالى (كذلك قال ..) اى قال الذين لا يعلمون مثل قول اليهود والنصارى ، وكذلك قال السابقون مثل قول الذين لا يعلمون ، وكان التشبيه بالكاف باعتبار أن وجه الشبه فى المشبه به معروف ، ثم جاءت (مثل) للدلالة على التشابه بين المقالتين ، اذ ماثلت كل مقالة أختها ، وذلك فى خطأ التجريح والذم فى الآية الأولى ، وفى اقتراح الآيات وغير ذلك فى الآية الثانية ، فالتشابه نظرا الى توافق القولين معا فى كلتا الآيتين ، ويساعد على ذلك سياق الآية الثانية فى قوله (تشابهت قلوبهم) فان تشابه القلوب يلزم منه تشابه الأقوال والأفعال • فالآيتان بذلك جمعتا بين التشبيه والتشابه(٧١) •

٧٥ – قال تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين »(٧٢) •

(٦٩،٧٠) سورة البقرة ١١٣ ، ١١٨ •
(٧١) ينظر عروس الأفراح ٤١٤/٣ والبحر المحيط ٣٥٣/١ ، ٣٦٧ •
(٧٢) سورة آل عمران ١٤٠ •

(قرح مثله) أى مثله فى الإصابة من قتل وأسر ، أو من قتل ، أو من هزيمة ، ثلاثة أقوال ذكروها(٧٣) .

وعليه فالمثلية تكون فى كونه قرحا دون نظر الى زيادة ونقصان .

والمعنى : انهم ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر . فتشابه القرحان .

٧٦ — قال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون »(٧٤) .

(العرض) التافه الذى لا يثبت ولا يستقر ، وقوله تعالى : (عرض مثله) أى فى الحقارة وعدم القيمة و (مثل) لافادة تماثل العرضين فى صفه التفاهة ، ولا يبدو منها مساواة ناقص بكامل ، فهى تشابه العرضين معا فى الصفة ، والله أعلم .

٧٧ — قال تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حليه أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال »(٧٥) .

---

(٧٣) أنظر البحر المحيط ٣/٦٣ .
(٧٤) سورة الأعراف ١٦٩ .
(٧٥) سورة الرعد ١٧ .

قوله (أو متاع زبد مثله) المثلية هنا ــ والله أعلم ــ للتشابه في كون كل من الزبدين يتولد من الأوساخ والأكدار ، وليس أحدهما أولى بالوصف من الآخر ، اذ هو يخصهما معا على السوية ، فكلمة(مثل) للتشابه لعدم تحقق زيادة ونقصان بين طرفى الماثلة .

٨٨ ــ قال تعالى : « إن هذا لهو الفوز العظيم ● لمثل هذا فليعمل العاملون »(٧٦) .

المعنى : أى ليعمل كل جاد يبتغى الفوز يوم القيامة عملا يصل به الى مثل هذا الفوز . وكلمة (مثل) للتشابه ، لأنه ليس ثمة فوز آخر يماثل الفوز بالجنة ، فيمكن أن يتصور عندئذ زيادة ونقصان، ولأن الأمر بالعمل فى حقيقته من أجل ذلك الفوز ، قال الطبرى : « يقول تعالى ذكره : لمثل هذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة فى الآخرة ، فليعمل فى الدنيا لأنفسهم العاملون ، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم »(٧٧) .

وإذا كان العمل لادراك هذا الفوز اذ لا فوز بغيره فى الآخرة ، فلا يكون عندئذ ما هو ملحق به ، ومماثل له .

واذ قد تبين لنا الفرق بين مجىء (مثل) لافادة الحكم بالماثلة بالحاق الناقص بالكامل ، ومجيئها لإفادة الحكم بالتماثل بين الطرفين عندما لا ينظر الى زيادة ونقصان ، تبعا لما يقتضيه المقام ، ويساعد عليه السياق ، فانه يظهر لنا فساد تعميم القول بأن «مثل، ومثيل ، ومماثل ، وما يتفرع منها تفيد التسوية والتشابه . لا التشبيه ــ وأنه ــ قد ورد استعمالها فى القرآن الكريم ، للدلالة على التشابه

---

(٧٦) سورة الصافات ٦٠ ، ٦١ .

(٧٧) جامع البيان ٦٢/٢٣ .

والتساوى ، لا التشبيه بين المتفقين فى الجنس أو النوع ، فى كثير من أمور التشريع ، وفى تحدى الكافرين والكافة ، أن يأتوا بشىء مماثل للقرآن فى اعجازه ، وبلاغته ، وفى غيرهما من السياقات المقتضية لاستعمالها للدلالة على المساواة فى صفة أو صفات »(٧٨) •

وانما كان هذا التعميم فاسدا لأن ثمة فرقا — كما بينا — بين التسوية والتساوى وكذلك بينها وبين التشابه ، بقدر الفرق بين التشبيه والتشابه •

(الطريق الآخر) :

هو أن يؤتى بصيغة التشبيه ويكون الغرض من المجىء بها — حسب المقام — مجرد الجمع بين أمرين مرادا القدر المشترك بينهما دون نظر الى زيادة ونقصان فى الطرفين •

قال العصام : « ان أداة التشبيه قد تستعمل لمجرد قصد التشريك »(٧٩) مثال ذلك : أن تشبه غرة الفرس بالصبح ، أو الصبح بغرة الفرس ، قصدا الى وقوع منير فى مظلم أكثر منه ، دون نظر الى اختلاف الطرفين فى التلألؤ والانبساط وقوة الضوء بدلالة المقام • لأنه ان قصد ذلك كان من باب التشبيه المعهود ، وحيثما كان المراد المعنى الذى يتساوى فيه الطرفان يكون من باب التشابه (٨٠) •

ويستحسنون عند إرادة الجمع بين الطرفين على سبيل التساوى فى الوجه لا مطلق حصوله فيهما الإتيان بصيغة التشابه (الطريق

---

(٧٨) بيان التشبيه ٣١٧ ، ٣١٨ •

(٧٩) الأطول ٢/٩٥ •

(٨٠) ينظر شروح التلخيص ٣/٤١٥ •

الأول) لأن صيغة التشبيه تنبيء غالبا عن كون أحدهما ناقصـا والآخـر زائدا فى وجه الشـبه • « وانمـا لم يجب لأن المتـكلم قد يكون أحـد الطرفين عنـده أهم ، اما لكونه أول خاطر لمجيئه فيه ، أو لكونه المخبر عنه ، فيتقدم لكونه يجب أن يكون مبتدأ حينئذ ، فيخبـر عنه بكونه كالآخـر »(٨١) •

وشواهد هذا الطريق تخص أداة التشبيه (الكاف) دون (كأن) لأنها لما كـانت لتأكيد التشبيه نـاسب ذلك أن يكون القصد معها الى الحاق الناقص بالكامل ، وتأكيد هـذا الالحاق ، فلا تأتى (كأن) للتشابه • أما الكلمات الأخرى فقد بينا أنها ليست أدوات التشـبيه الاصطلاحى الذى يصـار به الى هذا الطريق الثانى ، ولذلك ذكـرنا شواهدها فى الطريق الأول •

والفيصـل بين ابقـاء شـواهد التشبيه كما هى من التشـبيه الإصطلاحى والخروج بها الى التشابه يرجع الى الغرض الذى سـيق من أجله الكلام ، وما يصحب ذلك من قرائن السـياق • وعلى المتلقى أن يتحرى بذوقـه واحساسه بالمعنى طريق هذا التشبيه ، اذ قـد يختلف الاعتبار تبعا لاختلاف الأغراض والمقامات ، فمثلا :

١٢٥ ★ — قول الله تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سـواء فلا تتخذوا منهم أوليـاء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخـذوهم واقتـلوهم حيث وجـدتموهم ولا تتخـذوا منهم وليـا ولا نصـيرا »(٨٢) •

---

(٨١) مواهب الفتاح ٣/٤١٥ •

(★) يجرى تسلسل الترقيم لآيات الكاف كلها ، وهى إثنتان وسبعون ومئتا آية •

(٨٢) سورة النساء ٨٩ •

التشبيه فى قوله : (لو تكفرون كما كفروا) ليس من التشبيه المعهود الذى يقصد به زيادة وجه الشبه فى المشبه به ونقصان فى المشبه ، والحاق الناقص بالكامل •

لأن الغرض الإخبار عن تمنى المنافقين مجرد وقوع الكفر من المؤمنين كما هو واقع منهم ، لا أن يصير كفرهم — حاشاهم من ذلك — مساويا لكفر المنافقين ، فالمقام يمنع ذلك ألبته • والسياق أيضا يساعد على ذلك باشتماله على كلمة (سواء) التى تدل على التشابه بطريقه الأول • أى تكونون سواء فى الكفر ، لا أن يساوى كفرهم فى أسبابه وصفاته ويصير مثله •

١٢٦ — وقول الله تعالى : « ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »(٨٣) •

قال الزمخشرى : « تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم ، كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار »(٨٤) ومن الواضح البين أن السيد لا يخاف أن يستبد برأيه دون عبده ، وأن يتصرف فى الأمور حلا وعقدا دون أن يرجع اليه ، واذا كان كذلك فانه يتأبى أن يكون القصد الحاق ما عند السادة من خوفهم عبيدهم بما يكون بين السادة من خوف بعضهم لبعض ، لأنه ليس ثمة خوف قطعا من السادة لعبيدهم ، فالتشبيه بين الخوفين فى مجرد الوقوع ، فيعد من باب التشابه لذلك •

---

(٨٣) سورة الروم ٢٨ •
(٨٤) الكشاف ٣/٢٢١ •

١٢٧ — وقوله تعالى في قصة ملكة سبأ : « فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين »(٨٥) .

جاء قولهم : « أهكذا عرشك » في مقام تعريفها بعرشها الذي نكروه لها ، فالسؤال عن كمال المشابهة التي هي حقيقة التشابه ، يدل على ذلك مساق الكلام ، فقد سألوها عن مشابهة عرشها لما تراه أمامها ، جاعلين الحاضر أمامها المشبه به ، ومعلوم أن طبيعة المشبه به الظهور وعدم الخفاء لدى المتكلم والسامع ، وجعلوا عرشها الذي تعلمه مشبها ، فصار الطرفان واضحين أمامها لا تخفى حقيقتهما عليها . هذا مع ما في السياق من ايقاظ الذهن بالتشبيه والاشارة ولذلك لم تلبث أن قالت : (كأنه هو) فقربت بينهما وجعلتهما في دائرة واحدة بالمجيء بلفظ التشبيه (كأن) والإخبار عنه بلفظ الضمير (هو) بما له من دلالة على حقيقة الشيء وماهيته .

قلنا ان مرجع اعتبار صيغة التشبيه من باب التشابه الى المعنى الذي يفهم من الكلام . ويتبدى لنا اختلاف الاعتبار عند العلماء في تفسيرهم الآية الآتية :

١٢٨ — قال تعالى : « وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »(٨٦) .

قوله (كذلك نخرج الموتى) أي اخراجا مثل ذلك — وهو اخراج الثمرات — نخرج الموتى لعلكم تذكرون . التشبيه هنا في مجرد الفعل

---

(٨٥) سورة النمل ٤٢ .

(٨٦) سورة الأعراف ٥٧ .

لذلك يكون من بـــاب التشابه ، وبينما يرى الزمخشرى هذا التفســير يقول أبو حيان : « وهل التشبيه فى مطلق الإخراج ، ودلالة إخـــراج الثمرات على القدرة فى اخراج الأموات ، أم فى كيفية الإخراج ، وأنه ينزل مطـــر عليهم فيحيــون كما يـــنزل المطـــر على البـــلد الميت فيحيا نباته ، احتمـــالان »(٨٧) .

وهذا الاحتمال الثانى الذى ذكره أبو حيان فيه إبقاء للتشـــبيه على حاله بالحاق الخفى بالظاهر ، وبيان حال هذا الاخراج .

وضح مما قدمناه أن التشـــبيه الذى يصير الى الطريق الثـــانى للتشابه يكون القصد منه مجرد اتفاق الطرفين فى وجـــه الشبه ، دون خصوصيات فيه ، كأن تراعى فيه زيادة ونقصـــان أو ظهور وخفاء .. وقد قلنا عند بدء الحديث عن التشبيه بالكاف أن التشبيه بين الأفعـــال ضربان ضرب يلحظ فيه كمال وجه الشبه فى المشبه وضرب لا يكون القصد منه الا الى مجرد اتفاق الطرفين فى وجه الشبه ، وتدخل شواهده فى باب التشابه ، وهو كثير فى القرآن الكريم . وهذه الشواهد مع كثرتهـــا لا تختلف فى طبيعة هذه الدلالة . أى القصـــد الى مجرد الجمـــع بين الطرفين ، وان كانت تختلف حسب مقاماتها ومواقعها التى جاءت فيها . فقد تكون فى مقام الحديث عن الوحى وارســـال الرسل ، أو الحديث عن الآيـــات وبيانها وتفصيلها ، أو عن الخلق والإحياء والإماتة . أو عن الايمان ، وما يصاحب الطاعة من نعم فى الأولى والآخرة ، أو عن الكفر والمعـــاصى والجزاء عليها وما يرتبط بذلك ، أو عن ابتلاء ، أو بيان تشريع ، أو حكم ، أو ضرب مثل ، الى غير ذلك .

وسنذكر هذه الشواهد حسب كثرة ورودها فى القرآن الكريم ،

---

(٨٧) البحر المحيط ٣١٨/٤ وانظر الكشاف ٨٤/٢ .

وبصورة مختصرة في البيان لوضوح الرؤية فيها بعد ما قدمنا من بيان الفرق بين التشبيه التشابه .

أولا : شواهد الحديث عن الهداية والإيمان وما يصاحب ذلك من تفضل الله على عبادة وتكريمه لهم .

١٢٩ ــ قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم »(٨٨) .

قال الطبري : « كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبماجاءكم به من عند الله كذلك فضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطا »(٨٩) فالتشبيه مراد به القدر المشترك بين الطرفين وهو مجرد الوقوع ، فهو من باب التشابه .

١٣٠ ــ قال تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »(٩٠) .

(كما حملته على الذين من قبنا) التشبيه لمجرد اتفاق الطرفين في مجرد الحصول .

---

(٨٨) سورة البقرة ١٤٣ .

(٨٩) جامع البيان ٢/٦ .

(٩٠) سورة البقرة ٢٨٦ .

ومقام الدعاء يدل على رجاء حمل المشقة ورفع الإصر قل أو كثر ، لا أن يكون خاصا بما هو مثل الإصر الذى حمله غيرهم من الأمم السابقة ، والله أعلم .

١٣١ ــ قال تعالى : « ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل من ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين »(٩١) المعنى على وقوع الجزاء لا أن يكون الجزاء المخصوص المشار اليه فى (وكذلك نجزى المحسنين) فهو من باب التشابه .

١٣٢ ــ قال تعالى : « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين »(٩٢) التشبيه فى مطلق النجاة ، اما الخصائص من الأحوال والأسباب فهى تختلف .

١٣٣ ــ قال تعالى : « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك حكيم عليم »(٩٣) .

فى الآية شاهدان : (وكذلك يجتبيك ربك) و (كما أتمها على أبويك) وهما من باب التشابه .

١٣٤ ــ قال تعالى : « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٩٤) .

---

(٩١) سورة الأنعام ٨٤ .
(٩٢) سورة يونس ١٠٣ .
(٩٣) سورة يوسف ٦ .
(٩٤) سورة يوسف ٢١ .

(وكذلك مكنا ليوسف) أي كما أنجيناه وجعلنا العزيز يعطف عليه مكنـــاه •

١٣٥ ـ قال تعالى : « ولمـا بلغ أشـــده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين »(٩٥) المشابهة فى مطلق الإحسان اليهم ، دون نظر الى نوعه ، أو زيـــادة ونقصـــان •

١٣٦ ـ قال تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين »(٩٦)•

(كذلك لنصرف عنه السـوء) أى مثل تلك الرؤية نثبته ونريه البراهين (٩٧) فالمشابهة من بـــاب التشابه فى مطلق إ نعام الله عليه •

١٣٧ ـ قال تعالى : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منهـا حيث يشـاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين »(٩٨)•

أى مثل التمكين الذى ظهر له عند الملك مكنا له فى الأرض •

١٣٨ ـ قال تعالى : « جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتهـــا الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين »(٩٩) •

أى مثل هذا الجزاء من دخول الجنة تجزى كل متق طائع •

١٣٩ ـ قال تعالى : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من

---

(٩٥) سورة يوسف ٢٢ •
(٩٦) سورة يوسف ٢٤ •
(٩٧) ينظر الكشاف ٢/٣١٢ والبحر المحيط ٥/٢٩٦ •
(٩٨) سورة يوسف ٥٦ •
(٩٩) سورة النحل ٣١ •

الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون »(١٠٠) .

التشبيه فى مجرد وقوع النعمة فى المستقبل كما حصلت لهم فى الماضى .

١٤٠ ــ قال تعالى : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين »(١٠١) .

أى كما حصل ليونس النجاة يحصل للمؤمنين النجاة من شدائدهم ، وليست نجاة المؤمنين مماثلة لنجاة يونس فى خصائص أفعالها وصفاتها .

١٤١ ــ قال تعالى : « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون »(١٠٢) .

١٤٢ ــ وقال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين »(١٠٣) .

المشابهة فى وقوع تسخير الإبل فى حبسها وذبحها ، وتكرار التشبيه تكرار للمن بالنعمة ، والله أعلم .

١٤٣ ــ قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن

---

(١٠٠) سورة النحل ٨١ .
(١٠١) سورة الأنبياء ٨٨ .
(١٠٢) سورة الحج ٣٦ .
(١٠٣) سورة الحج ٣٧ .

لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(١٠٤)
(كما استخلف الذين من قبلهم) .
المشابهة لا ينظر فيها الى زيادة ونقصان ، وانما فى مطلق التمكين ، إذ قد يكون المشبه وهو استخلاف أمة محمد عليه الصلاة والسلام أقوى وأمكن ، فالمعنى على التشابه فى مجرد الوقوع .

١٤٤ ــ قال تعالى : « كذلك وأورثناها بنى اسرائيل »(١٠٥) .
أى مثل ذلك الإخراج الذى أخرجناهم أورثناهم الأرض .

١٤٥ ــ قال تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين »(١٠٦) .
أى كما أكرما موسى بالاستواء جسما وعلما نجزى المحسنين ، فالمعنى هنا على التشابه . ومن قبيل جزاء المحسنين الآيات الآتية :

١٤٦ ــ قال تعالى : « سلام على نوح فى العالمين . إنا كذلك نجزى المحسنين »(١٠٧) .

١٤٧ ــ قال تعالى : « قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين »(١٠٨) .

١٤٨ ــ قال تعالى : « سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين »(١٠٩) .

---

(١٠٤) سورة النور ٥٥ .
(١٠٥) سورة الشعراء ٥٩ .
(١٠٦) سورة القصص ١٤ .
(١٠٧) سورة الصافات ٧٩ ، ٨٠ .
(١٠٨) سورة الصافات ١٠٥ .
(١٠٩) سورة الصافات ١٠٩ ، ١١٠ .

١٤٩ ـ قال تعالى : « سلام على موسى وهارون ● إنا كـذلك نجزى المحسـنين »(١١٠) .

١٥٠ ـ قال تعالى : « سلام على إل ياسين ● انـا كذلك نجزى المحسنين »(١١١) .

١٥١ ـ قال تعالى : « كذلك وزوجناهم بحور عين »(١١٢) .

المشابهة بين دخولهم المقام الكريم وتزويجهم الحـور العين فى مجرد حصول الإنعام والتكريم لهم .

١٥٢ ـ قال تعالى : « نعمة من عند كذلك نجزى من شكر »(١١٣) .

١٥٣ ـ قال تعالى : « كلوا واشربوا هنيئا بما كنتـم تعملون ● إنـا كذلك نجزى المحسنين »(١١٤) .

وهكذا رأينا فى الشواهد السابقة أن المشـابهة فى مطلق تحقق الفعلين ووقوعهما خارجا ـ غير منظور فيها الى زيـادة ونقص . أو خصائص أخرى فى الفعل تصير بالتشبيه الى معنى من المعـانى التى ذكرناها فى مبحث الكـاف ..

ثانيا : شواهد الحديث عن الكفر والمعاصى وما يرتبط بذلك من جزاء وغـيره ..

١٥٤ ـ قال تعالى : « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النـار »(١١٥) .

---

(١١٠) سورة الصافات ١٢٠ ، ١٢١ .
(١١١) سورة الصافات ١٣٠ ـ ١٣١ .
(١١٢) سورة الدخان ٥٤ .
(١١٣) سورة القمر ٣٥ .
(١١٤) سورة المرسلات ٤٤ .
(١١٥) سورة البقرة ١٦٧ .

فى الآية شاهدان : « كما تبرءوا منا » و (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات) . والمشابهة فى مطلق الحصول لامكان اختلاف الطرفين عن بعضهما .

١٥٥ — قال تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون »(١١٦) .

فى الآية تشبيهان (كمن مثله فى الظلمات) وهو تشابه بدليل عكس التشبيه فيه ، و (كذلك زين) وهو شاهد هذا الموضع .

١٥٦ — قال تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » (١١٧) .

أى مثل ذلك الجعل من تضيق الصدر يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . فالمشابهة فى مطلق حصول الفعلين .

١٥٧ — قال تعالى : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون »(١١٨) .

(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ذلك التكذيب المشار اليه فى الآية قبلها (فان كذبوك) كذبت الأمم السابقة . فالتشبيه لافادة

---

(١١٦) سورة الأنعام ١٢٢ .

(١١٧) سورة الأنعام ١٢٥ .

(١١٨) سورة الأنعام ١٤٨ .

التشـــابه وليس فيه زيادة ونقصيـــان منظور اليهما • ويدل على أن الغرض مجــرد الجمع بينهما فى وقوع التكذيب ؛ أنه لو كان الغرض التشبيه لكان المناسب للمقـــام ـــ والله أعـــلم ـــ أن يشـــبه تكذيبهم للرسول ﷺ بتكذيب من سبقوهم •

١٥٨ ـــ قال تعـــالى : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشـــيطان كما أخرج أبويكم من الجنـــة ينزع عنهما لباسهما ليريهما ســـوآتهما انه يراكم هو وقبيـــله من حيث لا ترونهم انا جعلنـــا الشياطين أوليـــاء الذين لا يؤمنـــون »(١١٩) •

أى فتنة مثل فتنة اخراج أبويكم فى الوقوع والحصـــول ، لا فى نوعهـــا •

١٥٩ ـــ ١٦٠ ـــ قال تعالى : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـــا لا تفتح لهم أبواب الســـماء ولا يدخلون الجنـــة حتى يلج الجمل فى ســـم الخيـــاط وكذلك نجزى المجرمين • لهم من جهنم مهـــاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين »(١٢٠) •

(كذلك نجـــزى) فى الآيتين للتشابه لأنه فى مجرد وقوع الفعلين •

١٦١ ـــ قال تعـــالى : « الذين اتخـــذوا دينهم لهـــوا ولعبـــا وغرتهم الحيـــاة الدنيـــا فاليـــوم ننســـاهم كما نســـوا لقـــاء يومهم هـــذا وما كانوا بآياتنـــا يجحـــدون »(١٢١) •

المشابهة فى مجرد وقوع النســـيان ؛ ليس الغرض التشبيه ، لأن نسيان الله أشـــد وأخزى ، وقانا الله ذلك •

---

(١١٩) سورة الأعراف ٢٧ •
(١٢٠) سورة الأعراف ٤٠ ، ٤١ •
(١٢١) سورة الأعراف ٥١ •

١٦٢ ـــ قال تعـــالى : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقـــد جاءتهم رســـلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنـــوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين »(١٢٢) المشابهة فى مجرد وقوع الطبع .

١٦٣ ـــ قال تعـــالى : « قالوا يا موسى اجعـــل لنـــا الهـــا كما لهم آلهة قال انـــكم قوم تجهلون »(١٢٣) (كما لهم آلهـــة) أى فى مجرد حصول آلهة لهم .

١٦٤ ـــ قال تعـــالى : « ان الذين اتخـــذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيـــاة الدنيـــا وكذلك نجزى المفترين » ســـورة الأعراف ١٥٢ .

١٦٥ ـــ ١٦٦ ـــ قال تعـــالى : « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبـــه أو قاعـــدا أو قائمـــا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنـــا الى ضر مســـه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون . ولقـــد أهلكنـــا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رســـلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين » سورة يونس ١٢ ، ١٣ .

١٦٧ ـــ قال تعـــالى : « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فســـقوا أنهم لا يؤمنـــون » يونس ٣٣ .

١٦٨ ـــ قال تعـــالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبـــة الظالمين » ســـورة يونس ٣٩ .

١٦٩ ـــ قال تعـــالى : « ثم بعثنـــا من بعـــده رســـلا الى قومهم

---

(١٢٢) سورة الأعراف ١٠١ .

(١٢٣) سورة الأعراف ١٣٨ .

فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » سورة يونس ٧٤ •

١٧٠ — قال تعالى : « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » سورة هود ٣٨ •

١٧١ — قال تعالى : « كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » سورة هود ٩٥ •

١٧٢ — قال تعالى : « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » سورة هود ١٠٢ •

١٧٣ — قال تعالى : « كذلك نسلكه في قلوب المجرمين » سورة الحجر ١٢ •

١٧٤ — قال تعالى : « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين » سورة الشعراء ٢٠٠ •

ذكر أبو حيان أجود المعاني في تفسير السلك قائلاً : « قال ابن عطية : الضمير في نسلكه عائد على الاستهزاء والشرك ونحوه ••»(١٢٤) وعلى هذا يكون التشابه في مجرد وقوع الفعل الذي هو من أفعال العصاة والكافرين ، وعلى جعل الضمير للقرآن يكون الشاهد من ضرب الحديث عن الوحي للتشابه أيضاً •

١٧٥ — قال تعالى : « وقل اني أنا النذير المبين • كما أنزلنا على المقتسمين » سورة الحجر ٨٩ — ٩٠ — أي أنذر قومك كما أنذرنا المقتسمين فأنزلنا عليهم العذاب وهم يهود قريظة والنضير ، فالتشابه في مجرد الوقوع(١٢٥) •

---

(١٢٤) البحر المحيط ٤٤٨/٥

(١٢٥) ينظر الكشاف ٣٩٨/٢ والبحر المحيط ٤٦٦/٥

١٧٦ — قال تعالى : « هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ». سورة النحل ٣٣ . أى تشابه فعلهم وفعل من سبقوهم فى التكذيب .

١٧٧ — قال تعالى : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين » سورة النحل ٣٥ .

١٧٨ — قال تعالى : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا » سورة الاسراء ٤٢ .

١٧٩ — قال تعالى : « قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى » سورة طه ٨٧ .

(فكذلك ألقى السامرى) تشابه لأنه لو كان تشبيها لشبهوا ما فعلوه بفعل السامرى .

١٨٠ — قال تعالى : « قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » سورة طه ٩٦ .

١٨١ — قال تعالى : « قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » سورة طه ١٢٦ .

أى كما كان لك من المعيشة الضنك وحشرك يوم القيامة أعمى أتتك آياتنا فنسيتها ، وكما نسيتها تنسى . فالكاف للتشابه فى الشاهدين .

١٨٢ ـ قال تعـالى : « وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعـذاب الآخرة أشـد وأبقى » سورة طه ١٢٧ •

أى كما جزينـا من نسى الآيات نجـزى من أسرف فالجـزاءان متشابهان فى التحقق •

١٨٣ ـ قال تعـالى : « ومن يقل منهم أنى اله من دونه فذلك نجـزيه جهنم كذلك نجزى الظـالمين » سـورة الأنبياء ٢٩ •

أى كما نجزى من يكفر ويشرك بالله نجزى كل ظالم على ظلمه أيا كان هذا الظلم ، فصيغة التشبيه للتشابه فى مطلق وقوع الجزاء •

١٨٤ ـ قال تعالى : « قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعـزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » سـورة النمل ٣٤ •

الكاف للتشابه لأن المشبه والمشبه به بمعنى واحد •

١٨٥ ـ قال تعـالى : « قال الذين حق عليهم القول ربنـا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينـا تبرأنا اليـك ما كانوا ايانا يعبدون » سـورة القصص ٦٣ •

(كما غوينا) أى غيا كغينا • فالكاف للتشـابه فى مجرد الوقوع لا كونه على درجتـه • فيكون عندئذ تشبيها •

١٨٦ قال تعـالى : « ويوم تقوم الساعة يقسـم المجـرمون مالبثـوا غير سـاعة كذلك كانوا يؤفكون » سـورة الروم ٥٥ •

أى كما أتوا بالافك والضـلال وعدم التثبت أقسموا على ذلك •

١٨٧ ـ قال تعـالى : « كذلك يطبـع الله على قـلوب الذين لا يعلمـون » سـورة الروم ٥٩ •

أى كما طبع الله على قلوب الكفرة (فى الآية السابقة) يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون بمنع الألطاف عنهم •

١٨٨ ـ قال تعالى : « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب » سورة سبأ ٥٤ .

(كما فعل بأشياعهم) أى يتشابه ما فعل بهم وما فعل بأشياعهم من الحرمان .

١٨٩ قال تعالى : « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور » سورة فاطر ٣٦ .

أى تتشابه أجزية الكافرين جميعا فيما ذكرته الآية من الخلود فى النار .

١٩٠ قال تعالى : « فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون . انا كذلك نفعل بالمجرمين » الصافات ٣٣ ، ٣٤ أى يتشابهون فى العذاب ويشتركون فيه . فهم فيه سواء .

١٩١ ـ قال تعالى : « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار » غافر ٦ . أى تشابه هلاكهم فى الدنيا وصحبتهم للنار يوم القيامة فى الوجوب عليهم .

١٩٢ ـ قال تعالى : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » سورة غافر ٣٤ .

أى اضلال الله لهم تشابه مع اضلال المسرفين المرتابين .

١٩٣ ـ قال تعالى : « الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » سورة غافر ٣٥ .

هكذا طبع الله على قلوب المتكبرين ، تشابهت قلوبهم فتشابه جزاؤهم .

١٩٤ ــ قال تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب • أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب » سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ •

أى مثل الذى ذكرنا من التزيين والصد زين لفرعون سوء عمله ، فالمتشابهان بمعنى واحد •

١٩٥ ــ قال تعالى « كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون » سورة غافر ٦٣ • أى تتشابه قلوب الجاحدين فى الصرف عن الحق وعن آيات الله •

١٩٦ ــ قال تعالى : « ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون • من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين » سورة غافر ٧٣ ، ٧٤ • أى يتشابه الضالون فى اضلال الله وصرفهم عن الحق •

١٩٧ ــ قال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » الزخرف ٢٣ • أى كما قال الذين من قبلهم انا وجدنا آباءنا على أمة كذلك قال كفار مكة فتشابهت قلوبهم وأقوالهم ، ولوجود هذا التشابه شبه ما قاله السابقون بقول أهل مكة وكفارها •

١٩٨ ــ قال تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون • وزروع ومقام كريم • ونعمة كانوا فيها فاكهين • كذلك وأورثناها قوما آخرين » سورة الدخان ٢٥ ــ ٢٨ • أى مثل ذلك الاخراج من الجنات والعيون لفرعون وأشياعه أورثناها قوما غيرهم ، فالتشابه حصل فى وقوع الأمرين وانفاذ الله لهما •

١٩٩ — قال تعالى : « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » سورة الجاثية ٣٤ .

تشابه نسيان الله ونسيانهم فى الوقوع ، ويدل على التشابه اختلاف النسيانين طبيعة وأثرا فالكاف ليست للتشبيه .

٢٠٠ — قال تعالى : « تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » سورة الأحقاف ٢٥ .

أى كذلك نجزى ونوقع العقاب بكل مجرم ظالم فالكاف للتشابه فى وقوع الجزاء على جميع الظالمين وليست للتشبيه لأن مقتضاه أن يكون جزاء المجرمين جميعا ارسال الريح عليهم وتدميرهم بها . وليس الأمر كذلك .

٢٠١ — قال تعالى : قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما : سورة الفتح ١٦ . القصد والله أعلم — مطلق التولى فالصيغة للتشابه وهو واضح .

٢٠٢ — قال تعالى : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون » الذاريات ٥٢ . أى تشابهت قلوبهم وأقوالهم .

٢٠٣ قال تعالى : « ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين » سورة المجادلة ٥

٢٠٤ — قال تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون » سورة المجادلة ١٨ .

(كما يحلفون لكم) التشابه في مطلق الوقوع . ويدل على ذلك أن وجه الشبه وهو ظهور الكذب أوضح في المشبه وهو كذبهم يوم القيامة على الله تعالى .

٢٠٥ ـ قال تعالى : « كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » سورة القلم ٣٣ . أي يتشابه ما يصيبهم في الدنيا مع عذاب أهل الجنة التي أصبحت كالصريم لكن عذاب الله في الآخرة أكبر لا مقارنة بينه وبين عذاب الآخرة .

٢٠٦ ـ قال تعالى : وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر » سورة المدثر ٣١ .

(كذلك يضل الله من يشاء) تشابه في وقوع الاضلال ، اذ تختلف درجات الضلال وطرائقه . فالكاف للتشابه .

٢٠٧ ـ قال تعالى : « ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخرين . كذلك نفعل بالمجرمين » سورة المرسلات ١٦ ـ ١٨ .

أي يتشابه ما نفعله بالمجرمين جميعا .

وقد جاء نفي التشابه بين جزاءي الكفر والايمان في الآية الآتية :

٢٠٨ ـ قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين » سورة التوبة ١٩ .

فالمعنى على انكار أن يكون بين أعمال المشركين وعمارتهم المسجد

أية مشابهة مع ايمـان المؤمنين وأعمالهم ، لا مشابهة مخصوصة ،فانتفت التسوية بينهما فى وجود مجرد الفضل فيهما ، لأن فى ذلك ظلما كبيرا .

ثالثـا : شواهد التشبيه بين المصادر الدالة على الوحى وارسال الرسـل ، ونلحظ فى شـواهد هذا النوع أن منها ما يكون دالا على التشابه فى مجرد وقوع الفعل دون نظر الى زيادة ونقصان ، ومنها ما يكون مراعى فيه تمام الشبه بين الطرفين وكثيرا ما يكون ذلك عندما يكون المشبه هو المشبه به باعتبار حالين .

فمن شـواهد التشابه فى مجرد الوقوع ما يأتى :

٢٠٩ ـ قال تعـالى : « انا أوحينـا اليك كما أوحينـا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقـوب والأسـباط وعيسى وأيوب ويونس وهـارون وسليمان وآتينـا داود زبـورا » سورة النساء ١٦٣ .

(كما أوحينا الى نوح) الكاف هنا لافادة التشابه فى كون الرسول عليه الصـلاة والسـلام أوحى اليه وكذلك المرسلون عليهم الصـلاة والسـلام . فالتشابه فى مجرد الوحى ، وهو القدر المشترك بينهم ، دون النظر الى خصائص الموحى به لكل نبى منهم .

٢١٠ ـ قال تعالى : « كذلك أرسلناك فى أمـة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينـا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليـه توكلت واليـه متـاب » سورة الرعد ٣٠ .

تشابه بين ارساله وارسال الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام فى مجـرد الوقـوع .

٢١١ ـ قال تعـالى : « كذلك نقص عليـك من أنبـاء ما قد سبق وقد آتينـاك من لدنا ذكرا » سورة طه ٩٩ .

تشابه فى القصص ووقوعــه ، قصص موسى وفرعون وغيره من قصص الأمم الأخرى •

٢١٢ ــ قال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى مــا الكتــاب ولا الايمــان ولكن جعلنــاه نورا نهــدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » سورة الشورى ٥٢ •

أى مثل ما أنزلنا إلى الأنبياء قبلك وأوحينا اليهم أوحينــا اليك•

٢١٣ ــ قال تعــالى : « انا أرســلنا اليكم رســولا شــاهدا عليكم كما أرســلنا الى فرعون رســولا » سورة المزمل ١٤ •

كاف التشبيه هنا لإفادة التشابه فى المعنى المشترك بينهما وهــو تحقق الارسال •

فى الشواهد الآتية تلحظ التشابه ، والمشبه والمشبه به بمعنى •

٢١٤ ــ قال تعــالى : « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخــاه فى دين الملك الا أن يشــاء الله نرفع درجات من نشــاء وفوق كل ذى علم عليم » يوسف ٧٦ •

أى مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه وأوحينا به اليــه(١٢٦) أى مثل الكيد الذى أخبر الله به وتعليمــه له كان الوحى اليــه به ليفعــله •

٢١٥ ــ قال تعــالى : « وكذلك أنزلناه حــكما عربيــا ولئن اتبعت أهواءهم بعــد ما جاءك من العــلم مالك من الله من ولى ولا واق » ســورة الرعــد ٣٧ •

أى وكذلك الانزال الذى أنزلناه ننزل القرآن حكما عربيا ، ومثلها :

---

(١٢٦) الكشاف ٢/٣٣٥ •

٢١٦ — قوله تعالى : وكذلك أنزلناه حكما عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » سورة طه ١١٣ .

٢١٧ — قال تعالى : « وكذلك أنزلناه آيات بينات وان الله يهدى من يريد » سورة الحج ١٦ .

أى أنزلنا القرآن كله مثل ذلك فى البيان والوضوح من غير تفاوت .

٢١٨ — قال تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » سورة الفرقان ٣٢ .

أى نزل القرآن بهذه الصورة التى نزل عليها ، وهى كونه مفرقا .

٢١٩ — قال تعالى : « وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون » سورة العنكبوت ٤٧ .

أى مثل هذا الانزال الذى علمته ويسمعه من حوله أنزلناه ، أو مثل الكتب السابقة أنزلناه(١٢٧) .

٢٢٠ — قال تعالى : «كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » سورة الشورى ٣

٢٢١ — قال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير » سورة الشورى ٧ .

أى ينزل عليك الوحى على درجة واحدة من البلاغة : ما نزل وما سينزل .

---

(١٢٧) ينظر الكشاف ٣/٢٠٨ .

رابعـا : شـواهد جاءت فى معرض الحديث عن الآيات وبيـانها وتفصيلها :

٢٢٢ ــ قال تعـالى : « أحل لكم ليلة الصـيام الرفث الى نسائكم هن لبـاس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسـكم فتاب عليكم وعفـا عنـكم فالآن باشروهن وابتغـوا ما كتب الله لكم وكلوا اشربوا حتى يتبين لكم الخيـط الأبيض من الخيط الأسود من الفجـر ثم أتمـوا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حـدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » سـورة البقـرة ١٨٧ •

(كذلك يبين الله لكم الآيات) أى البيـان كله يتشـابه فى الدقة والاحـكام •

وجاء التشابه فى البيـان أيضا فى الآيات الآتية :

٢٢٣ ــ قال تعالى : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » البقـرة ٢١٩ •

٢٢٤ ــ قال تعـالى : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » البقـرة ٢٤٢ •

٢٢٥ ــ قال تعـالى : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون» البقـرة ٢٦٦ •

٢٢٦ ــ قال تعـالى : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » آل عمـران ١٠٣ •

٢٢٧ ــ قال تعـالى : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون» المـائدة ٨٩ •

٢٢٨ ــ قال تعـالى : « كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » النـور ٥٨ •

[٢٠] قال تعــالى : « كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم »
النــــور ٥٩ .

٢٢٩ ـــ قال تعــالى : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »
النــــور ٦١ .

وقد جاءت بعض الشواهد بلفظ التفصيل كما فى الآيات الآتية :

٢٣٠ ـــ قال تعالى : « وكذلك نفصــل الآيات ولتستبين ســـبيل المجرمين » سورة الأنعام (٥٥) .

٢٣١ ـــ قال تعالى : « كذلك نفصــل الآيات لقوم يعلــمون »
سورة الأعراف(٣٢) .

٢٣٢ ـــ قال تعالى : « وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعــون »
ســـورة الأعراف(١٧٤) .

[٦٦] قال تعالى : « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » سورة يونس(٢٤) .

[١١٦] قال تعالى : « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » سورة الـــروم (٢٨) .

وجاءت شواهد أخرى بلفظ التصريف كما فى الآيات الآتية .

٢٣٣ ـــ قال تعالى : « وكذلك نصرف الآيات وليقــولوا درست ولنبينه لقوم يعـــلمون » سورة الأنعام(١٠٥) .

٢٣٤ ـــ قال تعــالى : « كذلك نصرف الآيات لقوم يشــــكرون »
سورة الأعــراف : ٥٨ .

خامسا : شواهد فى معرض الحديث عن الابتلاء والأختبار ، وجاءت فيما يـــأتى :

٢٣٥ ــ قال تعالى : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » سورة النساء : ١٠٤ •

(كما تألمون) تشابه فى الاصابة بالبلاء وليس فيه ــ والله أعلم ــ مراعاة لزيادة ونقصان فهو لمجرد الاصابة فى الطرفين •

٢٣٦ ــ قال تعالى : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » سورة الأنعام : ٥٣

أى ان ابتلاء هذه الأمة بفتون بعضها ببعض بتشابه هو وفتون الأمم السابقة ، فالكاف للتشبيه فى مجرد وقوع الفتن •

٢٣٧ ــ قال تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » سورة الأنعام : ١٠٨ •

أى تزيين العمل لكل أمة واقع على حد سواء اختبارا من الله تعالى •

٢٣٨ ــ قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » سورة الأنعام : ١١٢ •

(وكذلك ••) الكاف للتشابه • اذ لا ينظر الى زيادة ونقصان ويؤكد كون هذه الآية وأخواتها للتشابه لفظ (كل) بما فيه من دلالة على ارتباط هذا الجعل بكثيرين • تشابهوا فيه •

٢٣٩ ــ قال تعالى : « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها

ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » سورة الأنعام : ١٢٣ .

أى هذا الجعل فى جميع القرى على حد سواء حتى فى أم القرى ، اذ فيها من صناديد الكفر ما يمكرون فيها .

٢٤٠ — قال تعالى : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » الأنعام : ١٢٩ .

٢٤١ — قال تعالى : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون » سورة الأنعام : ١٣٧ .

٢٤٢ — قال تعالى : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » سورة الأعراف : ١٦٣ .

(كذلك نبلوهم) الكاف للتشابه فى مجرد وقوع البلاء : لأنه لا يتعين أن يكون بلاء الفاسقين دائما مثل بلاء يوم السبت .

٢٤٣ — قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا » سورة الفرقان : ٣١ .

٢٤٤ — قال تعالى : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين » سورة القلم : ١٧ .

سادسا : شواهد فى معرض الحديث عن الخلق والإحياء وجاءت فى هذه الآيات :

[١] قال تعالى : « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » سورة البقرة : ٧٣ .

واضح أن الصيغة (كذلك يحيي الله الموتى) تفيد التشابه فى مجرد وقوع الإحياء ولا يراد بها — والله أعلم — أن الإحياء عند البعث يكون مماثلا لإحياء هذا القتيل الذى ضرب بقطعة من لحم البقرة التى أمروا بذبحها .وهذا واضح جلى .

٢٤٥ — قال تعالى : « وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين » سورة االأنعام : ١٣٣ .

. التشابه فى الوقوع والقدرة على الإذهاب كالقدرة على الإنشاء .

٢٤٦ — قال تعالى : « قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون » سورة الأعراف : ٢٩ .

التشبيه فى الخلق والقدرة عليه وليس التشبيه لبيان الكيفية بأن يكون خلقهم من طين كما كان بدؤهم .

٢٤٧ — قال تعالى : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » سورة الرعد : ١٦ .

(خلقوا كخلقه) أى وقع منهم خلق كما كان من الله خلق فالكاف للتشابه فى وجود خلقين . لا أن المعنى خلقوا خلقا مماثلا لخلق الله :(١٢٨) .

٢٤٨ — قال تعالى . « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم .. الآ » سورة الكهف : ١٩ .

---

(١٢٨) انظر تحليل التشبيه فى الآية صفحة ١٢١ وما بعدها .

أى كما أنمناهم بعثناهم ، فذلك فى قدرة الله سواء •

٢٤٩ ـ قال تعالى : « وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حـق » الكهف : ٢١ •

٢٥٠ ـ قال تعالى : « قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شـيئا » سورة مريم : ٩ •

أى أمر خلق يحيى فى مراد الله كما يخبر الله به •

٢٥١ ـ قال تعالى : « قـال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا » سورة مريم : ٢١ •

[٣٨] قال تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنـا كنا فاعلين » سورة الأنبياء : ١٠٤

الشاهد هنا (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى الخلق سـواء فى القـدرة بدءا وإنتهـاء •

٢٥٢ ـ قال تعـالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » سورة الروم : ١٩ •

أى إخراجكم من القبور كاخراجكم من طين ، فى القدرة سواء •

٢٥٣ ـ قال تعالى : « والله الذى أرسـل الرياح فتثير سـحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشـور » سـورة فـاطر : ٩ •

٢٥٤ ـ قال تعالى : « والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » سـورة الزخرف : ١١ •

(كذلك تخرجون) تشابه فى الاخراج والقدرة عليه وليس فى هيئة الإخراج الذى عليه إخراج النبات بالمـاء •

٢٥٥ ــ قال تعــالى : « رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتــا كذلك الخروج » سورة ق : ١١ وهي كالشواهد من هذا الضرب .

سابعا : وهذه شواهد فى بيان الأحكام وضرب الأمثال :

٢٥٦ ــ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » سورة البقرة : ١٨٣ .

الكاف للتشابه فى وقوع التشريع لا فى خصائص الشرع .

٢٥٧ ــ قــال تعالى : « أنزل من السماء ماء فســالت أوديــة بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيــا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغــاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطــل فأما الزبــد فيذهب جفــاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » سورة الرعد : ١٧ .

تشابه فى ضرب الأمثال قوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل) .

وقوله تعالى (كــذلك يضرب الله الأمثــال) وليس تشبيها فى خصوصية ما يضرب به المثــل فى الآية .

٢٥٨ ــ قال تعالى : « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » سـورة محمد : ٣ .

تشابه بين الاتباع وبين تبيين الله أمر كل فرقة فى مجرد وقــوع الطرفين لا فى خصائصهما(١٢٩) .

٢٥٩ ــ قال تعالى : « سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم

---

(١٢٩) انظر البحر المحيط ٧٣/٨ .

قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا » سورة الفتح : ١٥ .

تشابه بين ما يقوله الرسول ﷺ وبين ما قاله الله، اذ لا فرق بينهما فى مضمونهما الذى أشارت اليه الآية .

٢٦٠ ــ قال تعالى : « قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » سورة الذاريات : ٣٠ .

أى مثل الذى قلنا وأخبرنا قال ربك .

ومن قبيل التشابه أيضا ما يأتى :

٢٦١ ــ قال تعالى : « كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا » سورة الكهف : ٩١ .

قال الزمخشرى : « كذلك أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره »(١٣٠) .

أى تشابه ما وصف الله به حاله وما كان عليه فى واقع الحال .

٢٦٢ ــ قال تعالى : « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » سورة فاطر : ٢٨ .

(كذلك) قال أبو حيان : « أى كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله »(١٣١) .

ويحتمل ــ والله أعلم ــ أى حقيقة اختلاف هذه الأشياء كما أخبر الله عنها . فتشابه الخبر والمخبر به .

ويتميز طريق التشابه لكون الطرفين فيه يستويان فى وجه الشبه بصحة مجىء أحد الطرفين مكان الآخر بأن يؤتى بما من شأنه أن

---

(١٣٠) الكشاف ٢/٤٩٨ .

(١٣١) البحر المحيط ٧/٣١٢ .

يكون مشـبها به فى التشبيه الاصطلاحى مكان المشـبه دلالـة علىٰ تساوى الطرفين فى وجه الشبه ، حقيقة أو ادعاء ، وقـد جـاء على هذا المنحى الشـواهد الآتية :

٢٦٣ — قال تعالى : « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » سورة آل عمران : ١٦٢ .

وتقدير المعنى — والله أعلم — أيكون فيه تسوية بين ما آل برضا الله تعالىٰ وبين ما بـاء بسخطه . والإنكار أن يسوى العاصى والكافر بالمؤمن وأشعرت الآية بهذه التسوية بتقديم ماحقه أن يكون مشـبها به ويسوى به غيره ، وهو (من اتبع رضوان الله) .

٢٦٤ — قال تعالى : « أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولـو الألبـاب » سورة الرعد : ١٩ .

المعنى — والله أعلم — إنكار أن يكن ثمة شبه بين العالم والجاهل بعد أن بين الله تعالى بعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (١٣) فلا ينبغى أن يستوى العالم والجاهل ، ولما كان المعنى علىٰ نفى التشابه بينهما ساغ أن يؤتى بأحد الطرفين مكان الآخر ، لعـدم القصـد الىٰ زيـادة ونقصـان .

٢٦٥ — قال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » سـورة النحـل : ١٧ .

انكار أن يسوى الخالق بغيره — وهو علىٰ نفس المسلك فى التشـابه .

٢٦٦ — قال تعالى : « أفمن وعدناه وعدا حسنا فهـو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيـا ثم هو يوم القيامة من المحضرين » سورة القصص : ٦١ .

---

(١٣٢) ينظر الكشاف ٣٥٦/٢ والبحر المحيط ٣٨٤/٥ .

نفى للتشـــابه والتســوية بينهــما •

٢٦٧ ــ قال تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون» ســورة الســجدة : ١٨ •

أى لا تشابه بينهما فى المنزلة •

٢٦٨ ــ ٢٦٩ ــ قال تعالى : « أفمن كان على بينه من ربــه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم • مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهــار من مــاء غير آسن وأنهــار من لبن لم يتغير طعمــه وأنهــار من خمــرة لذة للشــاربين وأنهار من عســل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعــاءهم » ســورة محمد ١٤ ، ١٥ •

إنكار على من يسوى بين المؤمن البصير والكافــر الذى ضــل وغوى وانكار أن يسوى بين جزاء صاحب الجنة المنعم فيها وبين جزاء المخلد فى النار المعذب فيها • والله أعلم •

٢٧٠ ــ قال تعالى : « أفنجعل المســلمين كالمجرمين » ســورة القــلم : ٣٥ •

إنكار وتوبيخ لمن يجعــل المسلم كالمجرم اذ لا يستويان فى شىء •

٢٧١ ــ قال تعالى : « أم نجعل الذين آمنوا وعملــوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » سورة ص : ٢٨ •

٢٧٢ ــ قال تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا الســيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ســاء ما يحكمون » سورة الجاثية : ٢١ •

انكار أن يكون فيه تشابه بين الاثنين أو مقارنة بينهما ، اذ شتان بين الحياتين وبين المماتين ، فالنفى لمجرد وجود شــبه ما بينهــما ، والله أعــلم بمــراده •

« خـــاتمـــة » :

« وبعد » فقد تم ما أعاننا الله عليه فى هذه الدراسة ، التى تحقق فيـــها مـــا يـــأتى :

أولا : قد وفت هذه الدراسة ــ فيما نعتقد ــ باستقصاء جميـــع شواهد أدوات التشبيه ومواقعها فى القـــرآن الكـــريم . وأثبتت أن (الكاف) جـــاءت فى اثنتين وسبعين ومئتى آية ، وجاءت (كأن) فى سبع وثلاثين آية (ثقيلة ومخففة ومكفوفة بـــ (مـــا)) وجاءت كلمة (مثل) فى ثمان وسبعين آية ...

ثانيا : تم تحقيق القول فى تحديد أدوات التشبيه ، وانتهينا الى أن الأداة محصـــورة فى (الكاف) و (كـــأن) أما الكلمات الأخرى (مثل ، شبه ، شكل ، مســـاو ...) فانها تدل على معناها اللغـــوى ويفاد بالمجىء بها الحكم بالمماثلة ، والمشابهة ، والمشاكلة ، والمســـاواة الى غير ذلك إذ ليست أدوات تشبيه . لذا لا يعد ما جـــاءت فيه من التشبيه الاصطلاحى ، وعند اعتباره من التشبيه يكون ذلك على سبيل التوسع فى حقيقة التشبيه أو فى الأداة .

ثالثا : تجلت لنا من خلال هذه الدراسة الفروق فى الدلالة بين أداتى التشبيه وبين الكلمات التى تفيد الحكم بالمشـــابهة .

وقد جدت هذه الدراسة فى كل مسائلها على قدر الوسع . وهى وإن وأجزت فى بعض الشواهد فقد يكون لإيناسها فى بقية الشواهـــد والمواضع الأخرى المماثلة ما يغنى لإضاءة ما أوجزنا الحديث عنه .

هـــذا . والله من وراء القصد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبـــه وســـلم .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	موضعها في الكتاب
٧٤	٢٧٢
سورة فصلت	
٦	٢٧
٩	٩١
١٣	٢٥
٣٤	٢٠٨ – ٢٤٦
سورة الشورى	
٣	٢٧٧
٧	٢٧٧
١١	٤٢ – ٧٣ – ١١٧ – ١٨٦
١٥	٣١
٣٢	١٧٦
٤٠	٣٠
٥٢	٢٧٦
سورة الزخرف	
١١	٢٨٣
٢٣	٢٧٢
٤٨	١١١
سورة الدخان	
٢٨	٢٧٢
٤٥	١٣٣ – ١٧٧
٤٦	١٣٣
٥٤	٢٦٤
سورة الجاثية	
٨	٢٢٤
٢١	٢٤٢ – ٢٨٧
٣٤	٢٧٣
سورة الأحقاف	
١٠	٤٣
٢١	١١٠

رقم الآية	موضعها في الكتاب
٢٥	٢٧٣
٣٥	١٣٤ – ٢٢٧
سورة محمد صلى الله عليه وسلم	
٣	٢٨٤
١٠	٦٩
١٢	١٤١
١٥	٢٨٧
٣٨	٥٨ – ٦٧ – ٧٠
سورة الفتح	
١٥	٢٨٤
١٦	٢٧٣
٢٩	١٦٠
سورة الحجرات	
٢	١٣٤
١٠	١١١
سورة ق	
١١	٢٨٤
سورة الذاريات	
٢٣	٥١
٣٠	٢٨٥
٤٢	١٧١
٥٢	٢٧٣
٥٩	٣٢
سورة الطور	
١٦	٢٤٢
٢٤	٢١٥
٣٤	٣٩ – ٦٣
سورة القمر	
٧	٢١٥
٢٠	٢١٢

« الحمد لله رب العالمين »

دليل المصادر والمراجع

١ ـ أولا : صحيح البخارى ـ المطبعة البهية ـ أولى ١٣٤٣هـ ٠
٢ ـ أسرار البلاغة للامام عبد القاهر ـ رشيد رضا ـ صبيح ١٣٧٩هـ ٠
٣ ـ أساس البلاغة للزمخشرى ـ التنوير العربى ـ بيروت ـ رابعة ٠
٤ ـ الأطول للعصام ـ مطبعة أحمد كمال ٠
٥ ـ الأغانى للأصفهانى ـ تهذيب الحموى ـ الاعلانات الشرقية ٠
٦ ـ الاكسير فى علم التفسير للطوفى ق د٠ عبد القادر حسين (النموذجية)
٧ ـ الانصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير ـ الحلبى ٠
٨ ـ الايضاح للخطيب القزوينى ـ صبيح ١٣٩٠هـ ٠
٩ ـ البحر المحيط لأبى حيان ـ دار الفكر بيروت ٠ ثانية ٠
١٠ ـ البرهان للزركشى ق أبو الفضل ابراهيم ـ عيسى البابى ـ أولى ٠
١١ ـ بيان التشبيه د٠ عبد الحميد العيسوى ـ القاهرة الجديدة ، أولى ٠
١٢ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ق السيد صقر دار التراث ، ثانية
١٣ ـ التبيان للطيبى ق د/هادى عطية ـ النهضة العربية ٠
١٤ ـ تحرير التحبير لابن أبى الاصبع ق حفنى شرف ـ القاهرة ١٣٨٣هـ
١٥ ـ التذكرة فى القراءات لابن غلبون ق د٠ عبد الفتاح بحيرى ، الزهراء للاعـلام ٠
١٦ ـ التصوير البيانى ٠ د٠ محمد أبو موسى ـ التضامن ثانية ٠
١٧ ـ تفسير ابن كثير ـ دار الفكر ١٩٨٠ ٠
١٨ ـ الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا ق د٠ انجوينى ٠ المعارف اسكندرية ٠
١٩ ـ الجنى الدانى فى حروف المعـانى للمرادى ق فخر الدين قباوة ـ الآفاق الجديدة ٠
٢٠ ـ جامع البيان ـ للطبرى مطبعة البابى الحلبى ٠ ثالثة ٠
٢١ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ مطبعة دار الشعب ـ أولى ٠

٢٢ ـ الحروف العاملة في القرآن الكريم د. هادى عطية ـ النهضة العربية أولى .

٢٣ ـ حاشية الأمير على مغنى اللبيب ـ عيسى البابي الحلبي .

٢٤ ـ حاشية الانبابي على الرسالة البيانية للصبان . المطبعة الأميرية .

٢٥ ـ حاشية الدسوقى على المختصر = شروح .

٢٦ ـ حاشية السيد على الكشاف البابى الحلبي .

٢٧ ـ حاشية السيد على المطول مطبعة أحمد كمال ١٣٣٠هـ .

٢٨ ـ الخصائص لابن جنى ق محمد النجار . المهدى للطباعة ثانية .

٢٩ ـ دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر ـ المراغى ـ المطبعة العربية ث .

٣٠ ـ ديوان الأعشى . دار صادر بيروت .

٣١ ـ ديوان امرىء القيس . مصطفى عبد الشافى ـ دار الكتب العلمية بيروت .

٣٢ ـ ديوان البحترى ق حسن الصيرفى ـ المعارف ثانية .

٣٣ ـ ديوان حسان ـ صادر بيروت .

٣٤ ـ ديوان الشماخ ق صلاح الدين الهادى دار المعارف .

٣٥ ـ ديوان عنترة . ق فوزى عطوة ـ صادر بيروت .

٣٦ ـ ديوان الفرزدق ـ صادر بيروت .

٣٧ ـ سر صناعة الاعراب لابن جنى ق وزارة المعارف . مصطفى الحلبى .

٣٨ ـ شرح الفوائد الغياثية طاشكبرى زادة ـ الطباعة العامرة ح

٣٩ ـ شرح القصائد السبع الطوال ـ ابن القاسم الأنبارى ـ هارون ـ دار المعارف .

٤٠ ـ شرح المفصل لابن يعيش ـ المتنبى بالقاهرة .

٤١ ـ شروح التلخيص . مطبعة السعادة .

٤٢ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ق أحمد شاكر ـ دار المعارف .

٤٣ ـ عروس الأفراح للبهاء السبكى = شروح التلخيص .

٤٤ ـ العلاقات والقرائن فى التعبير البيانى د. محمود حمدان . مخطوطة بكلية اللغة العربية (ماجستير) .

٤٥ ــ الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى • الآفاق الجديدة ببروت •
٤٦ ــ الكتاب لسيبويه • ق عبد السلام هارون • الخانجى ــ ثالثة •
٤٧ ــ كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ق أبو الفضل ابراهيم • عيسى الحلبى •
٤٨ ــ الكشاف للزمخشرى • مصطفى البأبى الحلبى •
٤٩ ــ لسان العرب لابن منظور • دار المعارف • أولى •
٥٠ ــ المثل السائر لابن الأثير ق محيى الدين • البابى الحلبى •
٥١ ــ مختصر فى شواذ قراءات القرآن من البديع لابن خالويه • المتنبى بالقاهرة •
٥٢ ــ المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ــ البجاوى ــ عيسى الحلبى ــ أولى •
٥٣ ــ المطول للسعد مطبعة أحمد كمال ١٣٣٠هـ •
٥٤ ــ معجم الألفاظ القرآنية • محمد اسماعيل دار الفكر العربى •
٥٥ ــ معانى القرآن واعرابه للزجاج ق د• شلبى ــ احياء التراث •
٥٦ ــ مغنى اللبيب لابن هشام • البابى الحلبى •
٥٧ ــ مفتاح العلوم للسكاكى ــ المطبعة الأدبية • أولى •
٥٨ ــ المفردات فى غريب القرآن للراغب ق محمد كيلانى ــ مصطفى الحلبى •
٥٩ ــ المقتضب للمبرد ــ عالم الكتب ــ بيروت •
٦٠ ــ المنزع البديع للسجلماسى ق علاء الغازى • المعارف بالمغرب •
٦١ ــ منار السالك الى أوضح المسالك محمد النجار • الفجالة الجديدة •
٦٢ ــ مواهب الفتاح للمغربى = شروح •
٦٣ ــ النبأ العظيم للدكتور دراز ١٣٧٦هـ •
٦٤ ــ النكت فى اعجاز القرآن للرمانى (ثلاث رسائل) دار المعارف •
٦٥ ــ همع الهوامع على جمع الجوامع للسيوطى • دار المعرفة •

فهرس الموضـوعات

 والحمد لله الذى تتم بفضله الصالحات .

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٤٨٢ / ١٩٩٢

